



مناهج البحث الكيفي

GEQR5103

إعداد
أ.د.م. / إيمان محمد مبروك قطب



المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
1	الدرس الأول : طبيعة البحوث التربوية .	29 : 1
2	الدرس الثاني : البحوث النوعية .	34 : 30
3	الدرس الثالث : القواعد الأساسية للبحوث النوعية في البحوث التربوية.	72 : 34
4	الدرس الرابع : تصميم البحوث النوعية.	119 : 72
5	الدرس الخامس : تابع تصميم البحوث النوعية .	142 : 120
6	الدرس السادس : منهجية وطرائق جمع البيانات.	163 : 143
7	الدرس السابع : فنيات البحث .	172 : 164
8	الدرس الثامن : تعزيز الجودة والمصداقية في البحوث النوعية.	197 : 173
9	الدرس التاسع : دور الباحث في أخلاقيات البحث العلمي.	201 : 198
10	الدرس العاشر : معالجة وتحليل وتفسير البيانات في البحوث النوعية.	210 : 202
11	الدرس الحادي عشر : معالجة وتحليل وتفسير البيانات في البحوث النوعية. (تابع).	228 : 211
12	الدرس الثاني عشر : تحليل وتفسير النتائج.	232 : 229
13	الدرس الثالث عشر :تابع تحليل وتفسير النتائج.	247 : 233
14	الدرس الرابع عشر : الدفاع عن الخطط وإقامة السيمينارات.	257 : 248

الدرس الأول

طبيعة البحوث التربوية

العنصر الأول : نماذج البحوث النوعية والكمية.

العنصر الثاني : أوجه الفروق والتشابه بين البحوث النوعية والكمية.

العنصر الثالث : نظرة على خطط البحوث النوعية .

مقدمة فى البحوث التربوية

الحاجة ماسة إلى تشخيص الصورة الحقيقية للحالة أو الوضع التعليمي الموجود للأمر، والوقوف على مصادر الطاقة الذهنية لدى المتعلمين، وما عسى أن يكون هناك من طاقات عقلية معطلة، وهل هناك حاجات للتعرف على المشكلات التربوية والاجتماعية الموجودة؟ وما تتطلب تلك المشكلات من حلول عملية، وعلمية، وفنية، حتى نتمكن من مواجهتها، وتطويرها، وحلها؟

وتعتبر البحوث العلمية في الميدان التربوي هي محور الارتكاز الذي تدور حوله كافة جوانب الإصلاح والنهوض في المجتمعات؛ ذلك لأن التربية تهدف إلى تبصير الإنسان بالمشكلات، وإيقاظ درجة الوعي القومي، وإثارة الرغبة في التطوير والتقدم الاجتماعي والاقتصادي.

فبذلك البحوث التربوية لها دور فعال في حياة المجتمع لإحداث التغيير والتطوير المطلوب منها، وتطوير الوضع، والانتقال بالمجتمعات من مرحلة إلى مرحلة أخرى، تحقيق البحوث التربوية، هل البحث يتحدث عن أهمية أو فوائد البحوث التربوية؟

فوائد البحوث التربوية

تدفع البحوث التربوية الباحث في المجال العلمي أو الباحث العلمي إلى التفكير الابتكاري دائماً، وإلى مستوى متميز من التفكير والعطاء؛ مما يشعره بالارتياح النفسي الناتج عن التدفق العالي للجمال، والمشكلات، وتقديم الحلول لها، وذلك يظهر بوضوح لدى "أينشتاين" يقول: "إنه عندما كان يفكر في حل مشكلة رياضية بحثاً عن الحل العلمي لتلك المشكلة كان يشعر أن تفكيره يرتفع ويرتقي إلى مستوى عالٍ، أعلى من مستويات التفكير في مجريات الأمور العادية".

أيضاً العمل في مجال البحوث التربوية يساعد على تكوين عقلية علمية، وتكوين اتجاه نحو أسلوب علمي في الحياة عامة يدفع إلى عدم تقبل الأمور كما هي، بل يدفع إلى البحث، والنقد، والبناء والتغيير.

و البحث التربوي له فوائد أخرى: يساعد على تحسين العملية التربوية، ويساعد المجتمعات على تطويرها، ورفع مستواها.

و تتجه البحوث التربوية إلى التخطيط لحياة المجتمع، والتنسيق بين القوى البشرية، ومتطلبات المجتمع حتى يتم توفير تلك المتطلبات، والهدف إلى الاستفادة من تفعيل الطاقات البشرية الموجودة لعلاج المشكلات المتوفرة في المجتمعات.

مثلاً: ظاهرة البطالة، فإن هناك استثمار للخريجين الموجودين بالمجتمعات لعلاج تلك المشكلات، أيضاً الاشتغال بالبحوث التربوية بصورة خاصة يساعد على المزيد من معرفة النفس، وأسرار الحياة، والوقوف على أدق المشاعر، الأمر الذي ينعكس على حسن التعامل الاجتماعي مع الآخرين.

وتفيد أيضاً في قياس الكفاءة الخارجية للمؤسسات التعليمية، من حيث تقويم مهمة المدارس المختلفة في مراحل التعليم.

ومعظم البحوث التربوية تتجه إلى قيام الكفاءة الداخلية للمدارس، وتسيير العملية التعليمية، وتتبع أسلوب العمل، ومدى ملائمة المناهج، وطرق التدريس، ونظم الاختبارات لتحقيق أعلى مستوى كفاءة للخريجين.

علاوة على ذلك تساعد البحوث التربوية على تحقيق أهداف التعليم، والبحث التربوي اليوم ضرورة أساسية ومقدمة لا بد منها لعمليات التخطيط التربوي السليم، سواء كان ذلك على المدى البعيد، أو المدى القريب، فالبحوث المسحية، والدراسات التشخيصية، والبحوث القائمة على الدراسات المقارنة لنظم التعليم في مختلف البلدان ساعدت على التخطيط الجيد لتحقيق أهداف التعليم.

ومن ثم فالبحث التربوي له دوره الهادف الفعال، مناهج البحث التي تتبع سوف يتم تطبيقها في المحاضرات التالية لها دور فعال، وفوائد جمة على العملية التعليمية، وحل المشكلات التي تواجه المجتمعات، ورفع مستوى المجتمعات.

و تواجه البحوث التربوية بعض المعوقات، فإن المقاييس التي تستخدم كأدوات تقنن حسب الظواهر في قياس الظواهر النفسية، والتربوية، والاجتماعية، وبالتالي فهي تتأثر بالصبغة المعنوية؛ مما يجعل تطبيقها وقياسها أمراً صعباً، فذلك يختلف عن المقاييس المقننة العلمية الأخرى التي تستخدم، فهي دقيقة، أكثر دقة من البحوث العلمية؛ لأنها مقننة، وتخضع لقياس ظواهر طبيعية تامة مثل: قياس درجة الحرارة، قياس الأطوال، قياس الأوزان.

أما الجوانب الأخرى التربوية فهي مرتبطة بجوانب نفسية واجتماعية وتربوية، فصبغتها صبغة نفسية ومعنوية أكثر، فأصبح القياس فيها من الأمور التي تصادف معوقات أمام الباحثين، ومن ثم يسعى الباحثون في هذه العلوم إلى الاقتراب إلى الدقة، سواء في إعداد المقاييس، أو في تطبيقها، أو في استخراج نتائج.

كما أن البحوث العملية التي تجرى في العلوم الطبيعية يمكن حصر العوامل المؤثرة في الموقف، ويمكن ضبطها، وإخضاعها، المتغيرات التي تتأثر بها، أما التربوية والنفسية فتتأثر بالظواهر موضوع البحث بعوامل كثيرة، ومتغيرات متشابكة ومعقدة، ترجع كثيرًا إلى أمور معنوية، وظواهر أخرى نفسية، وعوامل اجتماعية وبيئية وثقافية تؤثر، ويصعب جدًا ضبطها، مما يجعل حصر تلك العوامل من أشد الأمور صعوبة التي تواجه الباحث، وقد تؤثر تأثيرًا مباشرًا على نتائج البحوث التربوية والنفسية في التحكم في تلك العوامل المختلفة.

ويتأثر الباحث في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية بالعوامل الذاتية، والانطباعات، والمعتقدات، والآراء، والعواطف أيضًا، بخلاف العلوم الطبيعية.

وقد حازت العلوم النفسية نطاقاً واسعاً في المفاهيم والمصطلحات، المترادفات بينها في تعريف المصطلح الواحد يواجه أكثر من تعريف، وأكثر من مفهوم؛ مما يكون له تأثير في تحقيق البحث بدقة أكثر، وذلك أمر صعب نسبياً أكثر مما نجده في العلوم الطبيعية، حيث تقوم على مصطلحات قد اتفق عليها عالمياً، ويرتبط ذلك باختلاف الصور الاجتماعية، تلك المصطلحات ترتبط بطبيعة الحالة الاجتماعية في البيئة التي يتم بها البحث التربوي، وذلك لا نواجهه في العلوم الطبيعية، أو البحوث العلمية.

ونظراً لأن البحوث التربوية تتعرض إلى صعوبات إنسانية، واجتماعية، وخلفية مرتبطة بالقيم، والأفكار السائدة، والمحرمات؛ مما يكون لها أثر أساسي على البحوث.

و سهولة الحصول على الاستجابات الصحيحة، والبيانات بالتعاون من مشاركين البحث العلمي أمر قد يكون متعذراً تماماً في البحوث العلمية؛ نظراً للموقف الذي يتم فيه تطبيق بحث المتغيرات المحيطة بمن يطبق عليه البحث، فيه عوامل أخرى مؤثرة عليه، فلا يستطيع أن يعطيك النتائج الصحيحة للأسئلة، أو التعليقات التي وجهت إليه.

مراحل تطور البحوث التربوية

يمكن أن نتبع مراحل تطور البحوث التربوية والنفسية بمتابعة عدد من المؤثرات التي تفاعلت مع بعضها، فأفادت إلى الصور المتعاقبة للبحوث، ومن أمثلة ذلك التطور: تطور علم النفس، وطرق البحث فيها، ونشأة الهيئات التي تمت في تلك البحوث. فسوف نتعرض إلى تتبع البحوث التربوية والنفسية على عدد من السنوات، أو من المراحل، الدراسات والبحوث التربوية التي تسبق عام 1900، دراسة البحوث التربوية والنفسية بين عام 1900 وعام 1920.

ثم البحوث التربوية والنفسية بعد عام 1920، الاتجاهات الحديثة والبحوث التربوية والنفسية، وتتمثل في المحور الرابع من مراحل التطور التاريخي للبحوث التربوية.

1- الدراسات والبحوث التربوية والنفسية قبل عام 1900:

البداية كانت بدائية تمامًا، فبدأت الدراسات والبحوث التربوية بنوع من الأساليب البدائية، كانت مبنية على الفراسة فقط، دراسة الأشخاص من صفاتهم الظاهرية، الوصف الظاهري للشخص، ومن ثم يتم الحكم عليه كبنية الجسم، دراسة ملامح الوجه، والأساليب الحركية للأفراد، واشتهرت قدرة بعض الباحثين على تقسيم الناس إلى طوائف، وأنواع حسب تطوير أمزجتهم، أو بحسب تقاطيع الوجه.

وهناك من اعتقد وجود علاقة بين طباع الأشخاص وتعبيرات الوجه، وأيضًا من اعتقد أن تضاريس الجمجمة لها علاقة بالملكات والقدرات العقلية، من حيث البروز والانخفاضات، وهناك من قال: إنَّ التشوهات البدنية سواء كان بالنقص، أو في شكل وتكوين الجسم، لها أثر مباشر في انحرافات السلوك.

ومن ثم أصبحت الدراسات كلها تعتمد على أسلوب غير علمي، خاصة أساليب مبدئية، ومحاولات وجهد ضعيف، ثم توالت الدراسات في العلاقة بين الوراثة والشهرة، ولجأ إلى ذلك في المقارنة بين عدد من مشاهير الرجال وآبائهم، وتم الاستعانة بعلماء الإحصاء مثل: "بيرسون" الذي عاونه في استعمال طريقة مُعامل الارتباط في المقارنة بين المجموعات وبذلك بدأت بذور الاستفادة من علم الإحصاء في التربية وعلم النفس.

ولقد استخدم "فرانسيس بولتون" بداية الربط بين العوامل المشتركة فيما بينها في تقدير الحالات من خلال استخدام معامل الارتباط، ولكن في ألمانيا ظهر علماء اهتموا بدراسة وظائف الأعضاء، قاموا بتجارب للمقارنة بين الأفراد.

ومن ثم تم إنشاء معمل منظم لعلم النفس في مدينة "نيزك" سنة 1879، تطورت الدراسات في هذا المعمل، استخدم فيها مقاييس للحواس، وزمن الرجوع، واستخدم فيه لأول مرة طرق التأمل البطني.

مع التتبع نجد هناك تطورًا في مجال التربية، في الدراسات والبحوث العلمية، والتطور تصاعدي وفي عام 1885 أكد "ابنج هاوس" أن من الممكن قياس قوة الذاكرة بوسائل دقيقة، وقد ظهر ذلك

من خلال مجلة لعلم النفس بعنوان: "ماينن"، أي: العقل، وفي عام 1876 أنشأ "هول" المجلة الأمريكية لعلم النفس.

وأيضًا تلا ذلك نشر برنامج للقياسات العقلية في نفس المجلة، وكانت الاختبارات التي أشار إليها تتضمن قوة قياس الحواس، وسرعتها. تم إثارة جدل طويل حول جدوى تعليم التهجي، واستخدام هذا الاختبار للمقارنة بين مجموعة من الأطفال تم إعطاؤها تدريبًا مطولاً على التهجي، ومجموعة أخرى تم إعطاؤها تدريبًا قصيرًا على التهجي، تم عقد مقارنة بين نتائج المجموعتين في قدرة التلاميذ على التهجي، تلك الاختبارات الجماعية تم إعطاؤها لتحديد وقياس قوة الطلاب، أو قدرة الطلاب على الكتابة.

ومن ثم، يتضح لنا أن قبل 1900 كانت كلها جهودًا ظاهرية بدائية للبحث التربوية لعلاج المشكلات لدى المتعلمين، لكن أقوى تلك الحركات حركة القياس العقلي التي قامت في فرنسا على يد "سيجون"، ثم تلا "ألفريد بينيه" مع زميله بدراسات قاموا بها حول الوظائف العقلية، ثم أسس "بينيه" الأساس الذي اعتمد عليه بقياس الذكاء الذي ظهر عام 1900.

وبذلك يتضح لنا المجهودات التي تمت، أو الجهود التي تمت في مجال البحث التربوي في السنوات التي تسبق 1900، كلها جهود كانت بدائية، وتعتمد على الوصف الظاهري فقط، كانت في نهاية تلك المرحلة جهود قوية ظهرت على يد "بينيه" في اختبار الذكاء الذي وضعه، أو قياس الذكاء.

2- البحوث التربوية بين عامي 1920 :

لا يمكن حصر تلك البحوث -تلك الحقبة- إنما الاهتمام بالتركيز على البحوث التربوية، ولكن نتمكن من الإشارة إلى أهم الاتجاهات التي ظهرت في تلك المرحلة، الاتجاه نحو وضوح الأسس النظرية التي تبنى عليها البحوث التربوية، أيضًا اتساع مجالات البحوث وتنوعها تشمل كافة الجوانب التربوية، والمهارات، والجوانب المعرفية، والتحصيل المدرسي، واتجهت البحوث إلى ميادين أخرى جديدة، وأصبحت هذه البحوث تشمل عددًا من الأفراد والجماعات معًا، وهناك نوع خاص من الدراسات التي ظهرت في هذه المرحلة مثل دراسة قام بها "برنو" بأن ممكن دراسة الجماعات بتحليل العلاقات المتبادلة بين الأفراد.

أيضًا ظهرت مقاييس الاختبارات، والاختبارات الإسقاطية، أيضًا ظهرت اتجاهات إلى الدقة والضبط، وتحديد المفاهيم، وربط المصطلحات، وأصبح هناك تفرقة بين القياس وبين التقويم،

اتجهت البحوث التربوية مأخذ الضوابط العلمية المقتننة بالاختبارات والعمل على ثبات نتائج وسائل القياس والتقويم، وضمان صحة العمليات في جمع البيانات لدرجة أن وسيلة مثل المقابلة أصبح لها ضوابط تضمن ثبات نتائجها، وتقليل العوامل الذاتية فيها، حتى عملية جمع البيانات وعملية إعطاء التعليمات وضع لها معايير محددة لضمان تسوية الظروف عند جمع هذه البيانات.

وتطورت وتنوعت طرق البحث نفسها وأساليبها، أيضاً تطور استخدام أسلوب المعالجات الإحصائية والعينات المنتقاة، وفي هذه الفترة نشأت هيئات أخرى عالمية خاصة بالبحوث التربوية، وأيضاً نشأت في عام 1944 مؤسسة تربوية للبحوث في إنجلترا، واشترك في تأسيس هذه المؤسسة اتحاد المعلمين، والإدارات التعليمية، والجامعات الإنجليزية.

وفي هذه الفترة اهتمت منظمة اليونسكو بالبحوث التربوية، أيضاً الاهتمام بالبحوث التربوية والدراسات التجريبية تنوعت واختلفت الحقبة الزمنية، و البحوث التربوية اختلفت تماماً، أيضاً هناك اتجاهات حديثة في البحوث التربوية معظم الاتجاهات التي سبقت.

ورابع مستوى توصلنا له في التتبع التاريخي لتطور البحوث التربوية هي البحوث التربوية في واتجاهاتها الحديثة.

ولا نستطيع أن نحصر كمية البحوث التي أجريت في تلك الفترة، ولكن سوف نشير إلى أهم ما يميزها، أو الاتجاهات التي تم التوجه إليها في العصر الحديث، بدأ الاهتمام بالربط بين النتائج وتطبيقاتها، أيضاً الاتجاه نحو المشاركة في البحوث التربوية من قبل تخصصات أخرى بعيدة عن التربية مثل المشتغلي بالصناعة، والتجارة، والزراعة، وهذا الاتجاه ربط بين التطوير التربوي والتطوير الاجتماعي والاقتصادي في المجتمعات، تنمية المجتمعات من خلال التطوير في كافة المناحي.

وأصبح هناك توسعاً أيضاً في رسالة مراكز البحوث التربوية، وتم التوسع في إنشائها تلك المراكز.

والاتجاه في البحوث التربوية أيضاً شمل مجالات بحث متنوعة مثل ظروف التعليم في أكثر من دولة واحدة، ومقارنته بعدد من البلدان، مثل تجربة سرس الليان في مكافحة الأمية، كان تم تطبيقها في مصر، وتطبيقها في دكار في نفس الوقت، وتم تطبيقها في بيروت بلبنان في أكثر من دولة، تعميم البحوث التربوية على مستوى إقليمي.

الاتجاه نحو تحليل المناهج الدراسية في مختلف المواد في برامج مفصلة، وفي صورة وحدات تعليمية مصغرة، أو ما يسمى إطارات متدرجة من السهل إلى الصعب، تتناسب مع مستوى التلاميذ، وهذه الوحدات أصبحت تُستخدم أساساً للتعليم الذاتي، الاتجاه نحو مزيد من استخدام الأغراض أو الوسائل التعليمية، سواء كانت سمعية أو بصرية في التعليم وأجهزة وماكينات تساعد في عملية التعليم، أصبح الاتجاه الحديث في التربية يؤكد على أهمية البحث التربوي.

ووصل البحث التربوي إلى مرحلة التعليم بالمراسلة، ويستوجب توجيه بحوث التربية إلى إعداد الدروس بطريقة أسهل، ويسهل الاستفادة بها من فكرة التعليم عن بعد أو elearning أو التعليم بالمراسلة، ويلاحظ أن التعليم هنا ليس من الضروري أن يتم في مدرسة بالشكل المعهود أو في سنة دراسية أو في وقت معلوم، وإنما التعليم ممكن أن يتم في أي وقت وفي أي مرحلة بما يتناسب مع ظروف المتعلم، وذلك يشابه تمامًا أسلوب التعليم في جامعاتنا، ومن ثم يتضح لنا التطور التاريخي الذي حدث في المجال البحوث التربوية.

تعريف البحث التربوي

تشير عبارة البحث التربوي إلى النشاط الذي يهدف إلى توفير المعرفة التي تسمح للمربين بتحقيق الأهداف التربوية بأكثر الطرق والأساليب فاعلية . ويتم ذلك بدراسة بيئة التلميذ وجعلها مواتية لتنمية الاتجاه المرغوب فيه في النمو وتعزيزه بأكبر قدر ممكن .

أهداف البحوث التربوية

1. الكشف المبكر عن المعلومة الجديدة ليتسنى تقديم الحلول والبدائل التي تساعدنا في تعميق فهمنا للأبعاد المختلفة للعملية التعليمية وكيفية تطويرها نحو الأفضل ..
2. دراسة واقع الأنظمة التربوية والكشف عن خصائصها وبيان جوانب القوة والضعف فيها بقصد التعرف على أحوالها والتعمق في طبيعتها وتشخيص مشكلاتها البارزة والعمل على معالجتها .
3. تطوير الأنظمة التربوية وتجديدها والعمل على زيادة كفاءتها الداخلية والخارجية .
4. المساعدة في تحديد فعالية الطرق والأساليب المستخدمة في حجرة الدراسة وتطوير ممارساتنا التربوية .

5. المساعدة في التوصل إلى أفضل السبل التي تمكنا من تطوير الجانبين النوعي والكمي للمخرجات التعليمية .

أهمية دراسة البحث التربوي

يمكننا أن نلخص أهمية دراسة البحث التربوي فيما يلي :

1. تدريب الباحثين وإعدادهم بالإطلاع والقيام بالدراسات والبحوث في مجالات التربية المختلفة وذلك عن طريق :

أ- مساعدة الدارس على تنمية قدراته على فهم أنواع البحوث والإلمام بالمفاهيم والأسس والأساليب التي يقوم عليها البحث التربوي .

ب- مساعدة الدارس على الاختبار السليم لمشكلة معينة لبحثه وتحديدتها وصياغة فروضها . واختيار وتحديد أنسب الأساليب لدراستها والتوصل إلى نتائج يوثق في صحتها .

2- تزويد الدارس بالخبرات التي تمكنه من القراءة التحليلية الناقدة للبحوث وملخصاتها وتقييم نتائجها والحكم على ما إذا كانت الأساليب المستخدمة في هذه البحوث تدفع إلى الثقة بنتائجها ومدى الاستفادة منها في مجالات التطبيق والعمل .

3- مساعدة الدارس بالتطبيق العلمي لما تعلمه نظرياً من أسس ونظريات وأساليب وذلك بإجراء بعض البحوث التربوية بتوجيه وإشراف أساتذة أكفاء . لأن تعلم منهاج البحث لا يتأتى على نحو سليم إلا بالممارسة والمران وترجمة الأفكار إلى واقع .

مهام قسم البحوث التربوية

1. حصر المشكلات التعليمية والتربوية التي قد تبرز في الميدان والتنسيق مع الوزارة لتحديد الأولويات من أجل دراستها ومعالجتها .

2. تسهيل مهمة الباحثين من خارج الوزارة وفق التعليمات المنظمة لذلك وموافاة الوزارة بتقرير سنوي عنها .

3. تنظيم أعمال اللجان التي تتشكل في إدارات التعليم لدراسة البرامج التعليمية وتقويمها وتزويد الإدارة العامة للبحوث بالوزارة بما تتوصل إليه من توصيات للتطوير والتحسين .

4. عقد الدورات التدريبية وورش العمل في إدارة التعليم لإطلاع المشرفين التربويين والمعلمين على كل ما هو جديد في مجال البحوث التربوي وفق برنامج سنوي تضعه الإدارة العامة للبحوث التربوية في الوزارة .

5. إعداد البرامج التوعوية والتنشيطية لتشجيع المعلمين والطلاب على إجراء البحوث والدراسات .

6. القيام بجميع المهام الموكلة إليه بشأن متابعة دراسة ظاهرتي الرسوب والتسرب باعتباره المسؤول الأول عنها في الإدارة .

7. إعداد التقارير الدورية التي تطلب منه من قبل الإدارة العامة للبحوث التربوية في الوزارة وإرسالها في الوقت المحدد .

8. وضع خطة سنوية لتنفيذ هذه المهام وفق برنامج زمني ورفعها للإدارة العامة للبحوث التربوية في الوزارة مع بداية العام الدراسي .

البحوث النوعية

البحث النوعي منهج واسع ومعقد ويحتاج إلى عدد من الكتب لتغطيته .

والاتجاه النوعي هو طريقة تفكير عامة لإجراء البحوث النوعية .

فيما يلي نستعرض أربعة أنواع أساسية من الاتجاهات النوعية:

1- الاثنوغرافيا :

تطور الاتجاه الاثنوغرافي للبحوث النوعية ضمن علم الانثروبولوجيا . والتركيز في الاثنوغرافيا يكون على دراسة ثقافة بأكملها، ومفهوم الثقافة كان يرتبط بمفاهيم عرقية وجغرافية لكنه توسع أخيراً ليشمل كل جماعة أو منظمة . وعلى ذلك يمكننا أن ندرس ثقافة قطاع الأعمال أو مجموعة معينة مثل الاندية الرياضية .

والاثنوغرافيا مجال عريض يوجد به العديد من المتخصصين والمناهج . إلا أن أكثر الاتجاهات الاثنوغرافية شهرة هو الملاحظة بالمشاركة كجزء من البحوث الميدانية . ينغمس الاثنوغرافي في الثقافة كمشارك نشط ثم يسجل ملاحظات ميدانية مكثفة . وليس للاثنوغرافي حدود لما يجب ملاحظته أو نقطة نهاية لعمله .

2- الظاهراتية :

تعتبر الظاهراتية أحياناً اتجاهًا فلسفيًا كما أنها منهجاً نوعياً . وللظاهراتية تاريخ طويل في العديد من فروع البحث الاجتماعي مثل علم النفس ، علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية . الظاهراتية مدرسة فكرية تركز الانتباه على التجارب الذاتية للبشر وتصوراتهم عن العالم، وذلك أن الظاهراتي يود أن يفهم كيف يبدو العالم للآخرين .

3 - البحث الميداني :

البحث الميداني يمكن أن يعتبر اتجاهًا ضمن البحث النوعي أو طريقة لجمع بيانات نوعية . والفكرة الأساسية هي أن الباحث يذهب إلى الميدان لملاحظة الظاهرة في حالتها الطبيعية . ثم يقوم بتدوين بيانات كثيفة ترمز وتحلل في طرق مختلفة .

4 - النظرية التجذيرية :

النظرية التجذيرية اتجاه نوعي طوره كل من كلاسر وستراوس في الستينيات من القرن الماضي. الهدف المحدد لهذه النظرية هو تطوير نظرية عن الظاهرة موضوع الدراسة . لكنها ليست تنظيراً مجرداً وإنما يجب تجذر النظرية في الملاحظة ومن هنا جاء الاسم . النظرية التجذيرية عملية تكرارية معقدة حيث يبدأ الباحث بإثارة الأسئلة التي تقوده إلى الأخرى وهذه الأسئلة يجب ألا تكون جامدة أو قاصرة . وعندما يبدأ الباحث في جمع البيانات يبدأ تحديد المفاهيم النظرية الأساسية، ثم تطور ارتباطات مبدئية بين المفاهيم النظرية والبيانات . هذه المرحلة الأولية من البحث تكون مفتوحة جداً وقد تستغرق شهوراً . لاحقاً ينشغل الباحث بالتمحيص والتلخيص، ثم تتجه جهوده نحو مفهوم مركزي يخلص في نهايته إلى توضيح مدروس بعناية كافية للظاهرة موضوع الدراسة .

ودراسة الحالة هي دراسة مكثفة لافراد أو مواقف معينة . إذ ليست هناك طريقة واحدة لإجراء دراسة الحالة ويمكن استخدام حزمة من وسائل جمع البيانات.

بطريقة مبسطة - البحث النوعي هو وسيلة غير عددية ولا يأتي بجمع البيانات أو بتفسير يعتمد على رسم بياني أو من مصدر بيانات. فعلى سبيل المثال ، إذا طلب منك أن تفسر من حيث النوعية الصورة الحرارية المعروضة بمختلف الألوان ، فإنك سوف تشرح فروق الألوان بدلا من القيم الرقمية للحرارة.

مهمة البحث النوعي

"البحث النوعي يتطلب كثير من التحضير والتخطيط. والباحث يجب أن يكون مدرباً في مجال تقنيات المراقبة واستراتيجيات المقابلة ، وغيرها من طرق جمع البيانات لحل مشكلة البحث. ويجب على الباحث أن يكون على دراية جيدة في مجال الدراسة بحيث يمكنه فصل المعلومات الهامة من التفاصيل التافهة . وعلى الباحث أن يكون قادراً على التعامل مع كميات هائلة من البيانات والعثور على أمر ذي مغزى في ما قد يبدو فوضى كاملة. والتحقق أن وقائع فردية منفصلة تؤدي إلى نفس النتيجة.

فكرة البحث النوعي مستمدة أولاً من المنهج الاستقرائي ويركز على الحالة البحثية من خلال الكلمات بدلاً من الأرقام .

البحث النوعي: نحو نظرة أعمق في الظواهر التربوية

البحث النوعي له منهجية في العلوم الاجتماعية تركز على وصف الظواهر والفهم الأعمق لها، ويختلف عن البحث الكمي الذي يركز عادة على التجريب وعلى الكشف عن السبب أو النتيجة بالاعتماد على المعطيات العددية. فالسؤال المطروح في البحث النوعي سؤال مفتوح النهاية ويهتم بالعملية والمعنى أكثر من اهتمامه بالسبب والنتيجة.

و لقد اتخذ البحث النوعي عدة أسماء، منها البحث الطبيعي، لأنه يهتم بدراسة الظواهر في سياقها الطبيعي، وقد يسمى البحث التفسيري، لأنه لا يكتفي بالوصف فقط بل يتعدى ذلك للتحليل والتفسير، وقد يسمى خاصة في مجال دراسات علم الإنسان، العمل الميداني ، ويسمى أحياناً في هذا المجال أيضاً الإثنوجرافي. وهناك فرق بينه وبين (البحث الوصفي) الذي يأتي ضمن أنواع البحث الكمي، أن البحث الوصفي يعتمد بدرجة أساس على الأرقام والاستبانة.

وهناك أنواع متعددة من البحث تدخل تحت مسمى البحث النوعي، وهذا ناتج عن تنوع أهداف البحث النوعي، فتارة يكون هدف البحث النوعي تأسيس نظرية ، وتارة يكون الهدف بناء المفاهيم أو التعرف عليها، وربما كان الهدف الوصف. إلا أنه رغم هذا التباين في الأهداف فإن كل هذه الأنواع تتفق على أن المقصد هو "الفهم" الأعمق لسلوك الإنسان وخبراته، ووصف عمليات بناء المعاني التي يستخدمها الناس وما هي تلك المعاني. فعلى النقيض مما هو موجود في البحث الكمي، فالبحث النوعي لا يسعى لجمع "حقائق" عن سلوك الإنسان يتحقق منها على ضوء نظرية معدة، تمكن العلماء من التنبؤ بسلوك الإنسان، من خلال التعميم، بل في البحث

النوعي ينظر إلى سلوك الإنسان على أنه من التعقيد بحيث يصعب فهمه بهذه الطريقة. فالنظر للبحث من خلال منظور السبب والنتيجة أو التنبؤ يؤثر سلباً في قدرة الباحث النظر بشكل أعمق للمعاني التي يتضمنها سلوك الإنسان.

وقد تنامي قبول هذا التوجه في البحث، خاصة في المجال التربوي، نتيجة لتضاؤل الرضا عن التوجه التقليدي الكمي في دراسة المشكلات التربوية والاجتماعية، خاصة ما لا يتناسب منها مع التحليل العددي. أضف إلى ذلك القناعة بأن السلوك الإنساني يتأثر بشكل كبير بالبيئة التي يوجد فيها، مما يساعد على فهم السلوك و فهم البيئة التي يقع فيها. فالبحث النوعي لا يكتفي بوصف الأشياء كما هي بل يسعى للحصول على فهم أعمق للصورة الكبرى التي يكون فيها ذلك الشيء، ويبحث عن معرفة كيف وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه، وكيف يشعر الناس المحيطين بها، وما آراؤهم حولها وما المعاني التي يحملونها عنها.

استراتيجيات البحث النوعي

1. دراسة الحالة

دراسة استراتيجية من استراتيجيات البحث النوعي، وهي عبارة عن فحص دقيق وعميق لوضع معين أو حالة فردية، أو حادثة معينة، أو مجموعة من الوثائق المحفوظة. فالفكرة الأساسية في دراسة الحالة هي أن تتم دراسة حالة واحدة (وربما عدد من الحالات) بشكل مفصل ودقيق وباستخدام كافة الوسائل المناسبة. وقد يكون هناك تنوع في أهداف أو أسئلة دراسة الحالة إلا أن الهدف العام هو الوصول إلى أكمل فهم ممكن لتلك الحالة. فأسلوب دراسة الحالة يقصد منه الوصول إلى فهم عميق لحالة معينة، قد تكون لفرد أو أفراد أو فصل معين في مدرسة، أو مدرسة، أو نحو ذلك، ويكون دراسة الحالة في وضعها وسياقها الطبيعيين، دون الانشغال بتعميم النتائج على الحالات الأخرى.

بخلاف الوضع في البحث التجريبي الذي يتحكم الباحث فيه بمتغيرات الدراسة ليستكشف مدى تأثير السبب (أو العامل المؤثر)، وبخلاف البحث المسحي الذي تطرح فيه مجموعة من الأسئلة على عينة ممثلة لمجتمع الدراسة. بخلاف هذين الحالين فإن أسلوب دراسة الحالة يهتم بملاحظة خصائص وحدة مفردة. والهدف من هذه الملاحظة الاستكشاف بعمق أكثر والتحليل بشكل أدق وأكثر تركيزاً للظواهر التي تكون دورة الحياة لهذه الوحدة. و "الحالة" الجيدة هي ما كانت واضحة المعالم، بحيث تكون حالة محددة يمكن توصيفها لتتميز عما سواها، وتكون دراسة الحالة

ذات طابع شمولي، بحيث لا تكون جانبا واحدا من حالة معينة، فتربط الحالة الداخلي أمر مهم لتكون مؤهلة للدراسة. ويفضل أن يكون هناك تنوع في مصادر البيانات والمعلومات الخاصة بالحالة المدروسة. ويمكن استخدام جميع المعلومات الممكنة كمية كانت أو نوعية، لكن أسلوب الملاحظة هو العنصر الرئيس في دراسة الحالة.

2. الاثنوجرافي

اشتهر هذا النوع من البحث النوعي لدى علماء الاجتماع والدراسات الانثروبولوجية. وبعض المراجع تجعل هذا الاسم مرادفا للبحث النوعي. فالاثنوجرافي تعني الكتابة عن البيئة الثقافية لشعب ما أو مجموعة تكون وحدة ثقافية. فهو نوع من البحث يهتم بالوصف التفصيلي المتعمق لبيئة ثقافية ما. وقد تكون هذه الثقافة ثقافة مدينة أو مجتمع أو مدرسة أو صف دراسي أو نحو ذلك.

3. النظرية المؤسسة Grounded theory

النظرية المؤسسة تعني بناء نظرية من خلال تحليل البيانات، ومن خلال الترقى بالبناء على الأنساق والأنماط التي يكشف عنها التحليل. فمن خلال التصنيف الأولي للبيانات والمؤلفة بينها تتشكل الأنساق وتتضح بشكل أكثر تجريدا، ومع تعدد تلك الأنساق ووضوحها يمكن أن تكون نظرية تمتد جذورها للبيانات الأولية. وهذا ما يسمى بالنظرية المؤسسة، بمعنى أن الباحث يسلك مسلكا استقرائيا بحثا بحيث ينتقل من البيانات إلى النظرية وليس من النظرية إلى تحليل البيانات.

في البحث النوعي لا يسعى الباحث لأن تكون العينة ممثلة إحصائيا، كما في البحث الكمي. بل العينة يقررها الباحث بناء على الهدف من بحثه والسياق الذي يتم فيه البحث، بما يضمن توفر معلومات كافية للوصول لفهم أعمق لمجتمع الدراسة. فالقصد ليس الخروج بنتائج يراد تعميمها، بل التعمق في فهم الحالة أو لظاهرة المدروسة.

البحوث الكمية

هو طريقة منظمة ومُنسقة لجمع وتحليل البيانات التي تم جلبها من مختلف المصادر ويتطلب استخدام الأدوات الحاسوبية والإحصائية والرياضية لاستخلاص النتائج. يسعى البحث الكمي إلى قياس المشكلة وفهم مدى تأثيرها بالبحث عن نتائج قابلة للقياس على عدد أكبر من الأفراد.

من جانب آخر، يُعد البحث الكمي أكثر استكشافية من غيره ويعتمد على جمع البيانات الشفهية أو السلوكية التي يُمكن تفسيرها بشكل غير موضوعي. يتسم بمداه الواسع وغالباً ما يُستخدم لبيان مُسببات المشاكل المحتملة، حيث يُسلط الضوء على عدد من أوجه أي مشكلة تسويقية. وكثيراً ما يُجرى البحث الكمي قبل أو بعد البحوث النوعية، بحسب الدراسة وأهدافها.

تسعى الشركات التي تستخدم الأبحاث الكمية بدلاً من الدراسات النوعية إلى قياس المدى وتحري النتائج الإحصائية التي يتم تفسيرها بموضوعية. وبينما تتباين نتائج الأبحاث النوعية بحسب مهارة المراقب، فإن نتائج الأبحاث الكمية يتم تفسيرها بطريقة مماثلة إلى حد كبير من قبل جميع الخبراء.

ويختلف نوعا البحث كثيراً، ليس فقط فيما يخص النتائج وإنما أيضاً حيث أن البيانات النوعية تقدم منظوراً غير موضوعي عن مشكلات التسويق، بينما تعطي المعلومات الكمية نظرة على العلاقة بين مسببات وتأثيرات تلك المشكلات.

فرق ملحوظ بين نوعي الأبحاث يتمثل في طرق وأساليب جمع البيانات، والتي تُعد من أهم خطوات البحث الكمية وتتطلب قيام باحث بإعداد واستخلاص المعلومات المطلوبة من الجمهور المستهدف.

أما عملية إعداد البيانات فتستوجب تحديد هدف جمع المعلومات وأساليب استخلاصها وترتيب خطوات الحصول عليها. ومن أهم أوجه هذه العملية هو اختيار العينة المناسبة، ومن ثمة جمع المعلومات فقط من الأشخاص ذوي الصلة الملائمين لأهداف الدراسة. تُعرف هذه المجموعة من الأشخاص بكونها القطاع المستهدف ويتشاركون سمات مماثلة على مدى عدة متغيرات.

أما أدوات جمع البيانات بالنسبة إلى الأبحاث الكمية فتتجسد في الاستقصاءات والاختبارات التي قد تُثمر عن نتائج علمية محددة فيما يخص مُسببات وتأثيرات عدة عوامل مستقلة أو متصلة فيما يخص مشكلة ما.

وتكون أكثر الأساليب شيوعاً لإجراء الأبحاث الكمية هي الاستقصاءات أو الاستبيانات التي قد تشمل المقابلات – ومنها المقابلات الشخصية والمقابلات الهاتفية أو عبر الإنترنت، وكذلك الاستبيانات الإلكترونية.

ويأتي بعد ذلك تحليل البيانات التي تم جمعها وهي عملية تتطلب أدوات وخطوات مُنظمة مثل الاختبارات البيانية المتنوعة والحسابات التباينية وغيرها.

كما أن البحث الكمي على النقيض من البحث الكيفي فإن البحث الكمي يبحث عن الأسباب والحقائق من منظور وعن العلاقات بين المتغيرات حتى يمكن تفسير علاقات السبب والنتيجة بين هذه المتغيرات، ويصبح من الممكن التوصل إلى تنبؤات دقيقة بخصوص الظاهرة أو الظواهر محل الدراسة.

وبعكس الحال في البحوث الكيفية فإن البحوث الكمية تهدف إلى اختبار المتغيرات التجريبية ، وفى ذات الوقت التحكم في أو ضبط المتغيرات الاعتراضية التي تظهر في محيط أوسياق الدراسة، ومن خلال ذلك فإن العلاقات بين المتغيرات يمكن تعميمها كما يمكن التنبؤ بها في المجالات أو مجتمعات البحث المشابهة .

ويهدف البحث الكمي إلى اختبار النظريات ويعمل الباحثون هنا بطريقة قياسية، ويتم ذلك من خلال تحديد النظرية الموجودة فعلاً في الأدبيات السابقة ، ويحصلون على المفاهيم والتعريفات اللازمة ، ويتم افتراض العلاقات بين المتغيرات ثم جمع البيانات وتحليلها إحصائياً ، وعلى ضوء النتائج التي يتحصل عليها الباحث يتم قبول أو رفض الفرضيات ، ومن ثم قبول أو رفض النظرية أو تعديلها.

وفى ظل البحوث الكمية يتم تصميم الدراسة ووضع الفرضيات ووصف المتغيرات وأسلوب قياسها ...الخ. عند إعداد مشروع الدراسة وقبل البدء فى جمع البيانات بعكس الحال فى البحوث الكيفية.

ويلاحظ أيضاً أن المفاهيم التي يتم استخدامها في البحوث الكمية يتم تعريفها إجرائياً حتى يمكن اختبار الفرضيات التي تم تحديدها من البداية، ويجب أن يتأكد الباحث من أن المقاييس المستخدمة مثل قائمة الاستقصاء) هي مقاييس صادقة وثابتة من خلال إجراء اختبارات الصدق والثبات المعروفة، وبعد القيام بالإجراءات السابقة يتم جمع البيانات وتبويبها بشكل كمي أو رقمي ثم يجرى عليها التحليل الإحصائي للوصول إلى نتائج البحث، ويلاحظ أن التحيز الموجود في المدخل الكيفي يتم ملاقاته من خلال الاختيار العشوائي لمفردات العينة من مجتمع البحث.

وصفوة القول أن الهدف من البحث الكمي هو اختبار النظرية بأسلوب قياسي من خلال ثبوت أو عدم ثبوت صحة الفرضيات التي حددها الباحث في مشروع البحث إلا أنه تجب الإشارة إلى أن البحث الكمي يعاني أيضاً من بعض الأخطاء مثل أخطاء المعاينة والأخطاء الأخرى مثل أخطاء القياس، وهناك احتمال لتحيز الباحث في أي مرحلة من مراحل البحث .

متى يتم استخدام المدخل الكمي في البحث ؟

يتم استخدام البحوث الكمية عندما تكون هناك معرفة متوفرة حول الموضوع الذي يرغب الباحث في دراسته ، بمعنى أن هناك نظريات محددة وأدبيات سابقة تتوفر لدى الباحث، بعكس الحال في البحوث الكيفية ، كما أن درجة وضوح الظاهرة أو المشكلة محل الدراسة تمكن الباحث من استخدام المدخل الكمي في البحث ، هذا إضافة إلى توفر مقاييس ثابتة وصادقة إحصائياً عن المتغيرات المراد دراسة العلاقات بينها، وسوف نورد في الجزء التالي مباشرة عدداً من المعايير التي تساعد الباحث عند اختياره بين المدخلين الكيفي والكمي.

أوجه الفروق والتشابه بين البحوث النوعية والكمية

البحوث النوعية	البحوث الكمية	تسلسل
يعتمد أسلوب الملاحظة والمقابلة والمراجع بعيداً عن الأساليب القياسية والإحصائية. يجري الباحث قياساته بمرونة أكبر في الزمان والمكان، فقد يقيس الظاهرة من بدايتها أو في أي نقطة أخرى من عملية التفاعل الاجتماعي، بهدف إلقاء الضوء على العلاقات القائمة.	تستخدم مقاييس واختبارات أو قوائم تقدير لجمع البيانات والمعلومات ذات الصلة بالحدث أو الظاهرة قيد الدراسة. لا يمتلك الباحث مرونة زمنية ومكانية لتنفيذ البحث أو الظاهر قيد الدراسة.	1
لا يسيطر على أي من المتغيرات.	يمارس الباحث سيطرة تامة على جميع المتغيرات ذات الصلة بالمتغير التابع.	2
تكتب التقارير بلغة تخلو من المصطلحات المعقدة، طريقة عرض النتائج بأسلوب قصصي وسردي.	تستخدم في كتابة التقرير الجداول والأشكال البيانية.	3
حجم العينة كبير وعشوائية الاختيار	حجم العينة صغير وغير عشوائية	4

	الاختيار.	
البيانات لا تخضع لاختبارات إحصائية.	البيانات تخضع لاختبارات إحصائية دقيقة.	5
نتائجها تخضع لتفسير ورأي الباحث (Subjective)	نتائجها تخضع لمعادلات إحصائية وهي نهائية (Objective)	6
دقة وصحة نتائجها تعتمد على مهارة الباحث.	دقة وصحة نتائجها تعتمد على معرفة استخدام آلة القياس.	7
يستنزف وقت أطول في عملية تحليل البيانات، ووقت أقل في عملية إعداد المقترح البحثي.	يستنزف وقت أطول في عملية إعداد المقترح البحث، ووقت أقل في عملية تحليل البيانات.	8
يعبر عنه بالنص.	يعبر عنه بالأرقام.	9
إجمالاً يحتاج لوقت طويل مقارنة بالبحث الكمي.	إجمالاً يحتاج لوقت قصير مقارنة بالبحث النوعي.	10

نظرة على خطط البحوث النوعية

خطوات اعداد البحث العلمي/ التربوي

- 1- اختيار وتحديد مشكلة البحث
- 2- مراجعة الادبيات (الاطار النظري، الدراسات السابقة) ذات الصلة بالموضوع.
- 3- اشتقاق الفرضيات وصياغتها.
- 4- تصميم مخطط البحث وتحديد خطواته الإجرائية (المجتمع، العينة، القياس..).
- 5- جمع وتحليل البيانات والمعلومات.
- 6- عرض النتائج والتوصيات.
- 7- كتابة تقرير البحث.

الخطوات التطبيقية التي يمر بها البحث العلمي/التربوي

أولاً: اختيار موضوع البحث

ثانيا: إعداد خطة البحث.(الخطوط العريضة التي يسترشد بها الباحث عند تنفيذ البحث) ، ومنها:

- 1- تحديد مشكلة البحث .
- 2- اختيار عنوان مناسب للبحث
- 3- تحديد حدود البحث الزمانية والمكانية .
- 4- ملخص مختصر لأهم الدراسات السابقة في نفس مجال البحث
- 5- بلورة أهداف البحث .
- 6- تحديد فروض البحث إن وجدت .
- 7- عرض إجراءات البحث التي ستستخدم (المنهج- المجتمع –العينة- ادوات الدراسة).
- 8- المراجع.

ثالثا: تنفيذ البحث

(تطوير أدوات الدراسة، جمع البيانات، تحليلها وتفسيرها).

رابعا: مرحلة كتابة البحث

مفهوم مشكلة البحث

إن الإنسان يعيش في بيئة، ويتفاعل معها باستمرار، ويتولد نتيجة هذا التفاعل عدد من الحاجات والمواقف والصعوبات. فمثلا: لذلك، فهو يواجه مشكلة.

مثلا : مدرس يشعر بعدم اهتمام طلابه للمادة التي يدرسها ولا يعرف سببا

! فيقول : لماذا لا يهتم طلابي بدروسهم في هذا المبحث؟ هل هذا يرجع إلى أسلوبى ؟ أو إلى شيء آخر؟ فالمشكلة إذن :

هي موقف غامض لا نجد له تفسيراً محدداً. أو سؤال يحتاج إلى إجابة.

وعندما تحدثنا عن البحث العلمي قلنا أنه هو الوسيلة التي يمكن بواسطتها الوصول إلى حل مشكلة محددة أو اكتشاف حقائق جديدة عن طريق جمع المعلومات الدقيقة، والشواهد، والأدلة، والحقائق في إطار قوانين عامة، لها مناهجها الواضحة .

مشكلة البحث

- هي أحد أهم الأوجه المهمة للبدء في عمل دراسة بحثية.

- لابد للباحث من تحديد المجال العام للدراسة البحثية، كما يتوجب أن تكون له المعرفة والخبرة في ذلك المجال وذلك من أجل قيامه بتوجيه أسئلة يمكن إجابتها من خلال البحث.
 - حين يتم اختيار المجال .. يجرى عادة تضيق الموضوع العام في عبارة محددة لمشكلة البحث.
 - وعادة ما تشير عبارة المشكلة بوضوح إلى ما يجب بحثه. وقد تكون الصياغة للمشكلة في جملة خبرية أو سؤال.
- وفي كلتا الحالتين يتحتم على صياغة الإشارة إلى المتغيرات ذات الأهمية والعلاقة المحددة بين المتغيرات التي سوف تجرى دراسته.

طبيعة المشكلات

هناك نماذج مختلفة من المشكلات في التربية والمشكلة توضح ما يود المرء معرفته كما تقوم بتحديد طريقة للشروع في دراستها للحصول على المعرفة.

مصادر المشكلات

- **الخبرة:** خبرة الباحثين الذاتية كمارسين تربويين (مثلا: مشكلة امتحان الثانوية العامة وفاعليته، مشكلة التعليم المهني، مشكلة اعداد المعلم).
- **الاستنتاجات من النظرية:** يمكن للاستنتاجات التي يتم اشتقاقها من نظريات تربوية ان تكون مصدرا جيدا لمشكلات بحثية (مثلا: نظرية التوقع .. توقعات المعلم لها أثر على انجاز التلاميذ).
- **الأدبيات/ الدراسات السابقة -** تساعد مراجعة الدراسات في:
 - صياغة أسئلة بحثية تعتبر الخطوة المنطقية التالية من استقصاءات سابقة.
 - رؤية ما إذا كان بالوسع تكييف الأساليب المستخدمة لحل مشكلات أخرى.
 - توحى مراجعة الادبيات الرغبة في التكرار لتأكيد استنتاجات سابقة.
 - قابلية تطبيق نتائج البحوث في ثقافات أخرى.
 - قد تسفر المراجعة عن اكتشاف عدم ثبات وتناقضات أو عدم رضا فيما يخص التصور العقلي، والمنهجية والقياس والتحليل الاحصائي المستخدم.

- **مصادر غير تربوية** (قضايا مجتمعية مثل: حركة الحقوق المدنية أثرت على وجود دراسات حول تعليم الأطفال من عرقيات مختلفة).

كيف تختلف مشكلة البحث عن باقي أجزاء البحث:

موضوع البحث: هو المادة العريضة التي يريد الباحث أن يتناولها، مثلا: موضوع الدروس الخصوصية، موضوع امتحان الثانوية العامة.

مشكلة البحث: قضية تربوية عامة يدرسها الباحث وتؤدي إلى تضيق موضوع الدراسة. فمثلا للموضوع السابق المشكلة التي يريد الباحث دراستها هي علاقة الدروس الخصوصية بالمستوى التعليمي في مدارسنا.

الغرض: هو القصد الرئيس أو الهدف من الدراسة التي يستخدم لمعالجة المشكلة.

تساؤلات البحث: تساعد على تضيق الغرض في أسئلة محددة التي يريد الباحث أن يجيب عليها في الدراسة.

مثال عام:

الموضوع: الدروس الخصوصية.

مشكلة البحث: ازدياد اعداد طلبة المرحلة الاساسية الدنيا الذين يلجأون للدروس الخصوصية.

الغرض من البحث: دراسة أسباب الدروس الخصوصية في المرحلة الأساسية الدنيا.

أسئلة البحث:

1- هل المناهج من حيث الصعوبة، الكثافة، .. (في المرحلة الأساسية الدنيا لها علاقة بلجوء الطلاب إلى الدروس الخصوصية؟

2- هل طريقة التدريس في المرحلة الأساسية الدنيا لها علاقة بلجوء الطلاب إلى الدروس الخصوصية؟

ما شروط بحث المشكلة:

1- يمكن دراسة المشكلة إذا كان الباحث يعتقد أن النتائج سوف تسد فراغا في المعرفة المرتبطة بمجال الباحث.

- 2- يمكن دراسة المشكلة إذا كانت المشكلة التي يريد الباحث دراستها تكرر دراسة سابقة ولكن باستخدام عينات مختلفة في مواقع جديدة.
- 3- يمكن دراسة المشكلة إذا كانت دراستها تمتد بالبحوث السابقة أو تقوم بدراسة الموضوع بدقة وعمق أكبر.
- 4- من العوامل التي تشجع على القيام بالدراسة أن يترتب على دراسة المشكلة سماع أصوات اناس آخرين غير الذين سمعت أصواتهم من قبل.
- 5- يمكن دراسة المشكلة إذا كانت دراستها تؤدي إلى التعرف على وسائل تقنية جديدة أو الاعتراف بقيمة ممارسات تاريخية أو ممارسات حالية.

صياغة المشكلة:

ويجب أن تكون عبارة المشكلة واسعة بشكل معقول حتى تغطي أسئلة البحث الأكثر تحدياً، والتي يحاول البحث استقصاءها. ويمكن ذلك عن طريق استخدام مصطلحات واسعة تعبر عن عدة متغيرات .

تسعى المشكلة إلى استقصاء أثر المتغير أو المتغيرات المستقلة (مثلاً: المتغيرات الديموجرافية ودرجات المواد الدراسية) على المتغير التابع (مثلاً: اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية في مجتمع محدد طلبة المرحلة الثانوية).

ويلاحظ عند صياغة المشكلة لا بد أن تبرز العبارة أو التساؤل ثلاثة عناصر أساسية للمشكلة وهي:

- المتغيرات موضوع المشكلة.
- العلاقة بين المتغيرات التي تشملها المشكلة.
- المجتمع الذي نرغب في دراسته.

مثال ذلك قد نصوغ مشكلة على النحو التالي(عبارة خبرية أو سؤال):

- ما أثر برنامج ارشادي جمعى على الصحة النفسية للأطفال الأيتام؟

الفروض والعلاقات:

بالإضافة إلى أننا نستطيع صياغة المشكلة في عبارة خبرية أو سؤال، من الممكن أن توجه المشكلة نحو دراسة الفروق بين مجموعة من المتغيرات، أو دراسة العلاقة بينها. والمثال السابق عن طريقتي القراءة مثال لدراسة الفروق بين المتغيرات.

وفيما يلي مثال لمشكلتين تحددان دراسة علاقات بين المتغيرات:

- 1- تهدف هذه الدراسة إلى تحديد العلاقة بين الذكاء والابتكار وثلاثة أساليب في التعلم لدى لدى الطلبة المتوقفين في المرحلة الإعدادية.
- 2- ما العلاقة بين مهارات القيادة والذكاء وادافع الانجاز لدى طلبة المرحلة الثانوية؟

معايير صياغة المشكلة:

يقصد بصياغة المشكلة تحويلها الى سؤال بحثي (يكون الاهتمام بتحديد المشكلة البحثية، لماذا تتم دراستها ..

الأسئلة تتضمن ماذا يريد أن يعرف ؟ ولماذا يريد أن يعرف.

- يجب أن تكون صياغة المشكلة في عبارة محددة أو سؤال واضح.
- يجب أن توضح المشكلة علاقة بين متغيرين أو أكثر مع تحديد المجتمع الذي تشمله الدراسة.
- يجب أن تكون المتغيرات متفقة مع المتغيرات التي تعالجها أدوات الدراسة في الجزء الخاص بالإجراءات.
- كما يجب أن يكون المجتمع كما حددته المشكلة متفقا مع عينة البحث أو الأفراد الذين تشملهم الدراسة.
- يجب أن تكون المشكلة قابلة للبحث أو التحقق الأمبيرقي.

مثال:

عنوان الدراسة: تدنى الانتاجية العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية بالجامعات الفلسطينية وسبل تطويرها.

أسئلة الدراسة:

- 1- ما العوامل التي تقف وراء تدنى الانتاجية العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية بالجامعات الفلسطينية؟
- 2- ماهى الاستراتيجيات الواجب استخدامها لتحسين الانتاجية العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية بالجامعات الفلسطينية؟

تقويم المشكلة البحثية:

- يجب أن تكون المشكلة من النوع الذي لا يجاب عليه إلا عن طريق البحث.
- يجب أن يتأكد الباحث من أن دراسة المشكلة يؤدي إلى عمل إضافات للمعرفة التربوية.
- يجب أن تتضمن المشكلة مبدأ هاماً، يتررب على دراسته نتائج مهمة للنظرية التربوية أو العملية التربوية.
- يجب أن تكون المشكلة الجديدة، ولذلك يجب أن يبنى الباحث مشكلته على البحوث السابقة، وإلا فإنه قد يضيع جهده دون طائل إذا اكتشف أن العمل الذي يقوم به ليس إلا تكراراً .
- يجب أن يبين الباحث أن المشكلة التي سوف يترتب عليها اقتراح مشكلات جديدة تساعد على استمرار البحث في مجال المشكلة في المستقبل وبذلك تساعد على تطور المعرفة وتقدمها.
- لا بد أن يتحقق من جدوى دراسة المشكلة التي اختارها.

الأمثلة التالية بيانات غير ملائمة لمشكلات بحثية.

- تدريب عملي 2

- أعد صياغة كل منها بحيث تصبح سؤالاً محدداً وملائماً للبحث.
- أ. المفهوم الذاتي الأكاديمي في تعليم المراهقين المعوقين.
 - ب. توقع التحصيل في السنة الأولى في كلية الحقوق .
 - ج. اختلاف الجنس وقدرات التفكير الرياض ي للمتميزين من ذوي أعمار ما قبل المراهقة.
 - د. الصحة النفسية للمراهقين.

صياغة عنوان البحث

ينبغي أن تتوفر ثلاث صفات أساسية في العنوان الجيد:

- الشمولية : (أن يشمل العنوان متغيرات الدراسة، المجتمع).
- الوضوح : (أن يكون العنوان واضحاً في مصطلحاته).
- الدلالة : (أن يكون العنوان محدداً لموضع البحث ودالاً عليه دلالة واضحة ومحددة).
- يفضل أن لا يزيد عدد الكلمات في العنوان عن 15 كلمة.

تمرين 2

اختر 5 اصدرات علمية (رسائل ماجستير، دراسات علمية منشورة في مجلات محكمة، رسائل دكتوراة). اكتب عنوان الدراسة ثم بين وجهه نظرك فيه من حيث الصياغة.

عناصر خطة البحث

(خطة البحث هي وصف تفصيلي لدراسة مقترحة تصمم لاستقصاء مشكلة معينة).

- 1- عنوان البحث.
- 2- المقدمة.
- 3- تحديد مشكلة البحث.
- 4- تحديد فروض البحث إن وجدت.
- 5- أهمية البحث وأهدافه ومحدداته.
- 6- ملخص لأهم الأدبيات والدراسات السابقة في مجال البحث.
- 7- عرض إجراءات البحث التي ستستخدم (المنهج- المجتمع- العينة- أدوات الدراسة- تصميم البحث).
- 8- التعريف بالمصطلحات.
- 9- مصادر البحث.

تعريف مصطلحات البحث:

المفهوم Concept :

عبارة عن تجريد لملاحظاتنا لخصائص الأشياء والأحداث- وهو رمز يمثل المعنى الذي نتمسك به- وهو نداء منطقي يتولد من خلال انطباعنا وإدراكنا وخبرتنا.

الوزن مثلاً مفهوم لأنه يعبر عن الملاحظات العديدة للأشياء التي يمكن وصفها بأنها ثقيلة أو خفيفة. المفهوم يبسط تفكيرنا بتوحيده بين عدد من الأحداث تحت عنوان واحد عام.(أمثلة: التحصيل، الانجاز، الذكاء .. مفاهيم تعبر عن أنواع معينة من السلوك الإنساني).

التكوين الفرضي Construct

التكوين الفرضي هو تصور فكري متعلق بالمفهوم وأبعاده أو هو أفضل ما يتوصل إليه العلماء في وقت ما لتوضيح سمة أو شيء معين.

وهو مفهوم صمم بشكل مقصود لغرض علمي خاص- لا يمكن ملاحظته بشكل مباشر.(مثلاً: الذكاء كمفهوم نظري يدخل الذكاء ضمن مخطط نظري يرتبط فيه بطرق متعددة ببعض التكوينات الأخرى غير الذكاء كتكوين فرضي الذكاء محدد معرف حتى يمكن ملاحظته وقياسه).

التعريف الإجرائي Operational definition

هو التعريف الذي يعرف المفاهيم أو التكوينات بتحديد الأنشطة أو الإجراءات الضرورية لقياسها. مثلاً: الذكاء - الدرجة التي نحصل عليها من اختبار الذكاء المعد في الدراسة(مثلاً: الإثابة - استخدام المديح عندما يقوم فرد بإعطاء الاستجابة الصحيحة).

المسلّمات هي عبارات تعبر عما يعتقد الباحث أنها حقائق ولكنه لا يستطيع تحقيقها.

حدود الدراسة هي إطار الدراسة

كيف يكون البحث أصيلاً:

- اسهامه في النظرية.
- اسهامه في تطوير أداة قياس جديدة.
- يسهم في تقييم أبحاث موجودة من خلال منهجية معينة في تحليل البيانات.
- له دور في تطوير عمل سابق.

الأصالة يمكن تحقيقها من خلال:

- منهجيات جديدة.

- أدوات جديدة.
- جوانب بحثية جديدة.
- جوانب معرفية.
- استخدام بيانات.
- تطوير نظرية موجودة.
- تطبيق النظرية فى جوانب معرفية جديدة.
- تركيب أفكار.
- بيانات تم الحصول عليها من عينات مختلفة.

فالبحت الأصيل ليس إلا " فكرة جادة، وعملا متقناً، يستند إلى بصيرة مشفوعة بهداية الله ومصحوبه بتوفيقه"

مثال : اختر حقلاً واسعاً يمكن أن تهتم به فى قيامك ببحث ما ثم اختر إحدى أوجه هذا الحقل الواسع. وحدد مشكلة بحثية تثير اهتمامك فى تتبعها. ثم اكتب المشكلة بصيغة معدة للبحث .

الدرس الثاني

البحوث النوعية

العنصر الأول : نقد وتقييم البحوث النوعية.

العنصر الثاني : الخطوات الأساسية للبحوث النوعية .

العنصر الأول : نقد وتقييم البحوث النوعية

قبل الحديث عن نقد البحوث النوعية ، سيتم تناول مجالات البحوث النوعية ، وتنقسم كالاتي:

مجالات البحث النوعي :

من الصعب تحديد جميع المجالات التي يمكن أن يتناولها البحث النوعي، ولكن من أهمها هو السعي لاكتشاف مواقف واتجاهات الناس تجاه القضية المبحوثة، من حيث سلوكياتهم، القيم ، الدوافع والتطلعات، الثقافة وأنماط الحياة.

أما طرق جمع المعلومات فأشهرها:

- المقابلات تسجل صوتيا -ثم يتبعها بالكتابة.
- المذكرات اليومية (مثلا المذكرات التقييمية التي يكتبها المدرس حول تقدم الطلاب في مهارة ما).
- الملاحظات (حقلية).
- الوثائق وتشمل:
- التقارير والخطط والكتيبات والمنشورات.

أما بالنسبة للحديث عن مميزات وعيوب البحوث النوعية ، فنتمثل في النقاط التالية :

- أما المميزات لهذه الطريقة فهي كالتالي:
 - أنه يمكن القيام بها بسرعة .
 - بها من المرونة الشيء الكثير.
 - تتيح للباحث والقارئ الكثير من التوضيح.
 - امكانية المتابعة والتطوير.
 - كم هائل من المعلومات التي قد لانستطيع ايجادها من الطريقة الكمية.
 - تمكين المشاركين لكي يدلوا بأصواتهم ووجهات نظرهم وهذا بخلاف الكمية التي تحدد وتحصر أسباب المشكلة مثلا في مجموعة من المتغيرات أو النقاط.
- أما السلبيات في اتخاذ هذه الطريقة منها فهي كالتالي:
 - التكلفة العالية لأنه يطلب من الباحث أن ينتقل من مكان لآخر ويصرف الكثير من الوقت في عمل المقابلات وجمع المعلومات .
 - صعوبة اتمامها بشكل جيد.

- قد لا تكون مركزة بشكل كبير (تضيق الوقت كثيرا خصوصا للمبتدئين – قد تصل لنقطة مسدودة – قد تفتح لك مواضيع كثيرة لا تستطيع أن تركز بؤرة بحثك في نقطة معينة) .
- صعوبة التعميم بها لأن العينة بها قليلة .
- تستهلك الكثير من الوقت في التحليل.
- أما الاسباب التي تدفع الباحث لاختيارها يتمثل في الآتي:
- إذا كان الهدف من البحث هو الكشف عن المعاني الدقيقة والعميقة للموضوع.
- وذلك من أجل الحصول على معرفة أكبر – أو كانت الفكرة معقدة أكثر مما نعتقد وتحتاج لفك الكثير من الطلاس.
- إذا كانت النظرية غير مكتملة الجوانب أو غير متاحة للجميع لفهم الموضوع أو المشكلة.
- إذا كان مجتمع الدراسة صغيراً جداً (مثلا رواد الفضاء في العالم العربي) (بعض الأمراض السلوكية التي تكون غير منتشرة بشكل كبير) .

إذا كان من الصعوبة بمكان استخدام الطريقة الكمية مع المشاركين في الدراسة فمثلا لا يمكن استخدام الاستبيان الالكتروني في موضوع قياس مدى سعادة الأطفال في عمر سنتين (هنا يجب استخدام الملاحظة والمقابلة مع الأم أو الطفل إذا كان يتكلم في عمر أكبر مثلا). أو كان المشاركين غير متعلمين فيصعب استخدام الطريقة الكمية لأنها غير مجدية معهم.

العنصر الثاني : الخطوات الأساسية للبحوث النوعية

خطوات البحث النوعي ليست منفصلة أو متميزة ؛ فهي غالبا ما تكون متداخلة وأحيانا متزامنة.

- 1- **تحديد الظاهرة موضع الدراسة :** قبل بدء الدراسة يحدد الباحث الظاهرة الخاصة بالدراسة.
- 2- **تحديد المشاركين في البحث :** يكون المشاركون عينة الأفراد الذين سوف يتم ملاحظتهم ومقابلاتهم (عينة البحث) وغالبا ما تكون قصدية.
- 3- **توليد الفروض :** لا تصاغ الفروض في بداية الدراسة كالبحوث الكمية ولكنها تصاغ بعد أن يبدأ الباحث الدراسة ، معظم الباحثين يصيغوا بعض أفكارهم كمقترحات قبل بدء الدراسة والمقترحات أدوات مرنة يمكن التخلص منها واستبدالها بحيث تساعد في توجيه عملية جمع و تحليل البيانات النوعية .
- 4- **جمع البيانات :** لا يوجد معالجة في البحث النوعي ولا يوجد أي تدخل في المفحوصين ولا يقسم المفحوصين إلى مجموعات، وجمع البيانات عملية مستمرة حيث يلاحظ الباحث

- الأفراد والأحداث بصورة مستمرة وغالبا ما يدعم ملاحظته بمقابلات متعمقة للمشاركين وفحص الوثائق والسجلات ذات الصلة بالظاهرة موضع الدراسة.
- 5- **تحليل البيانات** : يتضمن تحليل البيانات تحليل وتركيب واختزال المعلومات التي جمعها الباحث من الملاحظات والمقابلات و... إلى وصف متماسك لما لاحظته واكتشفه .
- ولا تختبر الفروض بواسطة الاجراءات الاحصائية الاستدلالية.
- 6- **التفسيرات والاستنتاجات** : تكون التفسيرات بصورة مستمرة خلال مسار الدراسة بينما يترك البحث الكمي عادة استخراج الاستنتاجات إلى نهاية الدراسة .

الدرس الثالث

القواعد الأساسية للبحوث النوعية في البحوث التربوية

العنصر الأول : أسس صياغة التساؤلات .

العنصر الثاني : خصائص ومميزات البحوث النوعية.

العنصر الثالث : الأسس النظرية للبحوث النوعية.

العنصر الرابع : البحوث من منظور إسلامي.

القواعد الأساسية للبحوث النوعية

العنصر الأول : أسس صياغة التساؤلات

إذا كان البحث العلمي ابداعاً فإن الموطن الحقيقي للإبداع يكمن في الفرض العلمي فكل تلك الإبداعات العلمية و النظريات و القوانين التي أصبحت تسري في العقول و تؤخذ مأخذ الجد إنما كانت في البداية مجرد فروض علمية.

فعملية الافتراض العلمي عملية حساسة و جوهرية في البحث العلمي؛ لذا تتطلب من الباحث جهداً كبيراً؛ فهي تتطلب أن يوسع اطلاعاته و معارفه لأن الأمر متعلق بميلاد فكرة و تخمين جديد في مجال البحث العلمي.

تعريف الفرضية العلمية

الفرضية عبارة عن مشروع علمي فهي توضع بعد تحديد مشكلة البحث أو الظاهرة المراد دراستها و كذا الاطلاع على الدراسات السابقة ذات العلاقة فإن على الباحث وضع فرضيات و هذه الفرضيات تعتبر حلول مؤقتة و أولية يجب اختبارها ،وهي كذلك تخمين ذكي و تفسير محتمل يتم بربط الأسباب بالمسببات ؛ إذن هي عبارة عن حدس و تكهن و تأخذ غالباً صيغة التعميمات؛ لذا فهي أحد ركائز البحث العلمي.

أنواع الفرضيات

1- الفرضية الموجبة أو الايجابية

تتكون هذه الفرضية من متغيرين متغير مستقل و متغير تابع، و تحدد العلاقة بين متغيرات هذه الفرضية كالتالي:

إذا زاد المتغير المستقل زاد المتغير التابع

مثال: كلما زادت احترافية الجريدة زاد الاقبال عليها.

2- الفرضية السلبية

تتحقق الفرضية السلبية إذا كان هناك زيادة في المتغير المستقل يتبعه نقص في المتغير التابع.

مثال : كلما قلت مشاهدة الأطفال للبرامج التلفزيونية زاد تحصيلهم الدراسي.

3- الفرضية الصفريّة

هي الفرضية التي تنفي العلاقة بين المتغير التابع و المستقل.

مثال : تؤدي البرامج التلفزيونية الى ارتفاع الدخل الاجتماعي.

شروط صياغة الفرضية ومصادرها

تحتل الفروض العلمية أهمية كبيرة في صياغة النظريات و بنائها وهي أداة فعالة في نشر المعرفة البشرية بما تقتضيه من علاقات بين الظواهر ورغم أن الفروض تنبع أصلاً من نسج تصورات الباحث إلا أن هناك مجموعة من الشروط و الضوابط التي يجب مراعاتها حتى تكون هذه الفروض قائمة على أسس صحيحة و هي:

1- الوضوح

يظهر من خلال البروز الواضح للمتغيرات التي يتضمنها الفرض كما يستحسن تحديد المفاهيم التي تشكل الفرضية بصورة بسيطة.

2- الإيجاز

بمعنى أن تكون العبارة التي صيغ فيها الفرض مختصرة و موجزة توحى بوجود علاقة بين المتغيرات.

3- أن تكون قابلة للاختبار والثبات

بمعنى أن يكون الفرض المصاغ قابلاً للاختبار من حيث القياس أو المقاربة أو البرهنة المنطقية ، و كذلك أن تكون الصياغة خالية من التناقض، وألا تكون منافية لوقائع علمية متفق عليها.

وليس من الضروري أن تكون جميع الفروض صحيحة.

المصادر التي تساعد الباحث على استقاء الفروض:

1- مصادر شخصية.

2- خبرة الباحث.

و هو ذلك الباحث المتخصص في ميدان معرفي معين و يكون لهذا المجال تخصصات فرعية و لديه الخبرة في هذا المجال.

مثال الاعلام و الاتصال،وهو مجال واسع و لديه تخصصات فرعية مثل الاتصال السياسي،البيئي...الخ.

فالباحث المتخصص يمكن له من تحليل مضمون الخطاب السياسي مثلا للإجابة على التساؤلات، والتي تساعده على صياغة فرضيات البحث.

3- الخيال العلمي

يشمل خيال الباحث و قدرته على الربط المنطقي بين خياله و الواقع و هذا مايسمى بالقدرة الابداعية لأنه ينطلق من ملاحظة و تجربة سابقة.

4- المصادر البيئية

تشير إلى المجتمع و المحيط الذي يعيش فيه الباحث حيث إنه يمكن التوصل إلى الفرضيات من خلال إجراء مقاربات متكررة انطلاقا من الملاحظات المتوصل إليها في الواقع.

تعريف التساؤلات

هي أسئلة استفهامية تلي السؤال الرئيس مباشرة ، و يضعها الباحث ليشير من خلالها النتائج المتوقعة في البحث على مستوى كل محور من محاور الدراسة عن طريق ربط تساؤل بمحور معين و يكون عددها غير محدد.

تفيد التساؤلات في تحديد المحاور الأساسية للدراسة وعدم خروج هذه الأخيرة عن هذه المحاور و كذا جعل عملية التحليل تسير نحو الأهداف المبتغاة من البحث.

صياغة التساؤلات

تكون صياغة التساؤل في شكل استفهامي يطرح فيه الباحث ما يتوقعه من نتائج على مستوى المحور المقصود مثلا لو أردنا دراسة وصفية لجوانب ضعف الاعلام العربي في مواجهة الدعاية الصهيونية فإن التساؤل الذي تقوم بصياغته يكون كالتالي: هل قام الاعلام العربي باستغلال تناقضات الخطاب السياسي الاسرائيلي في مواجهة الدعاية الصهيونية؟.

أهداف التساؤلات

إن الهدف الرئيس من التساؤلات هو استخدامها على مستوى الدراسات الوصفية و كذا ضمان سير عملية التحليل في محاورها الأساسية نحو أهدافها المحددة في البحث.

الفرق بين الفروض والتساؤلات

تصاغ التساؤلات غالباً في الدراسات الوصفية الاستطلاعية التي تسعى إلى التعرف على خصائص الجمهور من خلال الواقع دون تجاوز هذا الوصف إلى بناء علاقات واختبارها، وهذا يكون غالباً في التخصصات التي لا تحتوي على تراكم معرفي كبير، بينما الفرضيات تصاغ في الدراسات التجريبية التي تستهدف وصف أو اختبار العلاقات السببية، وهذا يكون غالباً في التخصصات التي تحتوي على رصيد معرفي مثل تخصص علم الاجتماع.

العنصر الثاني : خصائص البحوث النوعية

تتمثل خصائص البحوث النوعية فيما يلي :

البحث النوعي يركز على وصف الظواهر والفهم الأعمق لها، ويختلف عن البحث الكمي الذي يركز عادة على التجريب وعلى الكشف عن السبب أو النتيجة بالاعتماد على المعطيات العددية. فالسؤال المطروح في البحث النوعي سؤال مفتوح النهاية ويهتم بالعملية والمعنى أكثر من اهتمامه بالسبب والنتيجة.

يمكن القول أننا بحاجة للتعرف عن كتب على مناهج البحث النوعي، لما لها من قدرات عظيمة في سبل أغوار المشكلات الاجتماعية والإعلامية، والوصول إلى جذور المشكلات بعيداً عن السطحية والركض وراء الأرقام وآراء الناس واتجاهاتهم. هذا لا يعني عدم أهمية البحث الكمي فهو له قدراته وأهدافه ومميزاته لكن مما لا شك فيه أنه له عيوبه خاصة في مجتمعاتنا العربية. علماً أن هذين النوعين مكملان لبعضهما البعض، وأننا نحتاج لإجراء دراسات عملية باستخدام هذين النوعين بناء على طبيعة المشكلة وماهية السؤال المطروح.

"فالبحث النوعي يتطلب كثير من التحضير والتخطيط. والباحث يجب أن يكون مدرباً في مجال تقنيات المراقبة واستراتيجيات المقابلة ، وغيرها من طرق جمع البيانات لحل مشكلة البحث. والباحث يجب أن يكون على دراية جيدة في مجال الدراسة بحيث يمكنه فصل المعلومات الهامة من التفاصيل التافهة . وعلى الباحث أن يكون قادراً على التعامل مع كميات هائلة من البيانات والعثور على أمر ذي مغزى في ما قد يبدو فوضى كاملة. والتحقق من أن وقائع فردية منفصلة تؤدي إلى نفس النتيجة.

فقوة البحث النوعي مستمدة أولاً من المنهج الاستقرائي، ويركز على الحالة البحثية من خلال الكلمات بدلاً من الأرقام.

العنصر الثالث : الأسس النظرية للبحوث النوعية

أيّ بحث علمي يتكوّن من مجموعة من الخطوات، لا بد أن نتخيّلها في أذهاننا، وأن نتصوّرّها تصوّرًا؛ حتى نسير على هديها؛ وهي تُشبه أن تكون خريطة، كالخريطة التي تكون في يد السائح، أو ملخصًا للأعمال التي سيقوم بها إنسان مكلف في مهمّة عمليّة.

وهذه الخطوات هي:

أولاً: اختيار موضوع البحث، وبيان أسباب هذا الاختيار.

ثانيًا: اختيار عنوان البحث، والشروط التي يلزم أن تتحقّق في هذا العنوان.

ثالثًا: وضع خطة أوليّة للبحث، تظهر فيها أبواب البحث، وفصوله، ومباحثه، وموضوعاته الرئيسيّة.

رابعًا: تجهيز قائمة أوليّة لمصادر البحث ومراجعته.

خامسًا: العمل في تجهيز المادة العلمية التي سيتكوّن منها البحث، وجمع هذه المادة العلميّة، وكيفية توزيعها على أبواب البحث وفصوله وموضوعاته.

سادسًا: الكتابة الأوليّة للبحث، وكيفية الصياغة، وطرق الاقتباس من المصادر والمراجع التي سيرجع إليها.

سابعًا: استكمال القراءة على ضوء ما يظهر من نقص في المادة العلميّة في أثناء الكتابة الأوليّة، أو استجابة لتوجيهات الأستاذ المشرف على الموضوع.

ثامنًا: الكتابة الثانية التي يستفيد فيها من كلّ ما وُجّه إليه من الملاحظات.

تاسعًا: عرض القراءة على المشرف، وتلقّي ملاحظاته وتوجيهاته وإضافاته، وتنفيذ هذه الملاحظات.

عاشرًا: الكتابة النهائية للصورة التي سوف يكون البحث عليها. وفي هذه المرحلة تُكتب المقدّمة، ثم الخاتمة التي تذكر فيها النتائج التي توصّل إليها في بحثه. ثم نختم ذلك كلّه بكتابة المصادر والمراجع والفهارس بالطريقة الفنية التي يدلّنا عليها علماء المناهج. وهكذا يكون لدينا عدد من الخطوات لا بدّ أن تتوفّر في كلّ بحث علمي.

وقد نضيف إلى ذلك مرحلة المناقشة، ثم الملاحظات والتعليقات التي يقولها الأساتذة، وكيف تُطبّق. ويمكن أن نتطرّق لمثل هذا الأمر عندما نصل إلى هذه النقطة من نقاط البحث الذي نتحدّث عنه.

المفروض: أن الطالب يحفظ هذه الخطوات، ويدرّب نفسه على الانتقال من خطوة إلى الخطوة التالية لها، وأن يتمّ ذلك بطريقة طبيعية مرتّبة ومنظمة. ولا يصحّ إغفال خطوة والذهاب المباشر إلى الخطوة التي تليها؛ لأن الباحث لو فعل ذلك سيضطرّ اضطراراً إلى معاودة النقطة التي عبّر بها دون أن يقوم بها. فلا بدّ من مراعاة هذه الخطوات بدقّة، والانتقال التدريجي المتسلسل؛ حتى يقوم البحث على ترابط منطقيّ وتسلسل طبيعيّ، ولا يكون فيه فجوات أو عثرات؛ لأنه إذا عبّر خطوة قبل أن يقوم بها، فسيضطرّ اضطراراً إلى العودة إليها، إمّا لأن مقتضيات البحث تُلزمه بذلك، وإمّا أن الأستاذ المشرف سيكتشف بالفعل -نتيجة لخبرته الطويلة- أنه قد عبّر بعض هذه الخطوات دون أن يقوم بها.

وعليّنا ألا ننظر إلى هذه الخطوات على أنها صعبة أو معقّدة أو أنها عسيرة التحقيق؛ لأن الأمر يبدو في أوّله على هذا النحو من بعض الصعوبة، ولكن بالتدرّب والمعاشية لموضوع البحث وتكرار القيام بالبحوث، تكون المسألة واضحة تماماً.

ويمكن لنا أن نشبّه مثل هذه المسألة في أنها تكون صعبة في بداية الأمر، ثم تسهل بعد ذلك، بموقفنا عندما نتدرّب على قيادة السيارات مثلاً، أو التدرّب على الكتابة على "الكمبيوتر"، أو اكتساب أيّة مهارة جديدة لا نكون على علم بها؛ إننا في أوّل الأمر نكون واعين تماماً بكلّ خطواتنا.

فالذي يتدرّب على قيادة السيارة يلاحظ نفسه في أوّل الأمر أنه على دراية بكلّ النّفصيات؛ لأنه يريد أن يُتقنها وأن يتمهّر فيها وأن يكون قادراً على إجادتها، ولكن بمرور الوقت يستطيع الإنسان أن يقود السيارة دون أن يلاحظ تحرك رجليه أو تحرك يديه للضغط على مؤشّر الإشارات أو مؤشّر الضوء.

وهكذا تُكتسب الأمور بالتدرّج، ولا يكون في الأمر صعوبة. فعليّنا أن لا ننظر إلى هذه المسائل على أنها صعبة أو كثيرة، ولكنها بمرور الوقت تتمّ بطريقة آليّة، وتصبح كأنها جزء من الطبيعة العقلية للباحث؛ وهذا أمر مجرّب ومعروف، وقد تعلّمه وأتقنه عشرات الآلاف من الباحثين، بل مئات الآلاف من الباحثين في كلّ مكان من العالم.

ونحن -إن شاء الله- بمعرفة هذه الخطوات، وبالتدرب عليها، سنكتسب هذه المهارات، ويكون الأمر علينا يسيرًا وسهلاً عندما نُكَلَّف بإجراء البحوث العلمية في أي مستوى من مستوياتها.

وهذه الخطوة خطوة أولية، ولكنها شديدة الأهمية؛ لأنها هي التي ستحدّد مسار الباحث، ومجال تخصصه الدقيق؛ ولذلك يجب العناية بها عناية بالغة. وعندما نتحدث عن هذه المسألة يرد على ذهننا هذا السؤال:

مَن الذي يقوم باختيار موضوع البحث؟

ولكي نجيب على ذلك، نقول: إنّ الأولى والأوفق والأكثر صوابًا، والأعون على مواصلة البحث، هو: أن يقوم الباحث بنفسه باختيار موضوع البحث، ولا يدع للآخرين أن يختاروا له هذا البحث. ويتمّ اختيار هذا البحث من الباحث نفسه، نتيجة لعدد من العوامل التي تُساعده على هذا الاختيار. ومن هذه العوامل:

- القراءات السابقة التي يجب أن يقوم بها قبل أن يسجّل موضوعاً للبحث.
 - دراسته لكتب الأساتذة ومؤلفاتهم.
 - وحضوره للمؤتمرات العلمية.
 - وإطلاعه على المجالات العلمية المتخصصة.
 - والاتّصال بالأساتذة الآخرين في مجال التّخصّص، والتشاور معهم دون كلّ ولا ملل.
- وبناءً على ذلك، سيّتضح للباحث أنّ هناك فكرة أو موضوعاً أو مشكلة صالحة للبحث، فيقوم بهذا الاختيار.

إذا قام الباحث بتحقيق هذا الأمر، فإن ذلك يُمثّل مظهرًا من مظاهر إيجابية هذا الباحث. وأنه لا يتلقّى من الآخرين، ولكنّه يفكّر ويتشاور ويحسن الاختيار، ثم يتقدّم بموضوع صالح للبحث العلمي.

وهذا المظهر الإيجابي يُعدّ صفة جيّدة جدًّا في الباحث، ويمثّل أمرًا مهمًّا جدًّا له ولبحثه؛ لأنه يدلّنا في الحقيقة على سعة المعرفة، وعلى أنه هو الذي اختار الموضوع بعد القراءات الطويلة. وإذا قام باختيار البحث، فسيكون الموضوع محبّبًا إليه، وسيحسن التفاعل النفسي معه، ويتحقّق له الاندماج فيه، ويُعينه ذلك على بذل الجهد للإنجاز. كما أنه سيكون قادرًا على تصوّر كل الخطوات التي يتكوّن منها البحث، وعلى توقّع كل المشكلات أو معظم المشكلات على الأقل،

التي يُمكن أن يصادفها في البحث، ثم يكون له القدرة والرغبة على حلّها في معظم الأحيان. هذا إذا قام الباحث باختيار موضوع البحث.

لكن للأسف الشديد- يوجد هناك بعض الباحثين -لا سيما إذا كانوا في أوائل حياتهم العلمية- يلجئون إلى الأساتذة الكبار، أو إلى بعض زملائهم القدامى؛ لكي يختاروا لهم موضوعاً للبحث العلمي؛ وهذه مسألة ينبغي الحذر منها جدّاً، ولا يصحّ الاستسلام لها، وهي محفوفة بالخطر الشديد على الباحث ومستقبله العلمي. لماذا؟

لأن الأساتذة قد يختارون للباحثين المبتدئين أو الذين يلجئون إليهم، موضوعاتٍ صعبةً على إمكانياتهم العلمية، فلا يستطيعون إنجازها. وقد يختارون لهم موضوعات بعيدة عن اهتماماتهم، فلا يتجاوبون معها. وقد يختارون لهم أجزاءً من مشكلات تعني الأساتذة في مراحل نضجهم العلمي، فلا يتمكّن الطلاب من القيام بها.

وهناك أمرٌ نفسيّ آخر، بالإضافة إلى المخاطر العلمية:

أنّ مثل هذا الباحث قد يتعوّد الاعتماد على الغير، والذي يعتمد على الغير في مسائل البحث العلمي لا يأتي منه بحث جيّد إلّا في حالات نادرة؛ لأنه كلّما خطّا خطوة يحتاج إلى أن يستعين بالآخرين. أمّا إذا اعتمد على نفسه -وهذا الاعتماد يأتي نتيجة للجهد العلمي- فإنّ مثل هذا الباحث يكون له من الشخصية القوية التي تساعد على اختيار الموضوعات، وعلى الإنجاز دون اعتماد على الآخرين.

ومن ثمّ، نوصي في هذه المرحلة -ويوصي العلماء والباحثون الكبار- بأنّ على الباحث العلمي أن يعتمد على نفسه، وعلى قراءته، وعلى المشاورات بعد أن يعرض الموضوعات؛ حتى لا يكون الباحث عالة على غيره، وحتى لا يستكين لهذا الأمر، فلا تتحقّق له الشخصية العلمية المستقلّة التي هي من الشروط التي تساعد على إنجاز هذا البحث.

ونسأل هنا سؤالاً ثانياً: كيف نختار موضوعاً، وكيف نحدّد هذا الموضوع؟ وما الشروط التي يجب مراعاتها فيه؟ والوسائل التي تمكّننا من الوصول إلى الاختيار الجيّد لموضوع البحث؟

للإجابة على هذا السؤال يجب القيام بعدد من الخطوات الداخلية:

من هذه الخطوات: أن يختار الباحث مجموعة من المصادر الأساسيّة في حقل التّخصّص. فإذا كان متخصصاً في الطب، أو في التاريخ، أو في العلوم الإسلامية، كال تفسير أو الحديث أو نحو

ذلك، فعليه أن يختار مجموعة من المصادر الأساسية المتمثلة في المصادر الكبرى لموضوع التخصص وللمؤلفات العلمية التي تصدر في هذا المجال؛ لكي يتعرف على المجال تعرفًا قريبًا مباشرًا، ولكي يستخلص من جملة القراءات المواضيع والنقاط التي ما تزال تحتاج إلى دراسة. وكثير من الأساتذة الباحثين عندما يكتبون في موضوع علمي يشيرون في أثناء الكتابة إلى النقاط التي ما تزال تحتاج إلى بحث، وعن طريق جمع هذه الإشارات من مصادر متعددة، ومن مؤلفات مختلفة في توجهاتها وفيما تناقشه من الموضوعات، يتمكن الباحث بالفعل من الوصول إلى موضوعات محددة.

وعندما يجمع المصادر والمؤلفات، والمجالات العلمية، والوسائل التي يمكن له أن يتعرف من ورائها على هذه الموضوعات، فعليه أن ينظر فيها بعناية، وأن يبحث من خلالها عن تلك الموضوعات التي ما تزال تحتاج إلى إكمال؛ وعندئذ سوف يختار الباحث موضوعًا من تلك الموضوعات التي يشير الأساتذة إلى أهميتها، أو يستنتج هو من قراءاته المتعددة المتنوعة أنها تحتل مكانة مهمة، وما تزال محتاجة إلى باحث يقوم بإجرائها وإنجازها.

ولا ينبغي التساهل في مثل هذا الموضوع، بل على الباحث أن يُراعي أقصى درجات الدقة في اختياره لهذا الموضوع؛ لأنه سيكون مجال اختياره لعدد من السنوات ربما تطول؛ حتى لا يضطر إلى تغيير الموضوع بعد قضاء وقت في محاولة إنجاز الموضوع، ثم يتبدى له ما فيه من مشكلات أو يتبدى له أنه موضوع سبقت دراسته، أو موضوع ليس له أهمية كبرى، أو موضوع سبقه إلى دراسته بعض الباحثين الآخرين، فعندئذ لا بد من التدقيق الشديد جدًا وبذل الجهد الكبير في محاولة الاختيار للموضوع الجيد.

شروط اختيار الباحث لموضوع جيد للقيام ببحثه:

الموضوع الجيد له مواصفات لا بد من مراعاتها تمامًا؛ حتى نُقرّ بأنه موضوع جيد صالح للدراسة.

فعليه أن يكون جديرًا بالحصول على الدرجة العلمية التي يبحث الباحث للحصول به عليها؛ ونقول ذلك لأن بعض الموضوعات قد تصلح لبحث صغير لا يرتقي إلى درجة الماجستير، وقد يصلح الموضوع للماجستير ولكنه لا يصلح للدكتوراه، وقد يصلح الموضوع لكي يكون موضوعًا لمقالة علمية، ولكنه لا يصلح لبحث علمي بخصائصه التي يجب أن تتوفر فيه. وهكذا لا بد أن يكون الموضوع مناسبًا للدرجة العلمية التي يسعى الباحث للحصول به عليها.

الشرط الأول:

أن يكون الموضوع ذا فائدة علمية أو أهميّة اجتماعية. نحن نسمع عن نظريات تقول: "العلم للعلم"، أو "العلم للمجتمع". العلم للعلم قد يقوم به أناس قطعوا أشواطاً طويلة جداً في البحث العلمي على مستوى الأساتذة أحياناً، وعلى مستوى المؤسسات العلمية، وعلى مستوى الدول التي لها تاريخ طويل في مجال البحث العلمي، لكننا في ظروفنا الحاضرة نحتاج إلى أن يكون العلم في خدمة المجتمع، أن نبحث في مسائل لها أهميّة، نواجه مشكلات، نحلّ صعوبات، نتعرّض لما يواجهنا من العقبات، وأن يكون البحث وسيلة من الوسائل المعاونة على إنجاز موضوعات تفيد المجتمع في سيره الحضاري وفي مواجهته للمشكلات الواقعيّة.

فالمفروض: أن الباحث يختاره موضوعاً له مثل هذه الفائدة؛ حتى يُحسّ أنه مفيد للمجتمع، وبأنه يقدم للمجتمع جزاءً ما أنفق عليه المجتمع في تحقيقه لمثل هذا البحث العلمي.

الشرط الثاني:

لا بدّ أن نلاحظ أن الموضوع يكون من السّعة ما يسمح للباحث بإجراء البحث. فبعض الموضوعات تكون ضيّقة جداً، ولا يكتشف الباحث ذلك للأسف إلاّ بعد مدة يكون قد ذهب فيها من الوقت الكثير، وعندئذٍ سيضطرّ إلى تغيير الموضوع، وسيكون قد فاتته الوقت الكبير الذي لا يستطيع أن يعوّضه؛ فلا بدّ أن يكون عنده قدرٌ من التّوقّع؛ لأن الموضوع يصلح للبحث، وأنّ فيه المادة العلمية، أو النتائج المتوقّعة تسمح له بإجراء البحث. فلا بدّ أن يكون في هذا القدر من الاتّساع؛ لكن لا يصح أن يكون الموضوع واسعاً جداً بحيث يتعدّر إتمامه في الزمن المحدّد للدرجة العلميّة.

فبعض الناس يقول: الاحتياط أن أبدأ بموضوع كبير وواسع. فشكل العنوان الذي يختاره، أو التخصص الذي يختاره يكون واسعاً جداً؛ وعندئذٍ يعجز الطالب عن إتمام البحث، أو عن الوفاء بمتطلّبات البحث، أو أن يُضطرّ في النهاية إلى أن يقدّم بحثاً مُسطّحاً ليس فيه العمق، وليس فيه المعلومات الجديدة التي يضيفها إلى العلم؛ وهذا عيب كبير جداً. فلا بدّ أن يكون الموضوع متوازناً، لا هو ضيّق جداً، ولا هو واسع جداً؛ ومن ثمّ فلا بدّ من مراعاة الحذر في مثل هذا الموضوع.

الشرط الثالث:

أنَّ الموضوع لا بدَّ أن يكون له مادة علمية يستطيع الطالب العثور عليها والوصول إليها. على سبيل المثال: ليس من الحكمة أن يختار الطالب بحثاً يتعذَّر الحصول على مصادره.

ومن الأمثلة على ذلك:

أننا نجد باحثاً يذهب لكي يحقِّق مخطوطاً علمياً، هذا المخطوط العلمي في بلد بعيد عنه، وهناك عقبات في الوصول إلى هذا المخطوط، وهو لا يستطيع أن يتوصَّل إليه ولا أن يحصل عليه، عندئذ كيف يسجِّل في مثل هذا الموضوع وهو لا يستطيع أن يصل أصلاً إلى أصل موضوعه؟

أيضاً: أن يكون البحث محتاجاً إلى مراجع مكتوبة بلغة لا يستطيع الطالب الحصول عليها ولا قراءتها، عندئذ لن يتمكَّن من إنجاز مثل هذا البحث، ومن واجبه أن يبحث عن موضوع آخر يستطيع أن يرجع إليه في لغته الأصلية أو في لغة أخرى يُحسنها.

أيضاً: أن يكون الباحث على نيّة أن يقوم ببحث تطبيقيّ على مادة نادرة في الطبيعة، أو غالية الثمن جداً بحيث لن يتمكَّن من شرائها بنفسه أو عن طريق المؤسسة العلمية التي يعمل بها، وفي مثل هذه الحالة يجب عليه أن يبحث عن موضوع آخر يتمكَّن من إنجازه في سهولة ويُسر.

الشرط الرابع:

أن لا يختار موضوعاً واسعاً جداً، ولا موضوعاً ضيقاً جداً؛ لأن ذلك سيؤدِّي إلى صعوباتٍ لا يتمكَّن من مواجهتها، وسيضطرّ إلى تغيير هذا الموضوع.

الشرط الخامس:

أن يتجنَّب الموضوعات الغامضة التي ليست لها معالم محدّدة؛ لأنه سيعجز عن تحديد نطاق البحث، أو تحديد مجال القراءة؛ ومن ثمَّ لا يستطيع أن يقدِّم شيئاً محدّداً.

الشرط السادس:

أن يتجنَّب الموضوعات التي يُحسَّ الباحث بالنفور منها، يعني: موضوع غير متجاوب معه وغير متفاعل معه، سيُلاحَظ أن البحث سيكون نوعاً من العذاب. إذا كان لا يحسّ بالتفاعل والتعاطف مع الموضوع، سيشعر الباحث عندئذٍ أنه يسجن نفسه داخل موضوع لا يحبه، وربما أدى هذا

البغض للموضوع إلى العجز عن إكماله، أو إلى التسرع في إجرائه بقصد التخلّص منه؛ فعندئذ لن يقدّم فيه الجديد الذي هو شرط من شروط احترام واعتبار البحوث العلمية.

الشرط السابع:

موافقة المشرف على إجراء البحث، وهذه مسألة مهمّة؛ لأنّ الباحث لا يعمل في فراغ، وإنما يعمل في مؤسسة علميّة تحت إشراف أستاذ، وموافقة الأستاذ على إجراء البحث دليل على أهميّة البحث وجدارته بأن يُخصّص له هذا الطالب الذي سيقوم ببحثه، وهو يمثل اطمئنناً مبدئياً إلى الفائدة العلميّة أو الاجتماعية المتوقّعة للبحث، كما يمثل اطمئنناً إلى توفّر المصادر والمراجع التي سيرجع الطالب في تحضير بحثه إليها، وسيدل أيضاً في الوقت نفسه على أن الأستاذ يرى أن هذا الطالب عنده المقدرة والكفاءة للقيام بهذا البحث؛ لأن بعض الموضوعات تكون من الصعوبة على الطالب لأسباب عديدة، فلا يوافق المشرف عليها، ويقول له: "ابحث عن موضوع آخر". فعندئذ فإننا نعتبر أن موافقة المشرف شرط ضروري لا بد من تحقّقه في كلّ بحث علمي.

الشرط الثامن:

تجنّب الموضوعات العويصة المعقّدة التي تحتاج إلى تقنيات عالية ومهارات عالية، خصوصاً إذا كان الباحث مبتدئاً، فلا يصحّ له أن يُغرق نفسه في موضوع يحتاج إلى دراسات كثيرة وإلى أرضية علمية عميقة، دون أن يكون قد تحلّى أو تزوّد بهذه الخبرة اللازمة له حتى يتمكن من إنجاز هذا البحث. وأمثال هذه الموضوعات يمكن تأخيرها إلى مستويات أخرى، بعد أن يكون قد حصل على درجات علمية تؤهّله للسير في إنجاز وتحقيق هذه الموضوعات.

فعلى سبيل الإيضاح:

- أن نجد باحثاً مبتدئاً في بداية طريقه العلمي يقول -مثلاً- للأستاذ المشرف: أودّ أن أبحث بعض الموضوعات، مثل: "تأثير الفقه المالكي على القانون الفرنسي". فهو لا يستطيع أن يقوم بمثل هذا الموضوع وبحثه وهو ما زال في أول الطريق؛ لأنه موضوع صعب عليه، ويحتاج إلى لغات، ويحتاج إلى دراسات مقارنة، ويحتاج إلى موازنات. ومثل هذا قد لا يتيسّر للطالب في أوائل عهده بالبحث العلمي.
- أيضاً: عندما يختار الباحث المبتدئ في أوّل الطريق موضوعات معقدة وصعبة، مثل موضوع: "تأثير الأدب العربي في الأدب الإسباني"، أو "تأثير الشعر العربي في الشعر الإسباني".

أيضًا: مثل: "تأثير النحو بالفلسفة اليونانية": هل تأثر النحو العربي في وضعه القواعد والمناهج وبعض النظريات الموجودة فيه، كنظرية العامل على سبيل المثال، بالنحو اليوناني وقواعد اللغة اليونانية، أو أنّ له منطقًا خاصًا به وقواعدًا خاصةً به مستخلصةً من تأمل المادة اللغوية التي جمعها الرواة في أوّل العصور الإسلامية؟

- وكموضوع: "تأثير أصول الفقه في علم البلاغة": هل أثر علم أصول الفقه العربي الإسلامي في علم البلاغة العربية، أم لم يؤثر فيها؟
- أيضًا: عندما يختار الباحث نقطة معينة للبحث، مثل: "مدى تأثير المنطق اليوناني في علم أصول الفقه"، هل أثر في علم أصول الفقه؟ وخصوصًا في مبحث العلّة ومسالك العلّة، وتحقيق المناط وتخريج المناط، وغير ذلك من الموضوعات العميقة في علم أصول الفقه نفسه.

ونحو ذلك. فمثل هذه الموضوعات تحتاج إلى دراساتٍ كثيرةٍ ومتعمّقةٍ، ولا يتمكّن من القيام بها إلاّ باحثٌ متمكّن.

فالمسائل ذات العلاقة بمجالاتٍ علميةٍ متنوّعة ومتعدّدة، تكون صعبة ومعقّدة، وتحتاج إلى مستويات علمية كبيرة لا يمكن أن يقوم بها إلاّ باحثون متمكّنون عندهم دراية وخبرة ... وهكذا.

كذلك، ينبغي أن يتجنّب الباحث الموضوعات التي يشتدّ الخلاف حولها بين مُثبتٍ ونافٍ، وبين موافقٍ ومُخالفٍ ومعارضٍ. مثل هذه الموضوعات تكون صعبة على الباحثين المبتدئين؛ لأنهم كأنما يضعون أنفسهم داخل دوامة لا يستطيعون أن يحدّدوا لأنفسهم فيها مسارًا معيّنًا محدّدًا؛ فالأدلة تتجادب وتتصارع، وهم في وسط المعركة غير قادرين على تحديد موقع لهم، ومن هنا فهم يحتاجون إلى مزيد من الفحص والتحصيل والمقارنة والموازنة، وربما لا يتمكّنون - خصوصًا في بداية حياتهم العلمية والعملية - من القيام بمثل هذه البحوث.

لكن إذا كان الباحث في درجة الدكتوراه أو ما بعد الدكتوراه، فإنه يكون قد تزوّد بالخبرة اللازمة لإجراء مثل هذه البحوث، بل إنّ صعوبة مثل هذه البحوث قد تكون حافزًا وباعثًا يحفز الباحثين المتمكّنين على القيام بها، والإقدام على إجراءاتها؛ بسبب ثقّتهم في أنفسهم وفي خبرتهم العملية، وبسبب مهارتهم في تجنّب العقبات والصعوبات التي يُمكن أن يواجهوها في أثناء هذه البحوث. فأحيانًا يكون البحث أو الموضوع الصعب بمثابة تحدٍّ يقوم الباحث بمواجهته وبوضع نفسه فيه؛ حتى يُثبت جدارته وقدرته على إجراء مثل هذه البحوث الصعبة المعقّدة.

هكذا نستطيع أن نجمع كل هذه الشروط ونحن نختار بحثاً علمياً؛ ليتمكن الباحث من السير الآمن في إنجاز هذا البحث، وفي تحقيق النتائج المتوقعة والمرجوة منه.

ينبغي أن نشير إلى أن تحقيق هذه الشروط الكثيرة، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، وبما تحتاج إليه من موافقة الأستاذ المشرف، أن هذا الاختيار لمثل هذا الموضوع بمثل هذه الشروط الكثيرة لا يعني تلقائياً أنه قد تحدد بصفة نهائية؛ ولكن ينبغي أن يُعلم أن ذلك يكون اختياراً أولياً.

فهذه مسألة مهمة، ولذلك يجب الوصول إليها عن طريق قراءة كل ما له صلة بالموضوع؛ حتى يصبح الباحث على إلمام تام بما كُتب حوله في مجاله، ثم الاستفادة من الخبرة العلمية السابقة التي اكتسبها الباحث إذا كان له خبرة سابقة، أو من استشارة أهل الذكر وذوي الاختصاص والاستعانة بنصائحهم، وأن يعلم الباحث: أن البحث الجيد هو الذي يقدم كثيراً من الأفكار ويثير كثيراً من التساؤلات. يعني: لا يشترط في كثير من البحوث العلمية أن تؤدي إلى نتائج محققة أو يقينية، ولكنها تفتح آفاقاً جديدة، ويقدم الباحثون فيها على السير في مجالات مبتكرة، وربما لا يتحقق لهم في بعض الأحيان إلا قليل من النتائج، ولكن ذلك لا يقلل من قيمة البحث.

وعلى الباحث أن لا يبتئس إذا كان يبحث في موضوع، ثم تبدى له أن ما حققه من النتائج قليل، إذا كانت هذه النتائج جادة وجديدة، وإذا كانت قادرة على أن تثري العلم بخبرة جديدة تُضاف إلى معارف العلماء الذين يخوضون البحث العلمي ويتمكنون فيه.

مع هذه القراءات والاستشارات، لا بد أن يكون الباحث -كما سبق أن قلنا من قبل- ذا كفاءة علمية، وأن يتوفر له زمن ملائم لإنجاز بحثه الذي قد يحتاج إلى اطلاع كثير، وإلى تأمل وروية ومهارة للقيام به.

وهذه كلها شروط لا بد من تحقيقها، بالإضافة إلى أن يكون لديه الرغبة في كتابة البحث وإنجازه.

العنصر الرابع : البحوث من منظور إسلامي

أولاً : مناهج البحث في صدر الإسلام

سبق الإشارة إلى أن العلم والتقدم العلمي هو الطريق إلى البحث، وبدون البحث لا نتوصل إلى علم أو أدنى تقدم علمي، ومن ثم فالتقدم العلمي يعتمد على المنهج الذي سوف يتبع في ذلك البحث، ويرتبط بوجود ذلك المنهج أو عدم وجود هذا المنهج صدق هذا المنهج، أو كذبه، أو زيفه.

المقصود بالمنهج:

هو الطريقة التي يتبعها الباحث حتى يتوصل إلى الحقيقة، ويكتشفها، وبذلك نجد أنَّ المناهج العلمية دائماً قيد التغيير والتعديل على يد العلماء، والمتخصصين.

مناهج البحث في صدر الإسلام:

كان للمسلمين عدة مناهج تبلورت وتنوعت، تميز بها العرب عن غيرهم؛ لأنَّ العرب مادتهم الإسلام، وقوامهم هو ملكة الحفظ، والقدرة على الاستيعاب لكل ما يُسمع، ومنذ فجر الإسلام ظهرت تلك الحركة العلمية؛ حيث بدأت بالعلوم الخاصة بالمواد الإسلامية، أو ما يطلق عليها: العلوم النقلية التي ارتبطت بالقرآن، والحديث، وكان مركزها مكة، والمدينة المنورة، إلى جانب بعض الأمصار الإسلامية، وبخاصة البصرة، والكوفة، والفسطاط.

وظهرت عدة علوم جديدة، مثل: علوم القراءات، وروايات القراء، كما ظهر التفسير، ومن ثمَّ يتضح لنا عدد من العلوم التي ظهرت مع صدر الإسلام. ومع انتشار الإسلام مع الفتوحات، واتساع الأمصار، وانتقال الأصحاب في الأقطار المختلفة حدثت الفتن، واختلفت الآراء، ومن ثم اضطروا إلى التدوين، فكان التدوين من العلوم الإسلامية الأولى التي اتضحت وظهر في القرن الثاني الهجري، ورجعوا إلى حديث رواه أنس بن مالك، وهو قوله: "قيدوا العلم بالكتاب"، وقوله: "العلم صيد والكتابة قيد"، حتى بعد التدوين، واشتغالهم بالتدوين كانوا دون الناس عن الحفظ، والسماع، إذن التدوين لا يغني عن الحفظ والسماع.

مع النمو المتزايد للدولة الإسلامية، واتساع رقعتها أصبحت الحياة الاجتماعية أكثر تعقيداً؛ لأنها أصبحت متفاوتة ومختلفة من منطقة إلى أخرى، من مجتمع إلى آخر، أصبح المسلمون في حاجة إلى معرفة حكم الإسلام في كثير من الأمور، واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة، ومن ثمَّ بدأ ظهور علم جديد يُسمَّى: علم الفقه؛ حتى يتم التوصل إلى معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، ومن ثمَّ كانت الحاجة إلى استنباط الأحكام الفقهية.

من أين تم الاستعانة؟ من الأصول، الأصول لدينا هي القرآن الدستور الأول، ثم السنة التشريع الثاني المؤيد للدستور، أصبحت الحاجة ماسة إلى استنباط الأحكام، والتوصل إلى القواعد التي لا بد من اتباعها في الفقه، وحتى يكون الاستنباط صحيحاً كان لا بد من اتباع عدد من القواعد لاستنباط الأحكام من القرآن والسنة. ومن ثمَّ أصبح هناك علم أصول الفقه، علم أصول الفقه هو الذي يحدد لنا كيف يتم الاستنباط الصحيح.

ومن ثمَّ يتضح لنا أنه بدأ نمو علوم جديدة دفعتهم إلى دراسة القرآن والحديث، ثم دراسة العلوم الإنسانية، وحتى يكون الاستنباط صحيحًا يجب أن يتبع قواعد محددة. ومن ثم، ظهر علم أصول الفقه الذي يحدد لنا كيفية اتباع الخطوات السليمة الصحيحة في الاستنباط.

دراسة القرآن والحديث دفعت الكثير إلى دراسة علوم العربية، والعلوم اللسانية، وعلوم الفقه، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الأدب، ثم دراسة العقائد الدينية في ذات الله، وصفاته، وأمور متعددة حول الروح، والحشر، والجنة، والنار، والحساب. ومن ثم، نجد أنَّ الدراسات التاريخية كتبت في الكثير من تلك البحوث العلمية الخاصة بتلك المجالات المختلفة والمتنوعة.

بدأت الحركة العلمية تتوسع وتتطور، واشتغل المسلمون في النظر والاجتهاد، والاستدلال؛ رغبةً في وضع القواعد والأصول، وترتيب الأبواب، وظهر في كل علم من تلك العلوم علماء يتدارسونها بوضوح في مناهج خاصة بالبحث.

مما لا شك فيه أنَّ القرآن كان هو صاحب الأثر الكبير في توجيه تلك العلوم، لم يعد الهدف من القرآن فقط الحفظ والتلقين، بل أصبحت الحاجة ماسة إلى إعمال العقل والفكر بدقة، ثم التحقيق والتحصيص، ثم بدأت الاهتمام بالنظر في الأسانيد وخاصة في علوم الحديث، بدأ اتجاه في علم الحديث التركيز على الأسانيد، ومعرفة ما يجب العمل به من الحديث، وبوقوعه على السند الكامل، ما الشروط لمعرفة رواة الحديث؟ وما صفات راوي الحديث من عدالة وضبط؟ ويسبق ذلك بالنقل، والتأكد من معرفة الرواة، وصفات هؤلاء الرواة من العدل، والضبط، والثقة.

أيضًا التأكد من اتصال تلك الأسانيد، وعدم انقطاعها، بأن يكون الراوي لقي الراوي شخصيًا الذي نقل عنه؛ وبذلك أصبحت الأحاديث تتفاوت في سلامتها من العلل الموهنة، وأصبحت معروفة بعدد من الدرجات: الصحيح، والحسن، والضعيف. والمرسل، والمنقطع، والمتصل، والشاذ، والغريب، وغير ذلك من الصفات المتنوعة التي تشير إلى طبيعة توثيق ذلك الحديث.

أيضًا اتبعوا في ذلك بعض الألفاظ تقع في متون الحديث، ولهم أيضًا مصطلحات خاصة بهم، مثل: الغريب، أو المشكل، أو التضعيف، أو المفترق، أو المختلف، فهناك أصبحت ألفاظ مرتبطة بعملية توسيط الحديث، والتأكد من صحته، أو من عدم الصحة.

أما علم التفسير: فقد جاء أيضًا على لونين: هناك التفسير بالمأثور، المأثور الذي اعتمد على الكتاب والسنة، والنصوص المنقولة الصريحة الواضحة التي نقلت عن السلف، وتشتمل على الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والمقاصد، وكل ما يعرف، ونقل عن الصحابة والتابعين،

وهناك نوع آخر من أنواع التفسير اعتمد على الرأي والاجتهاد بالاعتماد على اللغة، والإعراب، والبلاغة في توصيل المعنى بحسب المقاصد، وفي ذلك كانت الحاجة إلى إعمال العقل، وعدم التقيد بما جاء عن السلف، إنما الاجتهاد خاص بفهم الآيات من الجانب اللغوي، وخاصة من اشتغل في مجال الدراسات اللغوية، وأصبح متمكناً في قواعدها، وأصولها.

أما في علم الفقه: أيضاً ظهرت مدرستان: مدرسة أهل الحديث، وكان إمامهم الإمام مالك بن أنس الأصبحي، وهو إمام المدينة، استند في أحكامه على دليل، وهو عمل أهل المدينة، وقد رأى أن ما يتفق عليه أهل المدينة من فعل، أو ترك ذلك الفعل فهم تابعون لمن قبلهم، ويقتدي بهم الجيل المعاصر، وهو اعتمد هنا على دليل شرعي بذلك، وهذه المدرسة اعتمدت على التقليد للسابقين إلى حد ما، تلك مدرسة المدينة الخاصة بإمامها الإمام مالك بن أنس.

مدرسة الفقه المتخذة بالرأي انتشرت وكان مركزها في العراق، رأس هذه المدرسة أو إمامها الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، هذه المدرسة تم الاعتماد في أحكامها

على القياس، وإعمال العقل والفكر حتى إنهم كانوا يتخيلون مواقف ومشكلات، ثم يبحثون عن الأحكام الخاصة بهم.

ومن ثم، يتضح لنا أنَّ العلوم الإسلامية ليست سهلة، بل هي قائمة على إعمال العقل والفكر، والمقارنة والاستنتاج، والاستنباط والاجتهاد، أيضاً يضاف إلى ما سبق أنَّ جمهور المسلمين اهتموا بترجمة تراث البشرية العلمي إلى اللغة العربية، وبهذا نهضت حركة الترجمة بصورة واسعة، وبخاصة في عصر العباسيين الذين اتصفوا في بالسخاء والإنفاق على العلم، والترجمة بصورة واسعة، وأعقبت تلك الحركة حركة أخرى تسمى: حركة تصنيف، ثم تأليف، ثم ابتكار في كافة العلوم الطبيعية، والرياضية.

ومن ثم، أخذ المسلمون في البحث المتطور بصورة دائمة، وأصبح الصفة المميزة لبحث أو المنهج المستخدم في البحث لدى المسلمين هو المنهج العلمي التجريبي.

العوامل التي وجهت المسلمين نحو منهج البحث العلمي:

أولها القرآن، يلي القرآن علم أصول الفقه، أو علم القياس الأصولي، ومن ثم، نجد أن المبادئ التي بنيت المبادئ الأساسية التي تعد لبنة ليقوم عليها منهج البحث العلمي الذي دفع قيام تلك اللبنة، أو تلك الأسس.

أما القرآن الكريم نفسه أكد على ضرورة إعمال العقل، أيضاً اهتم القرآن بالحرية، فلا إكراه في الدين، يستنكر القرآن التقليد، أيضاً القرآن طالب بالفهم لا مجرد الحفظ، حرية الرأي، الإسلام يطالب دائماً بالبرهان والدليل، ويرفض أن يتبع رأياً أو فكراً محدداً، أيضاً أكد أن سنن الكون ثابتة لا تتغير، أيضاً يدعو إلى تحصيل العلم.

ومن ثم، نجد أن الفكر العربي تجاوز الحدود التي وضعها أرسطو في منهج الصورية، أو التفكير الصوري، أي: أن العرب عارضوا المنهج القياسي، وخرجوا إلى حدود الملاحظة والتجربة، واعتمدوا أن الملاحظة والتجربة هما أساس البحث العلمي الصحيح.

إنَّ السبب الرئيس في رفض المنطق الصوري لدى أرسطو من المسلمين هو: أنهم لم يقبلوا الميتافيزيقا الأرسطية؛ لأنها مخالفة لإلهيات المسلمين، وكثير من أصول يتصل بأصولها، ولهذا رفض المتكلمون هذه الفكرة، في الحقيقة، كانت من أدق الأخبار التي وصل إليها المسلمون، ومن ثم، نجد أنَّ القياس الأصولي، وخاصة في الحقل التشريعي كان له دور كبير في ظهور المنهج العلمي، إعداد المنهج العلمي، ثم ظهوره، فالقياس الأصولي يعد الأساس الذي قام عليه هذا المنهج، وهو ينطوي على عدد من العمليات الفكرية التي يمارسها المجتهد للاستدلال على حكم.

هناك مواقف متنوعة جدت في حياة المسلمين أدت إلى ضرورة استخدام القياس للاجتهاد، واستنباط أحكام من القرآن والسنة، والقياس على تلك الأحكام الموجودة لحكم جديد، أو أمر جديد؛ نظراً للتوسع في القضايا التي تطرقت لها الدولة الإسلامية، والأحكام التي تنوعت بسبب تنوع الأمصار التي دخلت، تنوع الجنسيات التي أسلمت، تنوع المناطق من أقصى الجنود لأقصى الشمال، لأقصى الشرق، لأقصى الغرب.

وللقيام الأصولي في البحث الإسلامي خطوات محددة:

- بحث المجتهد عن واقعة منصوص على حكمها تشبه الواقعة التي لا نص فيها، معنى هذا: أن هناك أحكاماً أو أحداثاً تحدث ليس لها نص صريح، فبالتالي يتم البحث عن واقعة شبيهة بتلك الواقعة، ويتم من خلالها الاجتهاد؛ نظراً للتشابه بينهما، والقياس عليه.
- البحث عن علة الحكم في الواقعة المنصوص على الحكم فيها، إذن نحدد السبب من ذلك الحكم، وما العلة أو المشكلة التي تم الحكم فيها أولاً، ثم البحث عن علة الحكم ذاتها في الواقعة الجديدة. إذن نحدد في الواقعة ما علة الحكم المتضمنة بتلك الواقعة؟ ومن ثمَّ الإقرار بتساويهما في الحكم؛ لتوفر العلة ذاتها في كل منهما.

إذن، القياس يتم، له شروط حددنا القضية التي معنا، أو العلة التي معنا، تلك القضية لا يوجد لها نص صريح، فبالتالي يتم البحث عن قضية شبيهة بها، يتوفر فيها نفس الصفات، فنحدد العلة الموجودة في الحكم المنصوص، ثم نحدد العلة الموجودة في الواقعة الجديدة، ويتم المقارنة بينهما؛ للإقرار بتساوي العلتين؛ إذن يتساوى في الحكم.

معنى هذا: أنَّ القياس هو مساواة الفرع للأصل في علة الحكم، وأركانه الأربعة، الأركان الأربعة هي: الأصل، الفرع حكم الأصل، والعلة. ومن ثم، يتضح أن القياس هو الاستدلال، الاستدلال على ماذا؟ الاستدلال على إثبات حكم لشيء؛ لوجود ذلك الحكم في شيء شبيه، أو مشابه له، ومن ثم، يوجد جامع بينهما، وبهذا يقول الشافعي: إنَّ صحيح القياس إذا قست الشيء بالشيء أن تحكم له بحكمه، ذلك هو صحيح القياس، ومن هنا كانت العلة من أهم أركان القياس.

العلة هي الأساس، وهي الأساس في المقارنة؛ لأنَّ على أساس الحكم على العلة يتم الانتقال، أو نقل الحكم من الأصل إلى الفرع؛ وبذلك اتضح لنا أنَّ مفهوم العلة شبع بحثًا ودراسة وتفصيلًا للأحكام والشروط وطرق التعرف عليها.

أيضًا الحق والنزاهة العلمية تقتضي الاعتراف بفضل العلماء والمفكرين في الاتجاه باقتدار نحو ابتكار مناهج البحث العلمية؛ لأنها كانت الأساس الذي قامت عليه النهضة العلمية في الشرق والغرب على حد سواء.

ولقد قام منهج المسلمين على الاستقراء، ثم الاستنباط، نجد أنَّ المسلمين أنشؤوا على أيديهم العلوم الإسلامية الخاصة بأصول المنهج العلمي؛ لأنهم لم يخضعوا أنفسهم لوصاية الفكر اليوناني الأرسطي، بل تجاوز الفكر العربي كل الحدود اليونانية، وخرجوا على حدوده من خلال الملاحظة والتجريب، وأعدوهم هم المصدر الرئيسي للعلم.

ونجد أنَّ العرب قد اتبعوا أساليب مبتكرة تمامًا في البحث، فاعتمدوا على الاستقراء، ثم الملاحظة والتجريب العلمي، والاستعانة أيضًا بعدد من الأدوات؛ حتى يتمكنوا من الوصول إلى النتائج العلمية، ولقد ظهر كثير من العلماء المسلمين في المجال، ولم يكن قدرتهم وانطلاقهم العلمي إلا تجسيدًا للروح الإسلامية التي أضافت لهم فكرًا متكاملًا، ومنهجًا في البحث العلمي خلًا ومبدعًا، يدل على قدرة تلك الأمة، وأصالتها، وتتجلى فيها قدرتها، وعبقريتها الخلابه.

الأدوار التي قام بها الفقه الإسلامي، وظهور المدارس

ولو تتبعنا الفقه على مر العصور سوف نجد الفقه في عصر النبي ﷺ والفقه في عصر الخلفاء الراشدين { والفقه قبل سقوط الدولة الأموية، وبالتالي لكل مرحلة لها صفاتها التي تتصف بها من جانب البحث العلمي، أيضاً الفقه في أوائل القرن الثاني الهجري، الفقه من نهاية الدور السابق إلى سقوط بغداد، الفقه من سقوط بغداد حتى يومنا الحاضر.

الأدوار التي مر بها الفقه الإسلامي:

الفقه في عصر الرسول: تعد تلك المرحلة أهم العصور التي مر بها الفقه الإسلامي؛ لأنها مرحلة الوحي، في أثناءها تنزلت الأحكام مباشرة باللفظ والمعنى، وخاصة بلفظ القرآن والسنة المطهرة، فالفقه في هذه المرحلة يعد من وحي السماء، فما كان منه اجتهاد من الرسول.

مر الفقه في هذه المرحلة مدة حوالي ثلاث وعشرين سنة في مكة، والباقي في المدينة.

أما فقه عصر الرسول في مكة: ركز على العقيدة والأخلاق، وعرض بصورة مجملة بعض الأحكام العملية للأخلاق الصافية، والعمل على أساس صالح.

أما في المدينة: توسعت الأحكام، وتدخلت الأمور العملية فيها، والتشريع أخذ نواحي عملية متنوعة، وشرعت العبادات والجهاد، والأسرة، والزواج، والميراث، والبنوة، وأصبحت القضايا متنوعة ومتعددة، الأحكام ظهرت المتعلقة بالقتل والعقوبات، وحقوق المواطنين في الدولة، وبذلك أصبحت في تدرج وتنوع من مرحلة، هذه المرحلة الفقه فيها تميز بالتدرج في التشريع، فتتميز مرحلة فقه عصر الرسول بالتدرج والتشريع.

ولم يدون الفقه في هذا العصر بسبب انصراف المسلمين إلى الاهتمام بالقرآن فهماً وحفظاً وتلاوةً، ولم يدونوا الفقه.

الفقه في عصر الخلفاء الراشدين: أصبح كعلم ينمو ويتسع في عهد الصحابة؛ لأنَّ هؤلاء الصحابة واجهوا الكثير من الوقائع والأحداث، توسعت العلاقات، ومن ثم، أصبحت الحاجة ماسة إلى توسع ونمو للجانب الفقهي الإسلامي.

مع التوسع في الفتوحات ترتب عليه أعراف، وعادات، وتقاليد، وهذا زاد من كثرة المسائل، وتنوع القضايا والوقائع التي كانت في حاجة إلى الحكم الشرعي. أصبح

منهج الصحابة في ذلك الوقت هو الاجتهاد، والاتفاق في الرأي، والاتفاق هنا يعد إجماعاً، وهكذا ظهر الإجماع كمصدر من مصادر الفقه الإسلامي.

صفات منهج الصحابة في الاجتهاد في ذلك العصر:

عرض المسألة على ظاهر القرآن، إن لم يظهر في القرآن تعرض على السنة المطهرة، إن لم يجدوا لها نصاً من السنة يتم الاجتهاد والرأي، الاجتهاد يأخذ شكل الشورى، وهو الطريق الذي نهجه الإمام أبو حنيفة فيما بعد، فإذا اتفق آراء الصحابة يكون الحكم وفق ما وصل إليه الجماعة؛ ولذلك سُمي بالإجماع.

كان الصحابي يجتهد برأيه بعد البحث عن الحكم، أو المسألة في السنة، وبعد سؤال الناس إن لم يكن يحفظه وله، أيضاً كان الصحابة ينسبون توفيقهم إلى الله، وخطأهم إلى أنفسهم مع الاستغفار.

التدوين ظهر في ذلك العصر، وبدأ بتدوين القرآن، ثم السنة لم تدون، يعني: أثناء العصر الخاص بالخلفاء الراشدين، تم تدوين القرآن الكريم، لكن السنة لم تدون، وظلت محفوظة في قلوب الصحابة.

الفقه بعد عصر الراشدين: نجد أن نهج الفقه اختلف عن نهج الصحابة في استنباطهم للأحكام الشرعية، فكان الفقهاء يرجعون للقرآن الكريم، والسنة المطهرة، ثم الاجتهاد، ثم ظهر النظر إلى العلل والأحكام، ومراعاة المصلحة، ودفع المفسدة.

إذن الفقه في عهد الراشدين اتخذ منحىً جديداً، وهو الاجتهاد بالرأي، إضافة لما سبق من القرآن والسنة، النظر إلى العلل، ومراعاة المصلحة، ودفع المفسدة، إلا أن دائرة الفقه اتسعت في هذا العصر؛ بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ومن ثم، ظهرت لدينا المدارس الفقهية التي أشرنا إليها من قبل.

أما التدوين في ذلك العصر: فإنَّ الفقه لم يدون، والسنة لم تدون أيضاً، وظل التدوين محصوراً على كتاب الله ﷻ ثم يتطور وينمو الأمر في أوائل القرن الثاني للهجرة، وحتى منتصف القرن الرابع نمت وازدهرت الدولة الإسلامية، أصبحت أكثر نضجاً، وبذلك استفادت الدولة الإسلامية من الأحكام والقوانين، وكان التركيز كله على الفقه؛ ولذلك سميت تلك المرحلة بعصر الفقه الذهبي، أو عصر التدوين، أو عصر الازدهار، الفقه في عصر المجتهدين.

كان لذلك الازدهار آثاره، أهمها: كثرة المسائل على نحو لم يسبق من قبل، ثم تدوين تلك المسائل، أصبحت هناك مسائل متنوعة خاصة في الفقه الإسلامي، وأيضًا تم تدوين تلك المسائل، والسبب يرجع لذلك الازدهار: اهتمام الخلفاء بالفقه وذلك كان هو العنصر الرئيسي الذي أدى إلى ازدهار علم الفقه، والأسلوب العلمي في البحث عن الأحكام الشرعية، أيضًا اتساع الرقعة الإسلامية، والتوسعات الكثيرة، وتمتد، وأصبحت الأندلس -أسبانيا الآن- والمغرب غربًا، والصين شرقًا، والسودان جنوبًا، واليمن، أصبحت الدولة الإسلامية مترامية الأطراف.

ظهور أيضًا فقهاء كبار لهم مدارسهم الفقهية، وأسلوبهم ومنهجهم العلمي في الاجتهاد كان لذلك أثر كبير في ساحة الاجتهاد العلمي في مجال الفقه، ومن ثم، زاد الإقبال على بيان أحكام المسائل بكل سهولة، وأيضًا الإقبال على تدوين القرآن وشرحه، والسنة وشرحها، إضافة إلى ذلك العديد من الآراء الفقهية التي تواجه الأحكام، وتم تدوينها أيضًا في كتب، وكانت تعد تلك المرحلة من أزهى المراحل التي مر بها الفقه.

نجد في العصر الذي يليه حتى سقوط بغداد جنح الفقه إلى التقليد، والالتزام بمنهج إمام تم وضعه، والمدرسة التابعة لذلك الإمام يتم اتباعها، وظهرت المذاهب الإسلامية المختلفة المتنوعة، وتوجه الفقهاء إلى تنظيم تلك المذاهب، وتبويبها في مسائل، واختصارها وشرحها، وهي ثروة فقهية هائلة، استغنى العلماء بها عن كل شيء.

أسلوب أصحاب المذاهب:

يتسم أسلوب أصحاب المذاهب باستخراج علل الأحكام المنقولة من الأئمة، ووضع المناهج، وعلم الأصول، وقواعده مع أن أول من وضع هذا العلم هو الإمام الشافعي، أيضًا نضوج القواعد التي اعتمد عليها في الاستنباط في فروع كل المذاهب، وتحديد ومعرفة طرق الاجتهاد الجيدة التي سلكها كل بعينه، أيضًا الترجيح بين الأقوال التي نقلت من إمام ما عن مذهب، ثم بيان وجه الرجحان، ودراسة الدليل والعلة.

إذن هناك أسلوب تجريبي دراسي جيد جدًا، كما توجه العلماء إلى تنظيم كل مذهب، والدفاع عن الرأي بالأدلة، وذكر المذاهب الخلافية التي بينهم وبين الفقهاء الآخرين، استمر هذا الوضع من سقوط بغداد سنة ستمائة ست وخمسين، وحتى يومنا هذا.

في العصر الحديث: نجد أن الفقهاء استمروا على نهج السابقين بصورة طبيعية،

وأوجدوا القدرات والطاقات عند العديد من العلماء، وظهر الكثير من علماء الدين مثل: ابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني.

ظهر الشروح والتمتون والحواشي الخاصة بالكتب الشرعية المختلفة، أيضًا اهتمام الفقهاء بالمناقشات، والاعتراضات على الجمل والسياق.

ظهر كتب خاصة بالفتوى في المسائل العلمية، وتهتم تلك الكتب بذكر الأدلة وفق منهج كل مذهب، وهي تمثل الفقه الواقعي التطبيقي؛ حيث إن العلماء مضطرون لتحديد وبيان الأحكام الخاصة بالمسائل العلمية التي يُسألون عنها، وظهرت كتب خاصة بتلك الفتاوى، وخاصة (فتاوى ابن تيمية).

أيضًا ظهر في الوقت الحاضر دراسات تهتم بالفقه الإسلامي وفق دراسة مقارنة في الرسائل الجامعية، والبحوث الدقيقة من الناحية العلمية، والمقارنة أيضًا بين المسائل الإسلامية كلها.

ظهر المجامع الفقهية، وذلك هو الطريق للاجتهاد برأي الجماعة، ومن خلاله يتم استنباط متكامل من خلال الاستنباط سوف يتم الاستغناء عن الاتجاه الفردي، وظهرت هذه المجامع الفقهية بصورة واضحة في مؤتمر الفقه الإسلامي، وذلك أعطى للفقه حيوية؛ لأنه يتمكن من مواجهة الأحداث، والمسائل المستجدة في المجتمع، ويتمكن من بحثها بحكمة وعمق، ويتم اللجوء إلى اجتهاد الجماعة بدلًا من الاجتهاد الفردي.

أيضًا ظهرت ما يسمى: بالموسوعات الفقهية؛ لأنها يسّرت معرفة الأحكام الفقهية الموجودة في أمهات الكتب القديمة، وتلك الموسوعات من خلالها يتم الاطلاع على تلك الأحكام، وهي مفيدة جدًا للمتخصصين، خاصة في الفقه الإسلامي، ومنها: دائرة معارف الفقه الإسلامي التي جمعت هذه الموسوعات دراسة الفقه، ورتبته حتى يستفاد منه الجميع.

أصول البحث في الفقه الإسلامي ، والأسس التي اعتمد عليها

أصول البحث في الفقه الإسلامي:

الباحث في الفقه الإسلامي والمسائل الفقهية لا بد أن يطلع على آراء الفقهاء في المذاهب المختلفة، ويستفيد من المتنوع؛ وذلك من خلال الدراسة البحثية الجيدة لأرائهم في كتب التفسير، وكتب الحديث، والفقه وأصوله، وذلك بمراجعة أهم المصادر في كافة المجالات، ومن ثم، يجب

على الباحث أن يتقصى رأي المذهب، فإذا لم يجده يبحث عنه في عدد من المراجع الأخرى، وبخاصة ذلك في الأمور التي في حاجة إلى بحث عميق.

البحث الإسلامي يمر بعدد من المراحل:

أولاً: جمع المادة العلمية من مصادرها، ثم تسجيلها في ورقة خاصة بصور مستقلة؛ حتى تكون متوفرة لديه بصورة دائمة، والمفروض أنه يفصل كل مسألة فقهية عن الأخرى، ويضعها في ورقة مستقلة خاصة بها.

أيضاً على الباحث أن يرتب المعلومات التي وصل إليها حسب المذهب الفقهي، ثم يستخلص رأي المذهب من خلال تلك الأوراق، أو المعلومات، ثم يرتب كل مذهب على حدة.

ثانياً: الموازنة: على الباحث أن يوازن بين الآراء، ويحدد الرأي المخالف في المسألة، ويطلع على رأي إجماع العلماء، ثم يقوم الباحث بالترجيح بين تلك الآراء الفقهية في المذهب الواحد، أو الترجيح بين آراء مذهب وغيره من المذاهب، ويعتمد في الترجيح على الدليل القوي، وأثناء الترجيح يجب أن يجيب عما سأل عنه الآخرون، وأن يصل إلى ما وصل إليه الآخرون، ومن ثم، على الباحث أن يستنبط حكماً لم يصل إليه غيره من خلال الأدلة التي ترتبط بتلك المسألة الفقهية، وعليه أن يظهر احترامه لجميع العلماء الذين عملوا في المجال.

أثناء البحث العلمي على الباحث -أولاً- توثيق الآيات القرآنية التي ترد في بحثه، والتي استشهد بها حيث يكتب السورة، ورقم الآية في هامش البحث، أو في صدر الصفحة، تخريج الحديث الشريف، والآثار من مصادر الحديث الأصيلة، والتي تدل بذلك على درجة الحديث، ومصدره.

أيضاً عليه أثناء البحث أن يوضح معاني الكلمات الصعبة. أيضاً الباحث عليه أن يجتهد في ترجمة تراجم العلماء الذين سبقوه في المجال.

ومما سبق يتبين لنا، أن المسلمين هم أوائل من تبنوا الأسلوب، أو المنهج العلمي، وذلك بسبب التوسعات الكبيرة في الأمصار، والفتوحات في الدولة الإسلامية، كان ذلك أدعى إلى الاجتهاد، وإلى البحث في مجالات الفقه الإسلامي؛ بسبب دخول العديد من المسلمين في الدين الإسلامي، وهذا التنوع في الأمصار المختلفة كانت سبباً رئيسياً في البحث، وبخاصة في العلوم الفقه، ووضع أصول الفقه.

يتضح لنا في ذلك أسلوب المسلمين المهتمين بالفقه وأصوله منذ عهد الرسول، وبخاصة في عهد الصحابة؛ بسبب تلك الفتوحات الواسعة، ولكن ما لبث المسلمون أن اتبعوا منهجاً تجريبياً في القضايا، نجد أن ابن تيمية حدد وذكر أنَّ الناس حين شربوا الماء جربوا أن مع شرب الماء حصل الارتواء، وأن عند قطع العنق يحدث الوفاة، وأن الضرب الشديد يُشعر بالألم.

إذن القضية الأساسية لدينا أو الكلية هي قضية تجريبية، كل من فعل به ذلك يحصل له ذلك، فهذه القضية الكلية لا تُعلم بالحس، بل بما يتركب من الحس والعقل معاً، وليس الحس هنا هو السمع فقط.

كل ما سبق سمي: تجربات، وحدسيات، فإن كان حدس فهو مقرون بالعقل في الإنسان كالأكل، والشرب، وتناول الدواء، وسماء تجريبياً، إن كان خارجاً عن قدرته كتغيير الأشكال، مثل: القمر مقابل الشمس.

لقد أجمع مؤرخو العلم على أن مناهج البحث في مختلف الفروع الإنسانية قامت على أساس علمي مستمد من الواقع والخبرة، وأيضاً مستمد من العصر الذي تعيش فيه، أو الذي ينتقده، وليس معنى هذا خلو العصر القديم من الدراسات المنهجية، فالعقل الإنساني لا يستطيع أن يفكر أو يستدل بدون أن يكون له منهج معين على ذلك التفكير، وأسلوب الحركة فيه.

ومن ثم، يجب الإشارة إلى أن المنهج العلمي لا يختص بجيل دون جيل، أو فرد دون فرد، بل يكاد يكون لكل الأفراد، ولكل الأجيال، ومعنى هذا أنَّ المنهج الذي صارت عليه الأمم من أمة إلى أخرى هو طبع بطابعها فقط لا غير، وهو صُنع بروح الحضارة والعصر الذي يعيش فيه، وتظهر حضارته من خلاله.

فالمنهج هو الوسيلة التي من خلالها تتمكن الحضارة من الوصول إلى مبتغاها، والمنهج السليم هو المنهج العقلي القياسي، وأيضاً المنهج التجريبي الذي يعتمد على الجانب التطبيقي، وكان للحضارة الإسلامية روحها الخاص من مناهج البحث، وأساليب البحث الذي صار عليه البحث العلمي.

ومما تقدم يتبين لنا أن البحث الإسلامي اتخذ منهجاً علمياً، واتبع منهجاً علمياً من استقراء ثم استنباط، ثم القياس، والتجريب، وتلك هي الأسس التي يعتمد عليها المنهج الإسلامي.

خصائص المنهج الإسلامي في البحث

المنهج الإسلامي يتميز بعدد من المميزات التي تختص به، وخصائصه ينفرد بها دون غيره، وطريقه إلى العلم واضح، لا غموض، ولا لبس، ولا اختلاف فيه، ولا تناقض، ومن ثمَّ فإنَّ أهمَّ خصائص المنهج الإسلامي هي:

1. نجده استقى أسسه من القرآن الذي لا خلاف فيه، فالله هو الخالق المطلع، ومن أصدق من الله حديثاً، فكل شيء صادق في ذلك المنهج.
 2. ثبات ذلك المنهج؛ لأنَّ جميع المناهج الوضعية، والقوانين البشرية في حاجة إلى الثبات، فما يلبث أن يظهر بين الحين والآخر بعض النظريات التي تدحض الحجج، وتظهر وجهاته نظر جديدة، وتهدم المناهج القديمة، وتلغي قواعدها، وتبدأ بمناهج جديدة، ولكن المنهج الإسلامي ثابت في جميع حقائقه، فهو منهج الله ﷻ ومن ثم فنجد أنه ثابت، وهذه من إحدى الميزات التي يتصف بها المنهج الإسلامي.
 3. نجد المنهج الإسلامي متكامل؛ لأنَّه يركز على الجوانب الدينية، والجوانب الطبيعية معاً، فلا يركز على جانب محدد، وإنَّما هو للإنسان يصلح لكل زمان، ولكل مكان؛ ولهذا يعد موجهاً للإنسان بجميعة، وفطرته، ويمكن أن يهديه، ويستقرئ من الواقع الخاص به، ويستنبط الحقائق في حرية تامة، ويتمكن من الوصول إلى الكليات الأساسية التي تصلح لكل زمان ومكان من خلال المنهج الإسلامي.
 4. المنهج الإسلامي يجمع بين الدين والحياة، والعمل والعلم، ينادي بالحرية، واستعمال العقل، وتأمّل الحقائق؛ لأنها هي التي ستقوده إلى الإيمان، وعدم التسليم بالروحانيات فقط لا غير، وذلك ما يتميز به الأسلوب، أو المنهج الإسلامي عن غيره من خصائص المناهج الأخرى.
- فالثبات في المنهج الإسلامي واضح؛ لأنَّه يعتمد على أسلوب منهج سليم، وهو القرآن، والاعتماد على الحقائق العقلية تنتج من الواقع الحقيقي الملموس، ومن الملاحظة المباشرة، فالتفكير الإسلامي أيضاً يرفض الاتباع، والتسليم لآراء الغير السابقين دون إعمال العقل، ودعا إلى العلم والتحصيل، والاستقراء، والاستنباط.
- ومما سبق يتضح لنا المنهج الإسلامي العلمي الذي يعتمد على الأسلوب الصحيح في منهجه، ونتمكن من تحديد خصائص المنهج العلمي في الإسلام:

أولاً: الاستقراء الدقيق للواقع، والألفاظ، والأساليب، والنصوص، والمعاني، والاستنباط، والدلالات، والعلل، والأحكام.

ثانياً: الالتزام بالواقعية في الأخذ بدلالة الظاهر الثابت لدينا بالسمع والبصر أو الحواس يعني: الالتزام بالرصد من خلال الحواس، وعدم تجديد تلك الحواس، النهي عن اتباع رأي دون دليل عليه، يعني: الأخذ بالدليل والبرهان، عدم الأخذ بالهوى، أو الظن، أو الآراء الشائعة، أو التقليد، ولكن يجب الاجتهاد، وتشبيه ذلك من حيث الاجتهاد من حيث القيمة أنه يساوي الجهاد في سبيل الله.

العلم يعتمد على النزاهة، والتشدد في وضع الضوابط.

ثالثاً: الدقة: فإن الدقة أحد الخصائص التي يتميز بها المنهج الإسلامي، بهذا نجد أن المنهج الإسلامي يعد في البحث منهجاً تجريبياً، تقدمت العلوم على يد علماء المسلمين من خلال ذلك، وأيضاً اتخذت أوروبا المنهج التجريبي عن علماء المسلمين؛ لأن علماء المسلمين كان لهم سبق في ذلك عن العلماء الأوروبيين، وكان له أيضاً أثر في النهضة الأوروبية؛ فترجمت العديد من العلوم، والتراث العربي إلى اللاتينية.

قد أضاف المنهج العلمي لدى المسلمين الكثير في شتى العلوم الطبيعية، وهناك العديد من العلماء الذين مارسوا الأبحاث العلمية كما يقول الإمام محمد عبده: إن أول شيء يتميز به فلاسفة العرب عن سواهم من فلاسفة الأمم هو بناء المعارف، والمشاهدات، والتجريبيات، وألا يكتفوا بالمقدمات العقلية في العلم ما لم تؤيد تلك المقدمات التجربة، فيؤيد ذلك ما ذكره "جوستاف ليون"، "جوستاف ليون" هو أحد المستشرقين، حين يتحدث "جوستاف ليون" المستشرق عن القاعدة عند العرب قال: أساس القاعدة لدى العرب جرب، وشاهد، ولاحظ تكن عالماً. إذن لقد أقر المستشرقون بالأسلوب العربي، أو الإسلامي في المنهج العلمي، وهو يعتمد على الأسلوب التجريبي في البحث العلمي.

أيضاً الأوروبيون إلى ما بعد القرن العاشر الميلادي نجد العديد من الكتب التي أشارت إلى دور المسلمين في المنهج التجريبي، ولقد أكدت المصادر القديمة سبق العرب المسلمين في ذلك المجال، أو مجال المنهج العلمي، أو البحث العلمي الذي يعتمد على التجربة والتأمل والملاحظة؛ نجد من هؤلاء ابن رشد، لقد سلك مسلكاً علمياً، أو منهجاً علمياً في بحوثه، وكثيراً ما كان يعتمد على الواقع الطبيعي في حياة الإنسان، وعد الواقع الطبيعي المتوفر في حياة الإنسان هو السبيل

الوحيد إلى المعرفة الصحيحة، وأنَّ الحقيقة عند ابن رشد لا تدرك إلا بالوسائل البشرية، والوسائل الطبيعية.

بذلك يتضح لنا استخدام ابن رشد الأسلوب العلمي في المنهج، أو الأسلوب التجريبي في المنهج العلمي.

أيضاً نجد ابن سينا اعتمد على الملاحظة للظواهر ودراساتها، ثم التجربة، ولم يتوقف، ولم يقتنع دون اختبار ذلك بنفسه، وذلك ما أشار إليه في كتابه (القانون).

ونجد الرازي أيضاً؛ لقد احتلت التجربة مكانة كبيرة في منهجه في الطب، والصيدلة، وكان دقيق الملاحظة، معنياً بتدوين المشاهدات والتجارب، فكان يقول: لا تلتفت إلى الأدوية الغريبة، والمجهولة ما أمكنك إلى أن يصبح عندك أمر أقوى بالتجربة والملاحظة عنها، فنجد أن الرازي هو المبتكر للتجربة الضابطة، فكان يعالج نفس المرضى فقط، ويرى أثر ذلك الدواء عليهم.

إذن فكرة المنهج التجريبي بالعينية التجريبية، والعينة الضابطة من ابتكرها هو الرازي، وكان مجال عمله هو منهجه الأساسي هو الطب والصيدلة؛ فكان لا يعمد إلى استخدام دواء ما، وتعميمه على المرضى قبل أن يجربه، ويتأكد من صلاحيته؛ فكان يقسم المرضى إلى نصفين: نصف تجريبي: يتم تجربة الدواء عليهم، والنصف الآخر: تعد مجموعة، أو عينة ضابطة للتأكد من صحة استخدام، أو من فاعلية استخدام ذلك الأسلوب، أو تلك الأدوية؛ وبذلك يعد الرازي هو من أول من استخدم المجموعات الضابطة في المنهج التجريبي؛ للتأكد من صحة التجارب.

ونجد أيضاً أن أبحاث ابن الهيثم الطبيعية كانت على درجة عالية من التثبت؛ بسبب استخدام التجربة، فكانت التجربة هي المنهج الذي اعتمد عليه في أسلوبه العلمي؛ حتى يحقق النتائج العلمية الصحيحة، فكان يلجأ إلى التجربة في تصحيح الآراء التي تبناها، وأيضاً إليها في التجارب التي يرفضها، وكان يعتبر أن الطريق الحقيقي لمثل هذا التنبؤ، أو الرفض هو الصبر، والاعتبار من خلال التجربة بصورة مباشرة.

يتبين لنا أن المسلمين قد أدخلوا الملاحظة الدقيقة، والتجارب العلمية بهدف رصد النتائج، ولم يقتصر ذلك على الإغريق في الخبرة الماضية في استخدام فروضهم، لقد أشرنا فيما سبق من ذلك الدرس إلى أرسطو، وإلى ما استعان إليه في الاستقراء والتجريب كمنهج للبحث العلمي، وأيضاً ذلك هو ما اعتمد عليه العلماء المسلمون؛ فلم يبدأ البحث العلمي بحق، ويعتبر حقاً بحثاً علمياً إلا

عندما اعتمد على الملاحظة، والتجربة؛ فعند ذلك بدأ البحث الدعوب، والذي تدرج من الجزئيات، ووصل إلى الكليات، واعتبر الاستقراء هو الطريقة العلمية الصحيحة التي اعتمد عليها الباحث.

ويجدر الإشارة إلى اعتراف الغرب الأوروبي بسبق العرب المسلمين في استخدام المنهج التجريبي في البحث العلمي، ذلك الأسلوب العلمي هو ما أثر على العلماء الأوروبيين من أمثال: "روجر بيكون، وماجنس"، وغيرهما من علماء الغرب، لقد أقرت بذلك المستشرفة الألمانية قالت: إن العرب هم مؤسسو الطريق، أو الطرق التجريبية في الكيمياء، والطبيعة، والحساب، والجبر، والجيولوجيا، وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاختراعات، والاكتشافات الفردية في كافة فروع العلم، والتي سرق أغلبها ونسبت للآخرين، لقد قدم العرب أثمن الهدية، وهي: طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب الأوروبي طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة، وتسلمته عليها اليوم.

اعتراف المستشرقين مثل: "داربر، وفونت ريمر، وفرانتز روسنسال"، وهمبورك" كل أولئك اعترفوا بنفس الاعتراف، وأقروا نفس تلك الحقيقة: أن العرب كان لهم السبق في تحديد المنهج العلمي التجريبي في البحث، وأن المنهج هو المنهج الذي اعتمد عليه من الاستقراء والاستدلال. ومما لا شك فيه، ولا غموض، نجد أن أوروبا تتلمذت على يد علماء المسلمين وعلومهم من خلال العصور الوسطى؛ فذلك هو تقرير لحقيقة صادقة، أقرها المستشرقون، ومن ثم يجب أن تتكاتف الجهود؛ لإبراز وتضافر تلك الحقيقة، وإبراز جهود العلماء المسلمين العلمية.

ويجدر بنا الإشارة أن ذلك المنهج هو الذي اعتمد عليه التفكير الفقهي، والتدريب العملي في عملية الاستقراء، والاستنباط الذي استمدت من الكتاب والسنة، وأشار لذلك ابن خلدون أن الصحابة مارسوا الاستدلال بالكتاب والسنة من خلال اتباع منهج محدد، فكانوا يقيسون الأشباه بالأشباه منها، وينظرون الأمثال بالأمثال؛ ذلك أن كثيراً من الوقائع بعد وفاة الرسول وجدوا أنها لم تدرج في نص ثابت؛ فقاموا بقياسها بما يثبتها، وأحقوها بما نص عليه، وشبيه له بها، بشروط في ذلك الإلحاق التصحح، المساواة بين الشبهين، أو المساواة بين المثيلين؛ حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد، وكان ذلك دليلاً شرعياً بإجماع كافة المسلمين، وهو القياس، تلك هي العمليات الفكرية في استنباط الأحكام الشرعية، وبذلك نتأكد أن علم الفقه، وعلم أصول الفقه هما الركيزة التي اعتمد عليها في بناء مناهج، أو منهج العلم التجريبي الإسلامي، وعلى أساسه استمد العديد من علماء المسلمين في العصور التالية أسلوبهم التجريبي في البحث الذي اعتمد

على الملاحظة والمشاهدة وإدراك الحواس، والاستقراء، ثم الاستنباط، وذلك هو أسلوبهم التجريبي في البحث العلمي.

وأيضًا هو ما اعتمد عليه فلاسفة اليونان قديمًا في الأسلوب البحث العلمي، وما أشار إليه أرسطو في منهجه، أو بحثه العلمي. ونجد أن العديد من الأصوليين تنبهوا إلى ذلك المنهج، وبخاصة البحوث التي اعتمدت على مسلك الدوران في الأصول

الفقهية الخاصة بالدورانات، والدورانات هي عين التجربة، وتحدثنا أن الدوران يفيد التجربة بالقطع، فجملة كثير من قواعد علم الطب ثبتت بالتجربة، وهو الدوران بعينه.

وابن تيمية أحد مؤرخي المنهج الاستقرائي الإسلامي الذي يخوض في التجريبيات، ويقرر أن التجريبيات أيضًا هي الطريق إلى العلم، وبخاصة في مجال الطب، والصيدلة، والدواء، والعلوم الطبيعية. فالجانب التطبيقي ظهر بصورة واضحة لدى علماء المسلمين التجريبيين.

الأسلوب الذي نهجه جابر بن حيان في منهجه العلمي

أحد النماذج الفعالة لدى المسلمين، الذين اعتمدوا على المنهج التجريبي في البحث هو جابر بن حيان، من أقدم الأعمال العلمية التي وصلت إلينا هي أعمال جابر بن حيان، لقد توفي جابر بن حيان عام مائة وستون هجرية. وقال جابر بن حيان عن منهجه: لقد عملته بيدي، وبعقلي من قبل، وبحثت عنه حتى صح، وامتنعته فما كذب، هنا إشارة واضحة ومحددة إلى أسلوب جابر بن حيان في البحث العلمي، ولقد اعتمد على أعمال العقل، وإعمال الحواس، والخبرة أو التجربة التطبيقية؛ للتأكد من صحته وفعاليته في ذلك المجال، فنجد ابن حيان اتبع أسلوب المنهج التجريبي العلمي في البحث.

هناك العديد من الكتابات التي أكدت لنا الأعمال الكيميائية المنسوبة إلى جابر بن حيان، والتي تدل دلالة واضحة وقاطعة على قيام علم كيميائي عربي في أواخر القرن الثالث هجري، وأوائل القرن الرابع، فأبي منهج قامت عليه مباحث الكيمياء في هذا العصر المبكر؟ لقد استخدم المنهج التجريبي في البحث العلمي الخاص به. ما الفكرة الرئيسية التي اعتمد عليها جابر بن حيان؟ تعد فكرة استحالة المعادن، أو فكرة الاستحالة هي الفكرة الأساسية التي اعتمد عليها جابر بن حيان في منهجه العلمي.

ما المقصود باستحالة المعادن؟

المقصود باستحالة المعادن: هو تحول ماهية المعدن إلى ماهية معدن آخر، يعني: إمكانية التحول، لكن تحت ظروف محددة، بمعنى أدق: أن التحول طبيعة من طبائع الخلق ممكن، لكن في حدود، وفي إطار ظروف محددة. إذن يجب حتى تتحول من ماهية إلى ماهية أخرى أن تفقد ماهيتها الأولى؛ حتى تكتسب ماهية جديدة.

العمل على فقد تلك الماهية الأولى، من ثم يتم استحالاته إلى ماهية أخرى جديدة تصلح، ومن هنا يمكن التغير، وعدم الثبات، وهذا ما اختلف معه بعض علماء اليونان في ذلك الرأي، ثم في الغالب لا يمكن أن نتوصل إلى معرفة الماهية، فنحن نصل إلى تحديد الطبائع فقط، ولكن كيفية معرفة الكيفية لتلك الماهية؛ فنحن لا نتمكن من الوصول إليها، ذلك إذا كان الأمر مرتبطاً بالطبائع الشخصية.

فالوصول إلى معرفة الطبائع، وميزانها من خلال ميزانها، من عرف ميزانها عرف كل ما فيها، وكيف تركبت، وأما كيف نعرف الكم؟ فبال تجربة والدربة، التجربة والتدريب. فمن كان درباً يعني عنده قدرة على إجراء التجربة كان عالماً حقاً، ولم يكن درباً لم يكن عالماً، وحسبك بالدربة في جميع الصنائع، ومن هذا يتضح لنا البراعة النادرة التي تميز بها جابر بن حيان الخاص بالدربة هنا قصد بها: التجربة، وهو أقدم علماء المسلمين الذي أشار إلى استخدام الأسلوب التجريبي، وأشار جابر بن حيان أن الصانع الدرب يحدق، وغير الدرب يعطل، وأيضاً هناك في بعض الكتابات الخاصة بابن حيان أشار إلى التجربة بمعنى: الاختبار، أو الامتحان، امتحان الشيء.

فبال تجربة يصح ما أورده، وأيضاً بالتجربة نتأكد من رفضه، أو بطلانه، من خلال بطلانه يتم رفضه، وأن ما تم استخراجه بالتجربة سوف يتم قياسه.

إذن يتضح لنا أن جابر تبنى طريقتين: طريق المنطق الأرسطي الخاص بالقياس والبرهنة. وأيضاً طريق المتكلمين الخاص بقياس الغائب على الشاهد.

ومن هؤلاء العلماء أو أقدم هؤلاء العلماء أكدنا أنه جابر بن حيان الذي توفي عام مائة وستون هجرية، وهو يعد أول العلماء الذين استخدموا الأسلوب العلمي التجريبي في الكيمياء. وأكد أن الفكرة الرئيسة في مباحثه: القيام على التجربة والامتحان، أو اختبار الشيء.

فلقد أشار إلى منهجه بأنه عمله بيده وعقله من قبل، وبحثه جيداً، وصححه، وامتحنه؛ أي: اختبره؛ يعني: أجرى عليه تجربة خاصة به، فما كذب؛ أي: ما أخطأ من خلال نتائج تلك التجربة. وبذلك

يتضح لنا أن أعمال العقل واليد والبحث عن الفروض، وتجربة تلك الفروض هو الوسيلة الوحيدة للتأكد من صحتها، وعدم كذبها.

تلك الكلمات القليلة التي أمامنا لقد أوجزت لنا المنهج العلمي الذي استخدمه، وهو المنهج العلمي الصحيح الذي يجب أن يُتبع.

ولقد أعد جابر التجارب؛ فكانت هي المحك، لقد أشار إلى أنه من كان دربًا كان عالمًا حقًا، ومن لم يكن دربًا لم يكن عالمًا، وحسبك بالدربة في جميع الصنائع أن الصانع الدرب يعني: القادر على التدريب وإجراء التجربة يحقق يعني: يتمكن، وغير الدرب يعطل أي: يتأخر، عاجز، والمراد هنا: بالتجربة الجديدة.

فقال أيضًا جابر: إياك أن تُجرب، أو تعمل حتى تعلم، ويحق أن تعرف الباب من أوله إلى آخره بجميع تنقيته وعلله، معنى ذلك: أن يسبق إجراء التجربة العلم، فعليه أن يكون عالمًا بالشيء أي: استقرأ ما يرتبط بذلك الشيء من العلوم والكتب، وسلك كافة الدروب فيها، ثم يلي ذلك إجراء التجربة، والجمع العلمي، وتنقيته، يقصد بذلك: أنه يتطرق لكافة الفروع المرتبطة بذلك العلم، وتحديد العلل المرتبطة به، ثم تقصد لتجرب.

إذن وضع أسسًا معينة قبل إجراء التجربة خاصة بالقراءات المتنوعة للباحث، ثم جمع البيانات من خلال العلل والمعلومات، ثم يبدأ في التجربة؛ فيكون في التجربة كمال العلم؛ لأنها اعتمدت على أسلوب صحيح، واعتمدت تلك التجربة على أسس محددة.

إذن نجد العالم جابر بن حيان وضع لنا الأساس في إعداد -أولًا- العالم؛ كي يعد نفسه، ثم كيف هو الطريق إلى سبيل ذلك العلم؟ ثم ما الخطوات التي يجب أن يتبعها لذلك العلم؟ فمن لم يعمل، ويجرب لم يظفر بشيء، أي: لم يكسب شيئًا، أو لم يربح شيئًا.

ويشبه جابر عالم الكيمياء بالطبيب؛ لأنَّ الطبيب لا يمكنه شفاء الأمراض إلا بمعرفة الأسباب، وتلك حقيقة، أو مسلمة يسلم بها كافة العلماء، أيضًا عالم الكيمياء لا يتمكن أن يصل إلى مزج المركبات إلا إذا تمكن من معرفة طبيعة كل مركب من تلك المركبات على حده.

إذن قبل إجراء التجربة لمزج مركبين مع بعضهما البعض يجب تحديد خواص كل مركب من تلك المركبات. وحتى تكون قادرًا أن تصل إلى مرحلة التجريب يجب أن تكون تمكنت من إعداد نفسك، وأهلت نفسك جيدًا من خلال العلم، وأن تطرق في سبيل ذلك كافة الأبواب.

فشبه الكيميائي بالطبيب، فقال: الكيميائي يشفي أمراض المعادن كما يشفي الطبيب الجسم المريض من خلال الموازنة بين الخلط -يعني: استخدام التجارب في تلك الأدوية- وذلك باستخدام أدوية، واستعمال أدوية خاصة بأمراض كل، سواء كانت المعادن لشفائها، أو للأمراض لأدوية لعلاج الأمراض الجسد للطبيب.

فالأدوية ليست سوى الأكاسير، يقصد بالأكاسير: أن الشيء الذي يفعل بخلاصة هذا الشيء يحدث العمل فلا يتعداه؛ لما له من القوة والنفوذ الأعلى منه.

أسلوب جابر بن حيان اعتمد هنا على طريقتين: في الكيمياء اعتمد إلى طريق التركيب بالأدوية الشافية، وصب العلاج بالأدوية المركبة من تركيبين.

كيف يتمكن من علاج الأمراض إلا إذا تم الإحاطة بالأسباب الطبيعية لتلك الأمراض، ثم الأعراض الخاصة بتلك الأمراض، والآثار الموجودة منها، ومن ثم نتمكن من استنباط، أو استنتاج الأدوية الخاصة بها. أيضًا أشار جابر إلى قدرته على القياس من خلال المنهج التجريبي.

وسوف نشير هنا إلى الأسلوب الذي استخدمه جابر في قياس الشاهد بالغائب من خلال ثلاث وجوه:

أولاً: المجانسة.

ثانياً: مجرى العادة.

ثالثاً: الآثار.

ذلك هو الأسلوب الذي اتبعه، أو الخصائص، أو الأسس التي اعتمد عليها جابر في القياس والبرهان الخاص بقياس الغائب على الشاهد، وهو كان منهجه التجريبي الذي اعتمد عليه.

أولاً: المجانسة:

المقصود بالمجانسة، أو دلالة المجانسة لدى جابر تسمى: الأنموذج، تقوم على استدلال بالأنموذج الجزئي على أنموذج آخر جزئي أيضاً، أو عدد من النماذج الجزئية. إذن يبحث حول نموذج واحد جزئي، ثم يستعين بنماذج أخرى شبيهة لذلك النموذج، وكلها نماذج جزئية، ومن خلال تلك النماذج يتم التوصل إلى حكم كلي، اعتمد على المقدمات، أو النماذج السابقة، وهو ما يقابل

الوقائع المختارة في المنهج الاستقرائي، يعني: تحديد الوقائع بصورة، واستقراء المعلومات منها من خلال تلك الجزئيات.

أشار جابر أنه يمكن الإشارة إلى جزء من الشيء، ومن خلال ذلك الجزء يتم الاستدلال على أن الجزء صفة أساسية من صفات هذا الكل. فالرجل يرى صاحبه بعضاً من شيء؛ ليدل به على أن الكل هو ذلك الشيء، إذن الكل مشابه لهذا البعض، فابن حيان رأى الوجه ليست دلالة ثابتة صحيحة، أي: أنه يرى أنها ليست دلالة يقينية، بل ظنية، أو احتمالية، ويذكر هنا المصدر الذي أخذ منه هذه الدلالة: أن جماعة من أهل النظر -أي: المتكلمون، والمتحدثون- استدلووا على دلالة الاضطرار، أي: أنهما ذهبوا إلى يقينية هذه الدلالة، أنهم أثبتوا من أجل هذا الشيء الذي هو الأنموذج مثلاً، وهو من جنسه شيء آخر، وهو أكثر منه، ولكن نرى أن ابن حيان لم يوافق على هذا الرأي الخاص بالمتكلمين، ويرى هذه الدلالة ليست اضطرارية؛ لأنها ليست ثابتة؛ وذلك أن هذا الشيء الذي هو يعتبر أنموذجاً، أو جزءاً من الكل -مثلاً- لا يوجب وجود شيء من جنسه في حكمه كجوهر، وطبيعة لذلك

الحكم؛ وذلك بسبب: أنه تنبه إلى وجود قياس الغائب على الشاهد عند المتكلمين، وأيضاً نادى بتطبيقه في التجربة، ولكن المتكلمين ذهبوا إلى أن نتائج هذا القياس هي نتائج يقينية إذا طبق في مجال الإلهيات، ولكنه متوافق مع روح منهجه هو التجريبي.

نجد أن ابن حيان لم ينكر فكرة التضافيف الخاصة مرتبطة بالأنموذج، لكنه يرى أنه لا بد من إثبات هذا الشيء الجزئي والبعضي؛ لأنه من الممكن أن يكون هذا الشيء ظنه جزئياً، وهو ليس من جنسه تماماً، ومن ثم يجب إثبات أنه من جنس هذا الجزء؛ فوجود الكلي من تلك الجزئيات مرتبط بالترابط واليقين، بالترابط بينهما، فيجب أن يكون من جنسه، ويجب أن يكون الاستدلال عن ذلك صحيحاً ويقينياً؛ فإن لم يكن ذلك لا يجوز أن يكون، أو الاعتراف أنه كلي له، فليس فيه علم ثابت يقيني أن هذا الاستدلال لا ينتهي إلى المشابه بين الطباع.

فابن حيان أخذ بدلالة المجانسة؛ لإثبات قياس الشاهد على الغائب، بشرط: أن يكون جزءاً منه، واستعان بذلك أنه يجب أن يستدل عن ذلك بأكثر من جزء خاص به، ولكنه لا يوافق على اليقينية في هذا الجزء، فهو ليس يقيناً أو تسليمياً، إن هذا فقط استدلال لا ينتهي إلا إلى المشابهة.

ثانيًا: دلالة مجرى العادة:

نجد أنَّ العادة عبارة عن ما يستقر في النفوس من أمور متكررة ومعقولة عند الطبائع السليمة، فتلك هي العادة. نجد أن بعض الأصوليين أقاموا قياسهم على فكرة العادة، وأنهم إذا شاهدوا حادثة تعقبها حادثة أخرى حكموا بأنهم إذا شاهدوا هذه الحادثة مرة؛ فإنَّ المرة الأخرى سوف تعقبها الحادثة الأخرى، أو سوف تقترن بها، وبدون تحقيق تلك لن تتحقق الثانية، وهذه هي عادة تقوم على المشاهدة.

جابر بن حيان أعلن احتمالية هذا المسلك، وأما التعلق المأخوذ من جري العادة، فإنه ليس فيه علم يقيني، أو واجب، أو اضطراد برهاني، بل علم إقناعي فقط، يبلغ إلى أن يكون أخرى، وأولى، وأجدر فقط لا غير، فهو ليس برهانيًا؛ فالعادة ليست برهانية، أو يقينية، لكن هي أولى فقط؛ وذلك سبب استخدام الناس له، وتقبلهم له. ولهذا قصر استخدامهم له، وتقبلهم له؛ لأنه أخرى بهم؛ لأنه هو الطريق في الاستخدام.

ولكن يؤكد جابر أنه ليس في هذا الاستدلال علم يقيني اضطراري واجب، بل هو علم ظني؛ لأنَّ الناس يستخدمونه؛ لأنَّهم يعلقون ويستشهدون بالشاهد على الغائب في ذلك، ولكن ذلك قائم على الظنون، والحسبان؛ لأنَّ الناس عادة يجرون أمورهم قائمين على الظنون والحسبان، ولكن لا يمكن الركون إليها، والتثبت من برهانها.

فالنفوس البشرية دائماً تميل إلى تكرار الحادثة؛ حتى تشعر بالاستقرار، وذلك هو استعداد فطري لدى الجميع، وأشار لذلك أيضاً "جون ستيوارت ميل"، ولكن نجد جابر يعطي أمثلة لاستخدام هذا المنهج، سواء كان عند اليونانيين، ولكنه استخدم هذا المنهج أيضاً بأسلوب استدلال؛ فيرى جابر أنَّ المنهج الاستدلالي له الآثار، فهو منهج ممكن استخدام القياس فيه الغائب على الشاهد، ولكن ذلك القياس لا يصل إلى حد اليقين؛ لأنَّه استدلال بالآثار على الآثار.

وهنا نتساءل: ماذا قصد جابر بأنَّ العادة هي اضطرار حادثة بعد أخرى؛ فنحكم ظناً بوجود علاقة بينهما، لا حكماً يقينياً، ولا حكم ضرورية عقلية علمية؟ لأنَّ علمنا قاصر هنا بالجزئيات التي اعتمد عليها في الأسلوب الأول، والعادة دائماً ما تحدث في نفسنا ميلاً إلى الترجيح، ولكنها لا تحدث تأكيداً، وممكن خرق تلك العوائد، وتغييرها، والبراهين شهدت بذلك: أنه يمكن تغيير، أو خرق تلك العادات.

ويقول جابر محدثاً في هذا الباب: لا ينبغي أن يتجاوز المعنى بهذا المذهب، إنما كان يمكن أنه لا يكون مولوداً إلا مثال ما أدركناه، وشاهدناه، لو كنا أدركنا جميع الموجودات، وأحاط علمنا بها، ولكن علمنا يقصر عن الإحاطة بكافة الجزئيات السابقة، الموجودات التي تشير إلى الجزئيات، ومن الممكن أن تكون هناك موجودات تخالف حكمها في الأشياء حكم ما شاهدنا.

إذن لا يمكن التأكد من خلال ذلك الأسلوب، أو ذلك المنهج، والتسليم به كأنه برهان، فالمنهج الاستدلالي هو طريق فقط احتمالي لدى جابر بن حيان، ولدى الكثير من رجال المنهج العلمي في العصر الحديث الذين أوشكوا أن يصلوا إلى حد الإجماع؛ فالعلم في عصرنا أو في عصورنا الحديثة احتمالي النتائج ما دام يقوم على المنهج الاستدلالي فقط دون التجريبي.

وذلك كان مجال بحث علماء العصر الحديث، وطرحوا تساؤلاً هاماً وهو: كيفية التوفيق بين أن يكون المنهج العلمي الاستقرائي، أو الاستدلالي ذا قضايا مقبولة الصدق، وكانت هناك محاولة كثيرة لتحويل ذلك المنهج إلى اليقين، أو براهين؟

ثالثاً: دلالة الآثار:

الآثار لدى ابن حيان هي: الدليل النقلي، أو شهادة الغير. الآثار: هي الدليل النقلي، أو سماع رواية؛ فهي تعد شهادة ظنية قد تقبل وقد لا تقبل، وكذلك أنكر من قبل "جالنيوس" استناده على أقوال الأجداد والآباء، وعلى أقوال المنجمين من قبل. لقد وضح جابر تلك الفكرة، وأشار إلى أنه ينبغي أن نبحث عن اليقين عامة، وأن هناك أوائل وثواني أو ثانويات في العقل، الأوائل تلك التي يسلم بها، وليست فيها مجال للشك، ولا يحتاج إلى برهنة، أو دليل، أما الثواني: فتستوفى من الأول بدالاتها، من دلالة تلك المسلمات التي لدينا في الأول نتوصل إلى هذه الثانويات، وحتى نتوصل إليها يجب أن يكون الحدس مطلقاً، وأيضاً يكون بدون خطأ.

ذكر هنا جابر الحدس، ويخرج المبادئ، ولكن ما الذي يدفع جابر بن حيان إلى ذكر الحدس؟

نذكر الحدس؛ لتؤكد من صحة هذه الحدوث بصورة يقينية. إذن نرفع مستوى الآثار إلى مستوى اليقين، أي: من الصعوبة بمكان أن نقول: التوصل إلى الحدوث لكل إنسان، فإذا انكشفت الشكوك فلم يبق في النفوس والعقول من المتطلبات شيء، وهذا لا يكون إلا بالعيان البتة، العيان الحقيقي والبرهان، وإقامة البرهان لا يكون إلا من خلال العيان، أن تتأكد من الشيء بنفسك، بحواسك، وليس بالآثار؛ لأن الآثار من فعل ناس آخرين، ولكنه بالعيان.

نخص الحدس يعني: العيان، والعيان هو الذي يُعتمد عليه في إقامة البرهان والدليل، والذي نتمكن من تصديقه.

من هم الذين نأخذ منهم الآثار بأسلوب يصل لمرحلة اليقين؟ فقط الأنبياء، الأنبياء أولاً، ثم أهل البيت، والخلفاء، وهؤلاء هم الأصحاب الأوائل للعيان والحدوث وحملة الآثار.

إذن فالآثار من الممكن أن نستخدمها كطريق لليقين إذا ما أتت عن طريق رسول الله ﷺ وبذلك نجد لهذا العالم العديد من التجارب العلمية التي اتخذت كل مأخذ، وكان لمنهجه عظمة تأثر بها المتحدثون في الإسلام، وأهل السنة المتعددون، وتلاه الكثير من العلماء في المجال الذين استخدموا الأسلوب العلمي في البحث.

وأكد جابر ضرورة إدراك الحواس، وأكد على العقل؛ فالمعرفة هنا لديه القياسية مرتبطة بالموجودات، والموجود داخل العقل ينقسم إما مسلم أول، أو ثانوي الذي هو الدليل، ولا يحتاج إلى دليل، وأما الإدراك الثاني، وهو الوجود من خلال المسلم الأول، فهو ثانوي، وليس أولي فيحتاج إلى الدلائل.

والمجانسة لديه والعادة والآثار جعلها أوجه لعملية القياس الظنية؛ لأنها ليست بالنسبة لديه يقينية، ولا يجب الاستدلال عليها بالجزئيات المتنوعة للوصول إلى الكليات، والدلالة الظنية لديه دلالة احتمالية، وليست يقينية؛ لأن ما جرى مجرى العادة فهو استدلال، فليس يقيناً، والاستدلال المبني على العادة أيضاً في قوته يكون ضعيفاً؛ لأنه في حاجة المظاهر والأشياء حتى تؤكد.

فالبرهان واليقين هو حالة الاستنباط التي تولد به نتيجة من مقدماتها توليداً ما دامت المقدمات بالضرورة صحيحة، وفكرة الاحتمال أخذها جابر من المتكلمين، فلا يجوز الحكم على ما لم يتم مشاهدته وتحويله إلى الاحتمال.

إذن في الدليل النقلي، أو شهادة الغير ينبغي ألا تقبل على إطلاقها، أو ترفض على الإطلاق، ومن ثم يجب التأكد من ذلك من خلال الحدس، والإدراك، والتجريب. فجابر من علماء الكيمياء العربية، فما افتخرت الحكماء بكثرة العقاقير، وما افتخرت بجودة التدبير؛ فنجد أنه دائماً في أقواله يركز على خطة البحث التي يجب أن يسلكها، ويستخدم أسلوباً فريداً من المشاهدة المضبوطة، والتجريب المحكم، والمنهج القويم السليم في البحث.

ومما سبق يتبين لنا أهمية التجربة، فرأى ابن تيمية أن الحسيات الظاهرة، والباطنة تنقسم إلى: خاصة، وعامة، فالتجربة، والتواتر هما الأساسيان.

وكان الاجتهاد بالرأي هو أصل من أصول الأحكام الفقهية، وهو القياس، فالاجتهاد والقياس مترادفان لدى جمهور المسلمين، فانتهوا إلى أصول أربعة للأحكام، وهي: القرآن، والسنة، يليهم الإجماع، والقياس، ومن ثم تعددت المذاهب الفقهية تبعاً لتلك الأحكام.

ولكن المسلم به أن المسلمين اتبعوا القرآن والسنة، ثم ظهرت جزئيات كثيرة، تلك الجزئيات تطالبت من علماء المسلمين أن يحكموا عليها، إما حسب العرف، أو حسب الإدراك للمعنى.

وهنا كان علينا الاجتهاد بأرائهم فيما لم يرد فيه نص، وعرف ابن القيم الجوزية الرأي بقوله: إنما ما يراه القلب بعد الفكر، والتأمل، وطلب المعرفة على وجه الصواب.

إذن الفكر والتأمل وطلب المعرفة على وجه الصواب، ذلك هو الأسلوب، أو المنهج التجريبي في البحث العلمي.

ولقد كان عمر بن الخطاب دائم إعمال الرأي، وقد ارتقى البحث في الرأي، ونظم، ووضعت له قواعد، وشروط، وسمي: بالقياس، وأيضاً بالرأي عمل أبو حنيفة؛ لأن المجال واسع أمام الحرية العقلية، فمن ثم فتح المجال أمام القياس باستعماله في الفقه بأسلوب محدد.

الدرس الرابع

تصميم البحوث النوعية

العنصر الأول : الأسس النظرية لدراسة الظواهر وتفسيراتها

العنصر الثاني : البحوث التطبيقية

العنصر الثالث : دراسة الحالة : الدراسات التاريخية والدراسات المسحية والدراسات الوثائقية.

العنصر الرابع : الطريقة الفلسفية

العنصر الأول : الأسس النظرية لدراسة الظواهر وتفسيراتها

تعتمد الأسس النظرية للبحوث النوعية على المنهج الوصفي بكل أنواعه ، وفيما يلي حديث كامل عن هذا المنهج وأسس وأنواعه.

المنهج الوصفي كما يعرفه الباحثون هو:

" المنهج الذى يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها كيفيا بوصفها وتوضيح خصائصها، وكما بإعطائها وصفا رقميا من خلال أرقام وجداول توضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى".

و يعتبر المنهج الوصفي مظلة واسعة ومرنة تتضمن عددا من المناهج والأساليب الفرعية المساعدة مثل المسوح الاجتماعية أو الدراسات الميدانية أو دراسة الحالة وغيرها. ولهذا يكاد المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الاخرى بإستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي، ذلك لأن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية.

و يشيع استخدام هذا المنهج في الدراسات التي تصف وتفسر الوضع الراهن أو ما هو كائن في أرض الواقع للظاهرة، وكذلك في الدراسات التي تهتم بتكوين الفرضيات واختبارها. كما يعد هذا النوع من البحوث ذو أهمية خاصة في مجال الدراسات الإنسانية، لاسيما أنه يستخدم للكشف عن آراء الناس ومعتقداتهم واتجاهاتهم إزاء موقف معين، كما يستخدم أيضاً للوقوف على قضية محددة تتعلق بجماعة أو فئة معينة.

ولا يقف المنهج الوصفي عند مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة وإنما يتعدى ذلك إلى محاولة التشخيص والتحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها وبيان نوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها واستخلاص النتائج منها وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبل أغوار مشكلة او ظاهرة معينة والتعرف على حقيقتها في أرض الواقع، ثم الوصول إلى تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة.

وبالرغم من أن الهدف الرئيس للمنهج الوصفي هو فهم الحاضر لتوجيه المستقبل، فإنه يشمل في كثير من الأحيان على عمليات تنبؤ لمستقبل الظواهر و الأحداث التي يدرسها. من خلال تقديم

صورة عن معدل التغير السابق في ظاهرة ما بما يسمح للإنسان من التخطيط العام لبعض جوانب المستقبل. لكن قدرة الدراسات الوصفية على التنبؤ بصفة عامة تبقى محدودة وذلك لصعوبة الظاهرة الاجتماعية وتعقدها وتعرضها لعوامل متعددة تؤثر على سرعة تطورها أو تغيرها.

الخطوات التي يقوم بها الباحثون في المنهج الوصفي:

- (1) الشعور بالمشكلة، وجمع بيانات تساعد على تحديدها، والتأكد من وجودها الحقيقي.
 - (2) تحديد ملامح وخصائص الظاهرة أو المشكلة والتعرف على الجوانب غير الواضحة منها لدراستها.
 - (3) وضع التساؤلات أو الفرضيات الخاصة بموضوع الدراسة.
 - (4) تحديد متغيرات المشكلة وطبيعة العلاقات بين هذه المتغيرات.
 - (5) تحديد نوع وطبيعة المعلومات المطلوبة.
 - (6) تحديد مجتمع الدراسة واختيار العينة التي ستجرى عليها الدراسة مع توضيح حجم هذه العينة وأسلوب اختيارها.
 - (7) اختيار أساليب جمع البيانات أو إعدادها.
 - (8) وضع قواعد لتصنيف البيانات تتسم بعدم الغموض، وملاءمة الغرض من الدراسة، والقدرة على إبراز أوجه التشابه أو الاختلاف أو العلاقات ذات المغزى.
 - (9) تقنين أساليب جمع البيانات.
 - (10) القيام بملاحظات موضوعية منتقاة بطريقة منظمة ومميزة بشكل دقيق.
 - (11) وصف النتائج وتحليلها وتفسيرها في عبارات واضحة محددة.
- وأضاف الباحثون عدة ملامح أخرى للمنهج الوصفي يمكن إجمالها فيما يلي:

- (1) أنه يجيب عن الأسئلة (من وماذا وأين ومتى وكيف).
- (2) أنه يعرف أيضا بالبحث الإحصائي على أساس أن الفكرة الكامنة وراءه هي دراسة الترددات، والمتوسطات وغيرها من الحسابات الإحصائية، وتوفر الإحصاءات الوصفية عرض

البيانات على شكل رسوم بيانية، وهى الأسلوب الشائع المستخدم من قبل الباحثين لتنظيم وتلخيص البيانات الرقمية التي يتم جمعها من السكان والعينات.

(3) أن البحث الوصفي يهدف لجمع البيانات دون زيادة أو نقصان، ودون أي تلاعب بسياق البحث، بمعنى أن عامل التحكم والتلاعب في سياق هذه البحوث منخفض وغير تدخلية ويتناول الأحداث كما هي في صورتها الطبيعية.

(4) أن التعبير عن النتائج في البحوث الوصفية يختلف حسب طبيعة المشكلة فيمكن عرض النتائج بأي من الطريقتين الكمية أو الكيفية، أو من كليهما معا.

(5) تتنوع الدراسات الوصفية من حيث مستوى تعمقها، من جمع المعلومات والإحصاء البسيط أو الوصف البسيط للظاهرة إلى تنظيم العلاقات بين هذه المعلومات ودراسة تأثير عامل معين أو أكثر على النتائج.

(6) أن البحث الوصفي هو الأسلوب الأكثر استخداما والأكثر ملائمة في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية ؛ حيث يصعب إخضاع بعض الظواهر للتجريب والمختبر فتبقى الدراسات الوصفية هي الأسلوب الوحيد لدراسة ظواهر عديدة.

(7) يرى بعض الباحثين أن الدراسات الوصفية هي أعمال علمية وليست أبحاثا بمعنى الكلمة لأنها تقدم وصفا وتفسيرا لواقع ما معين، ولكنها لا تتعمق للكشف عن الطريقة التي تؤثر بها العوامل المختلفة على ظاهرة ما أو الكشف عن مقدار تأثير كل عامل على هذه الظاهرة كما يحدث عادة في البحوث التجريبية.

(8) من الأسس المنهجية التي تستند إليها البحوث الوصفية، والتي يجب على الباحث مراعاتها: التجريد والتعميم. ويعنى التجريد "عملية عزل وانتقاء مظاهر معينة من كل عام ممثلا في ظاهرة معينة". والغرض من هذا العزل هو تمييز خصائص وسمات الظاهرة المدروسة، بسبب التداخل والتعقيد الذى تنسم به الظواهر الاجتماعية. أما التعميم فهو عملية إستخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة محل الدراسة على أساس معيار مميز.

والمشكلة هنا هي أن الدراسات الوصفية تناقش غالبا ظواهر محددة بزمان معين ومكان معين، ولهذا يكون من الصعب تعميم نتائجها لأن هذه الظواهر تتغير من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر.

المنهج الوصفي وأنواعه

هناك اختلافات بين الباحثين في تصنيف أنماط البحوث الوصفية وأنواعها، سنسلط الضوء على ثلاثة أنواع مهمة منها، وهي:

1- الدراسات المسحية أو المنهج المسحي:

وهو عبارة عن دراسة الظاهرة في بيئة محدّدة ومجتمع معيّن في الزمن المعاصر لإجراء الدراسة، بهدف جمع الوقائع والمعلومات والبيانات، والكشف عن الحقائق، من أجل استخلاص النتائج، وإيجاد الحلول المناسبة التي تدخل في وضع خطط الإصلاح والنهوض بالمجتمع.

والدراسات المسحية على أنواع، منها:

أ- الدراسة المسحية التعليمية:

وهي الدراسات التي تتمركز حول دراسة العملية التعليمية والتعلّمية بكافة أبعادها، بهدف رسم خطط مؤدّية لرفع مستوى التعليم وزيادة كفاءته.

والدراسات المسحية التعليمية يمكن أن تغطّي بعض أو كلّ الجوانب الآتية:

- الجانب التنظيمي والقانوني والإداري الخاص بالتعليم.
- الجانب المالي والنفقات والموازنات.
- الأساتذة والمعلّمين وخصائصهم ومهاراتهم ومؤهلّاتهم وتخصّصاتهم والدورات التي خضعوا لها...
- أحوال الطلبة ومستوياتهم العقلية والصحية والاجتماعية، والفروقات الفردية بينهم...
- المناهج التعليمية وطرائق التدريس...
- الإطار الاجتماعي والثقافي للتعليم.

ب- الدراسة المسحية المرتبطة بتحليل الوظائف:

وهي عبارة عن جمع البيانات والمعلومات المتعلّقة بواجبات العاملين ومسؤولياتهم والنشاطات الخاصة أثناء دوام العمل ومراكزهم وعلاقتهم داخل التنظيم الإداري، وكثيراً ما يتّجه التحليل إلى تحديد مطالب العمل وظروفه والمواصفات التي ينبغي أن تتوافر في العامل، ويمكن لهذه الدراسة أن تشمل الجوانب الآتية:

- الكشف عن نواحي الضعف والتكرار في إجراءات العمل وظروفه.
- تصنيف الوظائف.
- تقدير الأجور والرواتب.
- تحديد شروط المرشح.
- وضع الإنسان المناسب في المكان المناسب.
- وضع برامج التدريب.
- اتخاذ القرارات الخاصة بنقل الموظفين.
- توفير الأساس النظري لدراسة المهن والوظائف المختلفة.

ج- الدراسة المسحية المرتبطة بتحليل المضمون ومحتوى الوثائق:

تتميز الدراسات المسحية في ضوء أسلوب تحليل المضمون عن غيرها من الدراسات الوصفية بأنها لا ترتبط بالواقع مباشرة، بل هي عبارة عن دراسة الواقع بطريقة غير مباشرة من خلال مسح مضمون الوثائق والسجلات والتقارير والمطبوعات والكتب والدوريات والقوانين والبرامج والاتفاقيات والسير الذاتية والأفلام والصوتيات والرسائل... من المواد التي تحتوي على معلومات تخدم الباحث في دراسة موضوع بحثه ومعالجة المشكلة البحثية.

فمثلاً إذا أردنا دراسة أفكار وعقائد واتجاهات وميول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي أو الشهيد مرتضى مطهري أو السيد محمد باقر الصدر وغيرهم من العلماء، يتم ذلك من خلال عملية منهج تحليل المضمون، عبر دراسة محتوى كتبهم ورسائلهم ونصوصهم والأشرطة الصوتية والمقابلات والحوارات... مثلاً بالنسبة للعلامة الطباطبائي يمكن الدراسة المسحية لمحتوى كتبه: الميزان في تفسير القرآن، ونهاية الحكمة، وحواشيه على الحكمة المتعالية وبحار الأنوار، ورسالة البرهان، ورسالة الاعتباريات، وأصول الفلسفة والمنهج الواقعي، وحواراته مع هنري كوربان... وغيرها، وتحليل تلك المضامين والقيام بعملية مقارنة بينها، ومناقشتها للخروج بخلاصات ونتائج.

وعند استخدام الطالب لمنهج تحليل المضمون، عليه الالتفات إلى عدّة خطوات:

- 1- السعي وبذل الجهد للحصول على الوثائق المتعلقة بموضوع الدراسة.
- 2- أن لا يُغفل أيّ وثيقة لها علاقة بدراستها، لأنّه قد يوجد فيها قرائن توجّه البحث باتجاه دون آخر.

- 3- التحقق والتثبت من مدى موثوقية المضمون الذي ينصبّ تحليله عليه.
- 4- أن يخضع التحليل والاستنتاج للشروط العلمية والموضوعية التي تفرضها الوقائع كما هي، دون التعصّب والهوى والميول الشخصية.

د- الدراسة المسحية المرتبطة بالرأي العام:

الرأي العام: هو تعبير الجماعة أو الجمهور عن رأيه ومعتقداته واتجاهاته وميوله وعواطفه في وقت معيّن بالنسبة لموضوع يخصّه أو قضية مهمّة أو مشكلة يعاني منها.

2- دراسة العلاقات والروابط المتبادلة:

إنّ دراسة الظواهر في ضوء المنهج المسيحي تكفي بوصف الظاهرة وتفسيرها دون الدخول في عملية دراسة العلاقات بين الظواهر المختلفة، أمّا المنهج الوصفي في ضوء دراسات العلاقات فيتجاوز دراسة الظاهرة وفهمها إلى دراسة العلاقات بين مختلف الظواهر والوقائع، والقيام بعملية ربط بينها، بهدف الوصول إلى فهمها بصورة أعمق، ولهذا تعتبر دراسة العلاقات ذات مستوى متقدّم على الدراسات المسحية. وتصنّف دراسة العلاقات إلى ثلاثة أنواع، وهي:

أ- دراسة الحالة:

يُقصد منها دراسة حالة معيّنة لشخص أو مجموعة من الأشخاص عبر فترة زمنية محدّدة بقصد الكشف عن السلوك الفردي أو الجماعي. وتختلف دراسة الحالة عن الدراسة المسحية في عدّة أمور، منها:

- تحرص دراسة الحالة على استخدام أكبر عدد من وسائل البحث، في حين يمكن إجراء الدراسة المسحية بأقل ما يمكن من أدوات البحث.
- يغلب على دراسة الحالة الأسلوب النوعي، في حين يغلب على الدراسة المسحية الأسلوب الكمي.
- تكون العيّنة في دراسة الحالة صغيرة، بينما تكون العيّنة في الدراسات المسحية كبيرة.

ب- الدراسة المقارنة للأسباب:

تهدف هذه الطريقة إلى اكتشاف الأسباب الممكنة لنموذج معيّن من السلوك، وذلك عبر إجراء مقارنة بين مجموعة من الأشخاص تتبّع سلوكاً معيّنًا ومجموعة أخرى مشابهة لها لكنّها لا تتبّع نفس السلوك.

ج- الدراسات الارتباطية:

هذا النوع من الدراسات يفيد في تقدير العلاقة بين متغير أو أكثر من ناحية وفي التعرف على مدى هذه العلاقة بينهما من ناحية أخرى.

3- الدراسات التطويرية:

هي دراسات تتناول الوضع القائم للظواهر والعلاقات المتداخلة في بعضها، وتتناول أيضاً التغيرات التي تحدث للظواهر عبر الزمن. ويوجد نوعان من هذه الدراسات، هما:

أ- دراسات النمو:

مثل دراسة النمو العقلي واللغوي والانفعالي والاجتماعي... لِعَيِّنة محدَّدة، كتلامذة الحلقة الأولى...

و يوجد طريقتان في دراسات النمو:

الأولى: الطريقة الطولية أو العمودية: وهي عبارة عن اختيار عيّنة من تلامذة الصف الأول مثلاً، ثم الاستمرار في ملاحظتهم وهم ينتقلون من صف إلى صف، وسنة بعد أخرى.

الثانية: الطريقة العرضية أو الأفقية: وهي دراسة مجموعة من الصف الأول، ومجموعة من الصف الثاني مثلاً...

ب- دراسة الاتجاه:

يعتمد هذا النمط من الدراسات على جمع المعلومات عن الظاهرة في وقتها الحاضر ومتابعة دراستها في فترة زمنية قادمة (وأحياناً سابقة)، أي دراسة الظاهرة في أوقات مختلفة، لاستقراء اتجاهاتها وتوقع ما يُنتظر حدوثه في المستقبل.

لقد زاد الاهتمام بهذا النوع من الدراسات نتيجة الاهتمام بالتخطيط المعتمد على الوعي بالاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...

ومع هذا، فإنّ هذا النوع من الدراسات له محاذيره، إذ إنّ التوقعات لهذه الدراسات وبخاصة تلك التي تكون على المدى الطويل كثيراً ما يثبت عدم صدقها في الواقع بسبب وقوع حوادث مفاجئة.

خطوات المنهج الوصفي

يتحرّك المنهج الوصفي ضمن الطرق المعهودة لمناهج البحث العلمي، في ضوء الخطوات الآتية:

1. الشعور بالمشكلة من خلال الجواب عن مجموعة أسئلة: ماذا؟ لماذا؟ أين؟ متى؟ كيف؟ كم؟
2. تحديد المشكلة التي يريد الباحث دراستها وصياغتها بشكل سؤال محدّد أو أكثر من سؤال.
3. وضع مجموعة من الفروض كحلول مبدئية للمشكلة ليُتّجه بموجبها الباحث للوصول إلى الحلّ المطلوب.
4. وضع المسلمات التي سيبنى عليها الباحث دراسته.
5. تحديد حجم العينة وأساليب اختيارها، والقيام بعملية اختبار العينة التي ستجري عليها الدراسة.
6. اختيار أدوات البحث واستخدامها في الحصول على المعلومات، كالاستبيان أو المقابلة أو الاختبار أو الملاحظة، وفقاً لطبيعة مشكلة البحث وفروضه، وتقنين هذه الأدوات لمعرفة صدقها وثباتها.
7. القيام بجمع المعلومات المطلوبة بطريقة دقيقة ومنظمة.
8. الوصول إلى نتائج البحث وتنظيمها وتصنيفها.
9. تحليل النتائج وتفسيرها.
10. استخلاص التعميمات والاستنتاجات.

مثال تطبيقي على خطوات المنهج الوصفي:

يشعر أحد المشرفين التربويين أنّ مديري المدارس تتفاوت علاقتهم مع المعلّمين في مدراسهم، فيقرّبون بعض المعلمين ويثقون بهم ويعملون معهم، بينما يهملون معلّمين آخرين. ولمس هذا المشرف أنّ بعض المعلمين يتذمّرون من المدير، بينما يدافع معلّمون آخرون عن المدير، فحاول البحث عن الصفات التي تتوفّر في المعلّمين الذين يثق بهم المديرون والصفات التي تتوفّر في المعلمين الآخرين.

العنصر الثاني : البحوث التطبيقية

تستخدم لدراسة الظواهر الطبيعية الموجودة في الطبيعة، يعني: الفلك، الجيولوجيا، الزراعة، الجسد الإنساني، التجارب التي تُجرى على بعض العناصر لبيان منافعها أو استخدامها في الأدوية، أو نحو ذلك. فهذا هو البحث التطبيقي التجريبي العملي الذي يطبقه العلماء في كليات العلوم وأمثالها. ومن الممكن أن يطبق بقدر على بعض الظواهر الإنسانية والاجتماعية. يعني: افتراض أن عندهم شيئاً من النقص في المدارك العقلية، كيف يمكن وضع مناهج تليق بمستوياتهم العقلية؟ يتم هذا عن طريق التجربة، وأُجرب كذا، وأُقدم كذا، وأُقدم وسائل إيضاح كذا ... إلخ فمن الممكن تطبيق مثل هذا الأمر على مثل هذه الأمور.

هنا، نحن نقوم بعناصر المنهج التجريبي القائم على إجراء الملاحظات. فبالنسبة للإنسان قد لا نتمكن من التجربة إلا في أضيق الحدود، لكن نلاحظ الذي يحدث في الفلك يعتمد على الملاحظة أكثر من التجربة، ولكن العلم الآن -بعد اختراع الصواريخ وسفن الفضاء- أصبح يقوم ببعض التجارب ويرسل أجهزة تنوب عن الإنسان في الرصد والملاحظة والقيام ببعض التجارب هناك. هنالك علوم كثيرة تقوم على إجراء التجارب.

فمثلاً: نحن نريد أن نعالج آفة معينة حصلت في زراعة معينة. أقوم بعزل بعض الظواهر التي وقعت فيه هذه الآفات، ومحاولة التجربة للوصول إلى السبب، ثم الوصول إلى العلاج، وهكذا.

والأمراض المستعصية التي يسمع الناس عنها الآن، ولا بدّ من القيام بتجارب لوصف الحالة، ثم لمعرفة الأسباب، ثم لوضع الأدوية التي تُعالج وتحاول القضاء على هذه الأمراض، وهكذا.

فنحن نقوم بإجراء ملاحظات، ثم نقوم بإجراء تجارب كلما كان ذلك ممكناً، ثم نستخدم كلّ عناصر المنهج التجريبي في الوصف، والرصد، والاستقراء، والبحث عن الأسباب والعلل، ووضع الفروض التي يضعها العالم، ويقول: السبب في الظاهرة هو كذا، لكن يقوم بإجراء تجارب وملاحظات جديدة للتأكد من صحة هذا الفرض. فإذا كان الفرض صحيحاً، فإنه يكون هو في السبب الحقيقي، وإذا لم يكن الفرض صحيحاً فإنّ على العالم أن يتنازل عنه وأن يعمل على وضع فرض جديد يُفسّر به الظاهرة التي يجدها أمامه.

فإذا توصل إلى مجموعة من الفروض الصحيحة، وصل إلى مجموعة من القوانين، فإذا وصل إلى مجموعة من القوانين فإنه يصل إلى نظرية تجمع هذه القوانين، ويمكن بها تفسير أشياء كثيرة جداً في هذا الذي بحثه العالم، أو الذي لم يبحثه ممّا لم يدخل في نطاق البحث، ولكنه ينطبق عليه

ما ينطبق على الظواهر التي بحثها؛ وعندئذ يمكن الوصول إلى نظريات عامة، أو نظريات كبرى، مثل: "النظرية النسبية" مثلاً، هذه نظرية تفسر مجموعة من القوانين. وهكذا يطبق العلماء الشروط المطلوبة في البحث العلمي؛ حتى يكون بحثهم بحثاً علمياً على المستوى المطلوب.

فعندما نقول: إنّ هذه الظواهر طبيعية نقوم بإجراء ملاحظات أو بإجراء التجارب عليها، فإنّ الملاحظات تجري في المعامل: والمعمل فيه أجهزة، وفيه وسائل قياس، وفيه وسائل تصوير، وفيه وسائل تحليل ... إلخ بحسب الظواهر التي ندرسها في المعامل عادة.

وقد تجري التجارب خارج المعامل، يعني: عندما نبحث ظاهرة زراعية، أو ظاهرة جيولوجية، أو نحو ذلك. أو ظاهرة في الفضاء، لا أستطيع أن آتي بالفضاء في المعمل. ظاهرة كسوف، خسوف، علاقات بين الكواكب، مغناطيسية، كهربية، في الفضاء، أوزون ... إلخ لا أستطيع أن أستحضر الأوزون في المعمل؛ ولكن قد تجري التجارب خارج المعمل، في الفضاء عن طريق السفن الفضائية، أو الآلات، أو المرصد، أو نحو ذلك. كما يتم ذلك في الحقول ... إلخ.

ما الغاية التي يسعى إليها العلماء في بحوثهم التطبيقية؟

إنهم يحاولون معرفة الأسباب التي تؤثر في ظاهرة معينة: مرض معين، ظاهرة طبيعية معينة، آفة معينة، دواء يُراد اكتشافه، عملية جراحية يراد تطبيقها، يراد الوصول إليها، كشف عن عناصر جيولوجية موجودة في بعض الأراضي، أسباب حدوث ظاهرة معينة لا بدّ أن يكشفوا لنا عن الأسباب المؤثرة فيها، ومحاولة الكشف عن القانون الذي يحكم هذه الظاهرة حتى يمكن الاستفادة من هذا القانون في التنبؤ بوقوع هذه الظاهرة من بعد والاستفادة بها في الحياة العملية.

فمثلاً: من القوانين المعروفة والبسيطة جداً والتي نعرفها: أن الأشياء تتمدد بالحرارة، وأنها تنكمش بالبرودة بصفة عامة. فعندما تُبنى "الكباري" على سبيل المثال، لا بدّ

يُراعى هذا القانون: أنّ الحديد يتمدد بالحرارة؛ ولذلك توضع قطع الحديد بينها أبعاد يمكن أن يمتدّ الحديد من خلالها، فلا يؤدي هذا إلى تحطيم "الكُبري". ولو وُضعت قطع الحديد متصلة، فإنها عندما تتمدد يتحطّم هذا "الكُبري". فعندئذ نحن نستفيد من العلم في حياتنا، ويمكن أن نطبّق ذلك على كلّ الحالات المماثلة.

عندما نرى إنساناً ظهرت عليه أعراض مرض معين، فإننا نستطيع أن نعالجه بالدواء الذي تمّ تجربته على هذا المرض، بغير أن نلزم هذا الشخص بأن يقوم بإجراء فحوص جديدة؛ لأنّ الظواهر واضحة. نحن نقوم بالفحوص عندما تكون هناك ظواهر متشابهة.

ويهدف البحث التطبيقي إلى محاولة تحديد العلاقات بين الظواهر المرتبطة بمجال معين ومحاولة اختبار النظريات والفروض لبيان مدى فاعليتها في التطبيق... وهناك

علاقة واضحة بين البحث التطبيقي والبحث الأساسي، فبينما يسعى البحث الأساسي إلى محاولة الإجابة على كيف تعمل الأشياء؟ فإن البحث التطبيقي يحاول معرفة ماذا يحدث في الممارسة العملية؟.

فالبحث الأساسي يسهم في تقدم التنظير الذي تتأسس عليه عملية التطبيق العملي لحل المشكلات، كما أن البحث التطبيقي يقوم بمهمة تقديم بيانات لتدعيم التنظير أو مراجعة النظريات للتوصل إلى نظريات جديدة.

العنصر الثالث : دراسة الحالة

عند التطرق لطريقة بحث الحالة نجد أنها إحدى الطرق التي تستخدم في البحوث، ونجد أنّ تلك الطريقة من الممكن النظر إليها من عدة جوانب متعددة، من الممكن النظر إليها من خلال الأسلوب التاريخي، أو الطريقة المسحية، أو الطريقة التجريبية، وتعد كل تلك الطرق أساليب يمكن من خلالها دراسة الحالة، أو بحث الحالة.

ففي الطريقة التاريخية يصبح البحث هنا من خلال الاستقصاء، والتنقيب عن حالة ما، أو مشكلة ما يراد بحثها، لو كانت بالطريقة المسحية فيتم أسلوب دراسة الحالة من خلال جمع البيانات حول تلك المشكلة؛ لإدراك الأبعاد المراد دراستها، أو أبعاد بحث تلك المشكلة، أما إن اتخذنا من الأسلوب التجريبي وسيلة للدراسة نعتمد على دراسة المتغيرات الموجودة في الحاضر، بهدف تحديد المتغيرات التابعة التي يمكن أن تحدث في المستقبل.

فمن الممكن أن ننظر إلى طرق البحث من زوايا متنوعة ومتعددة، ومن الممكن تقسيمها بأغراض متنوعة بهدف الطرق الوصفية، أو الطرق المقارنة، أو الطرق التقويمية.

نجد في دراسة الحالة الـ case study علينا طرح تساؤل: أين تقع طريقة بحث الحالة بين الطرق المتنوعة من الطرق الوصفية، أو المقارنة، أو التقويمية؟ نجد أنّها تقع أحياناً ضمن

الطريقة التاريخية -كما أشرت من قبل- لو بحثنا حالة حدثت في الزمن الماضي، من الممكن أيضاً أن تقع ضمن الطريقة الوصفية لو توقفنا عند بحث الحالة لتحديد الظروف الحاضرة لها، فتحولنا إلى أسلوب وصفي.

وبوجه عام يمكن أن نعرّف طريقة بحث الحالة بأنها: طريقة متعمقة لدراسة حالة فردية، تلك الحالة الفردية تم أخذها من مجموعة حالات تنتمي إليها، معنى ذلك: أنّ تلك الحالة تعبر عن عدد من الحالات الأخرى المنتمية إلى تلك الحالة، ولكن تم دراسة حالة واحدة فقط لا غير، ويتم دراسة تلك الحالة بهدف الوصول لوصف تفصيلي للظروف التي وقعت فيها تلك الحالة، أو التي كانت سبباً في حدوث تلك المشكلة، والعوامل المتفاعلة لتلك الحالة، أو المؤثرة في تلك الحالة، وعلى هذا الأساس نتمكن من الفهم العميق لأبعاد المشكلة، وتفصيلها، والحقائق المرتبطة بها، ونتمكن من تسليط الضوء عليها.

ونجد هنا أنّ دراسة الحالة تمثل دراسة فردية، هذه الحقائق التي توصلنا إليها بصورة فردية من الممكن صياغتها في صورة فروض، يتم فرضها على المجتمع الذي تنتمي إليه تلك الحالة، ومن ثمّ تلك الدراسة تساعدنا على تشخيص العوامل التي تعترك المجتمعات، والعوامل التي تؤدي إلى مشكلات، وتحدد لنا طرق علاج المشكلات.

ومن ثمّ نجد أنّ التعريفات الخاصة ببحث الحالة متنوعة، ولكن كلها تركزت حول دراسة الموقف الكلي، أو دراسة تحديد العوامل كلها، ثم وصف العملية، ثم تتابع الأحداث المرتبطة بها، ثمّ لتحديد دراسة العوامل التي تؤثر في السلوك بهدف دراسة ذلك السلوك الفرضي بصورة فرضية، ولكن من خلال الموقف الكلي الذي يقع فيه، ومن ثمّ لا يمكن فصل الحالة عن المجتمع الذي أخذت منه، ويتم مقارنة تلك الحالة بالحالات النظرية لها في داخل المجتمع، ومن الممكن أن تكون الدارسة خاصة بحالة فردية، أو من الممكن أن تكون متعلقة بمجتمع محلي كامل، ويعتبر حالة محلية، أو من الممكن أن تصبح الدراسة مرتبطة بالنظام.

كما أن دراسة الحالة تتنوع تنوعاً كبيراً حسب الأغراض، ومجالات البحث المرتبطة به، ربما تكون تلك الحالة خاصة بشخص ذلك الشخص له ظروف معينة، تلك الظروف تستوجب البحث، وربما تكون تلك الحالة خاصة بجماعة، تلك الجماعة مأخوذة من مجتمع كبير، تلك الجماعة المشكلة التي تعانيها تؤثر في ذلك المجتمع، أو ربما تكون الحالة خاصة بمجتمع كامل، ذلك المجتمع مثل: المجتمع الساحلي، أو المجتمع الصحراوي، المجتمع البدوي، أو المجتمع

الريفي، أو المجتمع الحضري. إذن، أصبح المجتمع بوصفه كمجتمع هو حالة خاصة به؛ لأنَّ جميع الصفات تنطبق على أفراد ذلك المجتمع.

دراسة الحالة الفردية في الأشخاص:

لبيان مفهوم هذه الدراسة نعطي مثالاً عن دراسة الحالة الفردية في الأشخاص، دراسة الحالة الفردية في الأشخاص هي أكثر أنواع المناهج التي تستخدم في الحالات الفردية، وهي خاصة بمجال الخدمة الاجتماعية، أيضاً مجال الصحة النفسية، ومجال الإرشاد التربوي، والإرشاد النفسي، مجال -أيضاً- علم النفس الفردي، والدراسات الشخصية، نجد دراسة الحالة هي مجال خاص لتلك الميادين، وبخاصة في حالات التأخر الدراسي، حالات صعوبات التعلم، حالات الموهوبين الذين يشار إليهم على أنهم ذوي احتياجات خاصة، تلك فئة تتضمن العديد من الفئات ذوي الاحتياجات الخاصة من أعلى القمة، وهم: الموهوبون، والمبدعون، وأدناها الذين يعانون من تخلف عقلي، أو المتأخرون عقلياً، أو هم غير العاديين، فتلك كلها أمور تصلح في دراسة الحالة؛ لأنها حالة فردية قائمة بذاتها.

فنجد عديداً من الدراسات على مر العصور التي قامت في مجال الدراسات الفردية مثل: دراسة طفل غابة "إفرون" بفرنسا، ودراسة لطفل خاصة بالحالات النفسية، الطفل الموهوب في العمليات الحسابية في عام 1972، أيضاً دراسة "فلاننتين" لأبنائه الثلاثة في إنجلترا، وهم أطفال عاديون، وقد نشر خلاصة متابعته لنموهم خلال عدة

سنوات في كتاب عن مراحل النمو، ونجد أيضاً هناك وصف على عدد سبع وعشرين حالة في كتاب "رثني"، نجد هناك أعداداً لا تحصى خاصة بدراسة الحالات، وأشرنا أن بحث دراسة الحالة مهم جداً في مجالات الإرشاد النفسي، والتربوي، والاجتماعي، والأكاديمي أيضاً.

كما أن دراسة الحالة كمنهج يجب أن يكون لها خطة بحث، ومعظم الباحثين وضعوا خطأً متنوعة لدراسة الحالة، وكلها أجمعت على نقاط محددة:

- أن يتضمن البحث بيانات أولية عن الشخص الذي سوف يتم دراسته.
- تحديد الظروف الاجتماعية الخاصة به من جهة العائلة، والمنزل، ثم من جهة البيئة المدرسية، والمجتمع العام.
- الظروف الخارجية، والداخلية المحيطة به، البيئة الداخلية، والخارجية.

- علينا تحديد الجوانب الصحية الخاصة به، تلك الجوانب من حيث: تحديد أنواع الأمراض التي يمكن إصابته بها منذ الطفولة، أنواع الأدوية التي تعرض لها.
- علينا أن نحدد الصفات العقلية، أو المعرفية، ويتم ذلك من خلال تطبيق اختبارات الذكاء على الحالة لتحديد المستوى، أو القدرات العقلية الخاصة بذلك الشخص، أو بتلك الحالة.
- علينا تحديد الصفات المزاجية الخاصة به، تحديد ميوله، تحديد اتجاهاته.
- تحديد الصفات الخلقية الخاصة به.
- وعلينا أيضًا في خطة البحث الخاصة بالحالة الفردية أن نضع في الاعتبار طبيعة المشكلة التي يهدف إليها البحث، والتي من خلالها تم اختيار تلك الحالة
- للبحث والدراسة، الهدف من ذلك: أن نضع فرضيات معينة، من خلال تلك الفرضيات نتحقق من دراسة الحالة، ونحدد مشكلاتها، وسبل علاجها.

إذن، علينا هنا أن نضع في الاعتبار عند استخدام منهج دراسة الحالة على الأشخاص، وبخاصة في المجالات الاجتماعية والتربوية علينا أن نهتم جدًا عند اختيار الحالة؛ لأنَّ تلك الحالة تعد هي مشكلة البحث، والتي يدور حولها البحث كله، فيجب أن ننقّي تلك الحالة بعناية جيدة، وعلينا دراستها جيدًا قبل تحديدها لمجال البحث، يلي ذلك جمع البيانات الخاصة التي أشرنا إليها من قبل عن تلك الحالة، علينا أيضًا إجراء اختبارات لها كما أشرت من قبل، مثل: اختبارات الذكاء، وحسب طبيعة المشكلة التي نتعرض لها مع تلك الحالة يتم تحديد نوع الاختبارات التي سوف يطبق عليها.

- أيضًا علينا القيام بعدد من المقابلات معها، وأيضًا في ضوء المشكلة الخاصة بتلك الحالة، أو مشكلة البحث التي سوف يتم التطرق إليها في البحث في دراسة الحالة، سيتم تحديد سيناريو المقابلات بيننا وبين الحالة التي سوف يتم دراستها، ثم علينا التشخيص وتحليل العوامل المؤثرة في الحالة من خلال تحليل نتائج تلك الاختبارات، ونتائج البيانات التي جمعناها، ونتائج المقابلات التي تمت بيننا وبين الحالة، ومن خلال ذلك التشخيص، وتحليل تلك العوامل يتم التوصل إلى الخطوات العلاجية التي سوف نتبعها لمساعدة تلك الحالة، وتحديد البرنامج العلاجي المناسب التي سوف يتم تبنيه لعلاج تلك المشكلة.

وفي النهاية يتم إعداد تقرير شامل عن الحالة، وعن التطورات الخاصة بها أثناء مراحل العلاج، وما صنوف المتابعة التي يجب متابعتها مع تلك الحالة؟ وعلينا التأكيد أن ميدان علم النفس

الاجتماعي والتربوي مجال خاص لمثل تلك البحوث الخاصة بالحالات الفردية؛ لأنه من المعروف أنَّ علماء النفس توصلوا إلى العديد من التفسيرات الخاصة بحالات الاضطراب، وخاصة الاضطراب النفسي، ونحن ندرك جيداً أثر تلك الاضطرابات على اكتساب التعلم، وأنواع التعلم المختلفة، ولأنَّها عوامل مؤثرة في السلوك البشري، ومن ثم كانت تلك الدراسات مساعدة بصورة مباشرة للتحكم في السلوك البشري حتى في العاديين، والتوصل إلى قوانين مرضية في ذلك.

- وعلينا الإشارة أيضاً أنَّ هناك دراسة ليست لبحوث الحالة في غير الأشخاص، ولكن في الجماعات؛ لأنَّ الجماعات تؤخذ من مجتمع كبير، كما قد تكون الحالة خاصة بمؤسسة، أو هيئة مثلاً من الهيئات، أو مجتمع، أو مدينة، أو دولة بأكملها.

وهناك عدد من البحوث خاصة بذلك، لقد أقاموا بحثاً أو دراسة خاصة لسكان "الأهوار" في العراق، وكان أسلوب الدراسة هو الاعتماد على المجبرين من أهل المنطقة، والزيارات، والرحلات، والإقامة، والاتصال الشخصي، والوثائق، والمستندات لجمع المعلومات، والاستفتاء، و توصلت الدراسة إلى نتائج مرضية، وهناك أنواع كثيرة من الدراسات في مجال البحوث الاجتماعية، أو الخاصة بفئات ومجتمعات.

أيضاً هناك بحوث خاصة في مجال التربية تكون وحدة الدراسة هي إحدى المدارس العادية، أو مدرسة ذات تابع خاص، أو منطقة تعليمية بعينها، أو إحدى الجامعات، بل قد تكون في بلد كامل خاص بالجانب التربوي والتعليمي بهدف تحديد جوانب القوة والضعف في العملية التعليمية، ونجد ذلك حدث في مجالات واسعة خاصة في القاهرة، بحث حالة مدرسة المتفوقين نجد أن إدارة البحوث قامت بذلك البحث، وأيضاً بحث حالة منطقة الجيزة قامت بها الإدارة التعليمية، وهناك إدارات عامة في الوزارة كثيراً تتعاون في تلك البحوث، ولكن للأسف- هذا النوع من البحوث قد يجد كثيراً من المشكلات الفنية؛ لأنَّ هناك فيه تنازلاً بين الإدارات والسلطات قد يؤثر في نتائج البحث، حتى يؤثر في تعميمه، ومن ثم لا نستطيع أن نعممه على كافة الحالات.

ونجد مجالات استخدام طريقة بحث الحالة متنوعة، و أن بحث الحالة أمر نسبي، يرجع لحجم المحيط الذي سوف تعتبر الحالة موضع البحث إحدى جزئياته، فتختلف من محيط إلى آخر، أو من سعة إلى أخرى، نجد من الصعب في دراسة الحالة استخدام دراسة مسحية شاملة لجميع أفراد المجتمع، ولهذا نجد أننا نلجأ لدراسة الحالة كعينة كافية تعبر عن مكونات، أو مفردات ذلك المجتمع.

وأحياناً نجد طريقة بحث الحالة طريقة طولية متعمقة في التفاصيل بالمقارنة إلى طرق أخرى مستعرضة، تشتمل على عدد من حالات في قطاع عرضي من المجتمع، ولكن نجد أن الطريقة الطولية لها مميزاتها، والطريقة العرضية لها مميزاتها، ويتم استخدام تلك الطريقة الطولية أو الطريقة الاستعراضية حسب ظروف المشكلة، وحسب ظروف المجتمع الذي يتم دراسته.

و في مجالات دراسة الحالة أو في مجالات استخدام طريقة دراسة الحالة العديد من البحوث يستخدمون الدراسات الاستطلاعية، في بعض الحالات أو لدى بعض الباحثين نجد أنه يعاني مشكلة تحديد أبعاد البحث الخاصة به ، ووضع إطار محدد للمشكلة التي سوف يتم بحثها، ومن ثم يصبح عاجزاً عن فرض الفروض التي تهدف إليها تلك الدراسة، ومن ثم نجد أن الباحث يلجأ إلى ما يُسمّى: دراسة الحالة؛ حتى يتمكن من الحصول على معرفة ومعلومات خاصة بمشكلة البحث، تلك المعلومات تساعد الباحث على فرض الفروض، وتحديد المجال، أو يحصر المجال الخاص ببحثه، وبذلك تصبح دراسة الحالة كجزء مكمل خاص باستعراض الدراسات السابقة التي عبارة عن دراسة استطلاعية لبحث المشكلة، ومن خلالها يجمع الباحث آراء ذوي الخبرة، ويتمكن من وضع خطة للبحث، ويضع تصوراً عاماً للدراسة، تصوراً مبدئياً لوصف تلك الدراسة من خلال الدراسة الاستطلاعية، ومن ثم تعد الدراسة الاستطلاعية إحدى المجالات الخصبة لبحث دراسة الحالة.

دراسة بعض الحالات لتأكيد نتائج البحث:

أحياناً الباحث يجري بحثه ويتممه، ويشعر بالنقص في هذا البحث، فيلجأ إلى دراسة حالة أو عدد من الحالات المنفصلة؛ حتى يتأكد من صحة الفرض، وصحة النتائج، أو من الممكن أن يتوصل من خلال دراسة الحالة إلى خداع هذه النتيجة، وعدم صحة البحث، ومن ثم تعد دراسة الحالة في بعض الأحيان كمجال تأكيد للبحث الذي تم الانتهاء منه، ومن ثم دراسة الحالة يستخدم لإثبات تعدد العوامل، وتداخلها، وتفاعلها في إحداث ظاهرة ما، تلك الظاهرة هي موضع الدراسة.

دراسة الحالة الفردية في نوعها:

فهناك بعض الحالات الفردية المتميزة، مثل: الحالات الخاصة بدراسات درجات الذكاء العالي جداً، نجد بعض المتعلمين في المرحلة الابتدائية يتمكنون من اجتياز اختبارات مرحلة الدراسات الجامعية، وهناك بعض الحالات في جمهورية مصر العربية تمكن الطالب من دخول

الاختبارات، واجتيازها بقدرة عالية، وخاصة في تخصص الفيزياء، فنجد حالة مثل تلك الحالات جديرة بالدراسة كحالة فردية.

أيضاً الحالة التي تمثل حالات مشابهة كثيرة، يعني: المقصود بذلك: حالة شائعة، ومنتشرة بين عدد، بمعنى يشترك عدد من الأفراد في تلك الحالة، فيتم دراسة حالة منها بحيث يتمكن من الوصول إلى المعرفة المفصلة لباقي الحالات المشابهة التي قد يصعب دراستها كلها، ومن ثم نلجأ إلى دراسة حالة واحدة، من خلالها نستنتج، ونعمم النتائج على الحالات الأخرى النظرية.

وعلينا هنا اتباع التدقيق في اختيار الحالة المراد بحثها، بحيث تكون أقرب ما يكون إلى الحالات المتعددة، ولا تعتبر حالة متطرفة في ظروفها عن المجموعة.

وبهذا يتضح لنا، أن دراسة الحالة ليست طريقة بحث، فمن الضروري عندما تبدأ في دراسة الحالة تبدأ كل دراسة بأسلوب علمي، وتحديد الظواهر المراد بحثها، وجمع البيانات، والعوامل، فمن ثم يتبع منهجاً معيناً لدراسة تلك الحالات.

ثانياً : الدراسات التاريخية:

مفهوم التاريخ

يحمل لفظ التاريخ في اللغة العربية معنيين مختلفين يثير كل منهما جملة من المسائل والإشكالات الفلسفية. حسب المعنى الأول التاريخ هو سلسلة الأحداث والوقائع التي تنتمي إلى ماضي الإنسانية، وهو ما يثير إشكالية دور الإنسان في صناعة هذه الأحداث والوقائع، فضلاً عن إشكالية المنطق المتحكم في صيرورة وصيرورة هذه الأخيرة. أما حسب المعنى الثاني فالتاريخ هو المعرفة التي نمتلكها بخصوص ماضي الإنسانية، وهو ما يثير إشكالية طبيعة هذه المعرفة والجنس الذي تنتمي إليه.

المحور الأول: المعرفة التاريخية

التاريخ فضلاً عن كونه وقائع و أحداث تنتمي إلى الماضي، هو معرفة نمتلكها بخصوص ذلك الماضي، فما طبيعة هذه المعرفة: هل هي معرفة علمية ناطمة لحوادثه أم أنها مجرد معرفة سردية لها؟ هل تنتمي المعرفة التاريخية إلى العلم أم إلى الأدب و الفن فقط؟

لم تكن معرفة الماضي أبدا غاية في حد ذاتها، وإنما هي مجرد وسيلة لفهم الحاضر وتبرير الانتماء إليه، لذلك ظلت المعرفة التاريخية و لقرون عدة مقترنة بالوظيفة التربوية و بالوظيفة

التبريرية . فالمؤرخ أولا وقبل كل شيء مربى لانشئة عصره، وذلك من خلال كشفه لهم عن أمجاد أجدادهم، وبطولات أسلافهم، والتي من خلال معرفتهم لها يتولد لديهم الفخر والاعتزاز بالانتماء إلى الجماعة البشرية التي هم أعضاء فيها، و تبعا لذلك مزيدا من الاستعداد للدفاع عنها ولم لا التضحية في سبيلها ما دام هناك من الأجداد والأسلاف من فعل ذلك في الماضي. غير أن اقتران المعرفة التاريخية بهذه الوظيفة جعلها أكثر بعدا من أن تكون معرفة علمية، فما دام التاريخ كما يقول 'هنري مارو Henri Marrou' "يوجد مسبقا وبشكل مكتمل في ذهن المؤرخ قبل أن يقوم بتدوينه". حيث النتائج التي يريد بلوغها محددة سلفا وفي ضوءها يتم انتقاء الوقائع والأحداث الجديرة بالتدوين. فإن المؤرخ لم يكن ليكلف نفسه عبء فحص وتمحيص ما يدونه، لأن هدفه ليس هو الحقيقة في حد ذاتها، وإنما النتائج التي يجنيها من ورائها، لذلك لا عجب أن تتضمن مؤلفات المؤرخين، وخصوصا القدامى منهم، جملة من الأحداث والوقائع الزائفة و المغلوطه، كما لا عجب أن يقدم مؤرخين تاريخيين مختلفين ومتناقضين لنفس الجماعة البشرية، حيث ما يذكره هذا ويصنفه ضمن الوقائع الجديرة بالتدوين، يهمله الآخر ويسكت عنه والعكس بالعكس. فيكفي أن تكون الغايات الكامنة وراء التدوين متناقضة لتكون مضامين ما يدونه متناقضة أيضا، وهكذا فتاريخ للمغرب مثلا كتب في الربع الثاني من القرن 20 من قبل أحد أبنائه الطامحين إلى تحريره من الاستعمار، سيكون بالضرورة متناقضا مع تاريخ للمغرب كتب في نفس الفترة لكن من قبل مؤرخ فرنسي هدفه هو تكريس الاستعمار وتوطيده.

إن اقتران المعرفة التاريخية بالوظيفة التربوية وتحقيق غايات محددة سلفا لم يؤثر فقط على مضامين ومحتويات هذه المعرفة، وإنما على شكلها أيضا. فالتربية تعني التأثير، والتأثير يقتضي بالضرورة التركيز على جمالية الخطاب، وتضمينه صورا بلاغية وتعبير شاعرية كفيلة بتحريك وجدان المتلقي و تهيج مشاعره. وبالفعل لم يدخل أسلوب البرهان والاستدلال إلى مجال المعرفة التاريخية إلا مؤخرا. أما فيما مضى فقد كان المؤرخون يعتمدون أسلوب السرد، وما يقتضيه من مجاز واستعارة وطباق وغيرها من التقنيات البلاغية المعتمدة في إنتاج القصص والروايات إلى حد جعل التمييز بين التاريخ وهذه الأجناس أمرا صعبا إن لم يكن مستحيلا.

بناء على ما سبق يبدو أن المعرفة التاريخية أكثر بعدا من أن تكون معرفة علمية : فهي من حيث المضمون لا تتضمن حقائق يقينية، ومن حيث الشكل لا تعتمد أسلوب البرهان والاستدلال، وتبعا لذلك فهي ليست أكثر من معرفة سردية لحوادث الماضي، قابلة للتصنيف تحت خانة الأدب أكثر منه تحت خانة العلم. غير أن هذا الوضع سيتغير كثيرا مع نهاية القرن 19 حيث ستظهر الكثير من الأصوات المنادية بإعادة النظر في عمل المؤرخ، وفي أسلوب معالجته للقضايا والوقائع

التاريخية. وحتى قبل هذه الفترة نجد المؤرخ المغربي الشهير 'عبد الرحمان ابن خلدون' يشن هجوما عنيفا على المؤرخين الذين سبقوه، و يدشن أسلوبا جديدا في كتابة التاريخ يقطع بشكل تام مع الأسلوب الذي ساد قبله.

فبالنسبة لابن خلدون ليس التاريخ مجرد "إخبار عن الأيام والدول، و السوابق من القرون الأول..". وإنما هو "نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات و مبادئها دقيق، و علم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخلق". ومن هنا يحدد ابن خلدون مجموعة من القواعد المنهجية التي على المؤرخ الالتزام بها كي لا يتيه في ببداء الوهم والغلط، يقول ابن خلدون: "الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران و الأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس فيه الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور مزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثيرا ما وقع للمؤرخين من المغالط في الحكايات و الوقائع لاعتمادهم فيه على مجرد النقل".

مع ابن خلدون إذن ستبتعد المعرفة التاريخية عن مجرد السرد و الأدب، لأن المشتغل بها أصبح مطالبا باعتماد قواعد منهجية دقيقة تجعل ما يدونه حقائق تاريخية وليس مجرد أوهام وأغاليط. هذا المطلب نفسه هو ما ستسعى إلى تحقيقه ما يعرف بالمدرسة التاريخية أو المدرسة الوضعية التي ستظهر في فرنسا نهاية القرن 19 مع كل من سينيوبوس Seinobos و لانغلويس Langlois (أنشأ سنة 1876 ما عرف بالمجلة التاريخية التي سيستمر تأثيرها إلى حدود منتصف القرن 20). فبالنسبة لهذه المدرسة على التاريخ أن ينجز قطيعة إبستمولوجية مع ماضيه، يتحول بموجبها من مجرد معرفة سردية أدبية إلى معرفة علمية موضوعية، وذلك بأن يتخلى المؤرخون عن الرغبة في تفسير الأحداث التاريخية والاكتفاء بوصفها كما حدثت، أو على الأقل الاكتفاء بالأسباب المحددة و المباشرة دون الأسباب الأولى والبعيدة، يقول 'سيوبوس' و 'لانغلو' في كتاب مشترك لهما يحمل عنوان "مدخل لدراسة التاريخ": "إن جوهر العلم هو دراسة الأسباب المحددة فقط، إن المؤرخ كالكيميائي و الطبيعي لا يجب عليه أن يبحث عن العلل الأولى والنهائية...". وكي لا تتضمن المعرفة التاريخية إلا الحقائق، على المؤرخ حسب هذين المفكرين أن لا يهتم إلا بالوقائع والأحداث التي يمتلك بصدها وثائق، "فالتاريخ-يقول هؤلاء- هو استخدام واستعمال الوثائق، فكل فكر وكل ممارسة لم تترك آثارا تاريخية مباشرة أو غير مباشرة، أو أن آثاره الواضحة للعيان قد ضاعت، هذا الفكر وهذه الممارسة تخرج من حيز التاريخ، فحيث لا وثائق فلا تاريخ". لذلك تمثل عملية البحث عن الوثائق وجمعها أول وأهم خطوة على المؤرخ القيام بها، تتلوها عملية نقد تلك الوثائق عبر المقارنة فيما بينها وتحديد تاريخ إنتاجها بحيث يتم

الاحتفاظ فقط بالوثائق التي يتم التأكد من هويتها ومن مصداقية دلالتها على الحدث المراد التأريخ له. ومن أجل ضمان أكبر قدر من العلمية في المعرفة التاريخية وجعل التاريخ علم صارم ودقيق كالفيزياء والكيمياء، سيحدد أنصار المدرسة الوضعية مجموعة من القواعد على المؤرخ الالتزام بها في قيامه بعمله، كتجنب إصدار الأحكام على الماضي، والاكتفاء بإبراز ما حدث فقط، والتحرر من تأثيرا لمحيط الاجتماعي، والتزام الحياد، والانطلاق من كون التاريخ له وجود في ذاته أي له وجود موضوعي ومستقل، والعمل على تسجيل الأحداث التاريخية بطريقة سلبية وعكسها في كتاباته كما تعكس المرأة صور الأشياء.

لقد التزم الكثير من المؤرخين و خصوصا الفرنسيين منهم بهذه القواعد في كتاباتهم للتاريخ، لكن رغم ذلك ظل ما كتبوه دون مستوى العلمية الصارمة، ومرد ذلك طبيعة الظاهرة التاريخية نفسها. فالعلم منذ أفلاطون وأرسطو لا يمكنه أن يكون إلا بما هو ثابت و كلي و قابل للتكرار، بينما الظاهرة التاريخية فريدة وجزئية و لا تتكرر، كما أن مطلب تحول المؤرخ إلى مجرد مرآة سلبية تعكس بشكل محايد ما حدث في الماضي هو مطلب مستحيل التنفيذ و لم يقدر على تنفيذه حتى أتباع المدرسة الوضعية أنفسهم، إذ سرعان ما سيتحولون إلى أبواق في خدمة الأمة الفرنسية والنظام السياسي القائم فيها، حيث ستدافع "المجلة التاريخية"، التي كانت تمثل المعبر الرئيسي عن أفكار هذه المدرسة، في مناسبات عدة، عن أسطورة أصل الأمة الفرنسية، وعن إنجازات الجمهورية الثالثة، وعن السياسة الاستعمارية وعن أسطورة فرنسا الحاملة لرسالة حضارية.... وأمام هذا الوضع كان لا مفر من مراجعة تصور المدرسة الوضعية للتاريخ والاعتراف بصعوبة جعله علما صارما، وهو ما سيعبر عنه جملة من المفكرين مثل 'ريمون ارون' Aron و غاستون غرونجي 'Granger، ففي رأي الأول ما دام التاريخ لا يحاول معرفة "العالم الذي يحيط بنا" وإنما "عالم الذين عاشوا قبلنا" فإن المعرفة التي ينتجها ستظل دائما ناقصة ونسبية. أما بالنسبة للثاني فالتاريخ ليس أكثر من إيديولوجيا. أي معرفة تعبر عن إرادة وأمل و حنين أكثر مما تصف واقعا معينا، كما أننا في التاريخ لا يمكن أن نتحدث عن القوانين والمتغيرات و النماذج إلا بنوع من التجاوز و التعسف، وهي عناصر لا بد من توفرها في كل معرفة كي يكون ما تنتمي إليه علما.

منذ ابن خلدون إذن لم يعد التاريخ مجرد معرفة سردية، لأنها أصبحت تعتمد على قواعد منهجية دقيقة ومحددة، لكنها في الوقت نفسه لم تصر بعد معرفة علمية، ولن يكن بإمكانها أبدا أن تصبح كذلك، لأن الظاهرة التاريخية، فضلا عن كونها ظاهرة إنسانية فهي ظاهرة تنتمي إلى الماضي،

مما يعني استحالة دراستها بموضوعية وحياد، وكذا استحالة استخلاص قوانين محددة لها، لتبقى المعرفة التاريخية بذلك 'بين بين'، في مرتبة وسطى بين الأدب و العلم.

المحور الثاني : دور الإنسان في التاريخ

لقد عرف التاريخ منذ القدم بأنه "سلسلة الأحداث والوقائع التي يكون الإنسان طرفا فاعلا فيها" معنى هذا أن الحدث لا يعتبر حدثا تاريخيا إلا إذا كان من صنع الإنسان. لكن هل الإنسان فعلا هو الذي يصنع الأحداث التاريخية؟ هل فعلا الأحداث التاريخية ليست سوى نتائج لإرادات واختيارات الأفراد؟ ألا يمكن القول ،وعلى العكس من ذلك تماما، أن الإنسان نفسه، بإراداته واختياراته، ليس سوى نتاج وحصيلة للأحداث و الوقائع التاريخية السابقة عليه والمعاصرة له؟ بمعنى آخر: هل الإنسان هو الذي يصنع التاريخ أم أن الأمر على العكس من ذلك تماما حيث التاريخ هو الذي يصنع الإنسان؟ هل الإنسان بالفعل طرفا فاعلا في التاريخ أم أنه طرف منفعل فقط؟

لقد ظل الإنسان ولمدة طويلة من الزمن يعتقد في وجود قوى غيبية هي التي تتحكم في مساره الفردي و الجماعي، حيث لا تمثل إنجازاته كيفما كانت سوى تنفيذ لمخططات محددة سلفا من قبل الإله أو الآلهة . فالإنسان كما صورته الفيلسوف الروماني 'إبكتيت Epictète' ليس سوى ممثل لأدوار، أدوار يخرجها له غيره، ويكتفي هو بتشخيصها و تنفيذها، إنه ليس أكثر من أداة ووسيلة لتنفيذ الإرادة الربانية. وقد ظل هذا التصور حاضرا ليس فقط في العصرين القديم و الوسيط بل و أيضا في العصرين الحديث والمعاصر، وإن بأشكال مختلفة. ففي العصر الحديث دافع الفيلسوف الألماني 'هيجل' عن تصور مفاده أن التاريخ ليس سوى التجلي و التجسيد التدريجي للروح المطلق، فالأحداث والوقائع التاريخية تعكس في تسلسلها ضرورة مطلقة لا دخل لإرادات الأفراد واختياراتهم فيها. فحتى أولئك الذين نعتبرهم "عظماء التاريخ" أو "أبطال التاريخ" أي أولئك الذين حققوا و أنجزوا شيئا متميزا في التاريخ مثل الإسكندرو نابوليون ، هم ليسوا كذلك إلا بقدر تنفيذهم للضرورة المتضمنة في الروح المطلق، إنهم ليسوا أكثر من أدوات و وسائل لتنفيذ تلك الضرورة. إن ما أنجزوه في رأي هيجل لا يعكس مواهب خاصة وقدرات فائقة امتلكوها، أو غايات شخصية حددها بأنفسهم وسعوا إلى تحقيقها، وإنما يعكس الضرورة المطلقة المتضمنة في الروح المطلق. إن ما أنجزوه- يقول هيجل- "لم يأتوا به من عندهم وإنما أتوا به من مصدر آخر: من الروح الذي لا يزال خفيا ولم يحقق بعد وجوده الفعلي". أي أن ما يحققه الأبطال والعظماء يكون موجودا قبلهم على شكل فكرة ولا يعملون هم إلا على تحقيقه تاريخيا، أي على

إخراجه من الوجود المضمّر إلى الوجود المجسد، من الوجود الخفي إلى الوجود الظاهر. فهناك منطق للتطور محدد سلفاً في الروح المطلق لا تمثل إنجازات العظماء و الأبطال سوى تنفيذاً له. صحيح أن تلك الإنجازات تظهر للناس على أنها نتيجة لأفعال أو لائنك الأبطال ليس إلا، وأنهم من خلالها لم يعملوا إلا على تحقيق مصالحهم ” لكن ذلك – يقول هيجل – مجرد ظاهر وليس هو الحقيقة، أما الحقيقة فهي أن هؤلاء يعرفون حقيقة عالمهم و زمانهم، و يعرفون المفهوم الذي سيتحقق لاحقاً حسب منطق التطور”. و هذا التناقض الحاصل بين حقيقة العظماء و إنجازاتهم من جهة، والصورة التي يظهرون بها للناس من جهة ثانية، هو ما يسميه هيجل بـ “مكر التاريخ”، فمن باب المكر فقط يظهر التاريخ أحداثه على أنها من صنع الأبطال و العظماء، أما في حقيقتها فهي حصيلة ضرورة مطلقة ومحددة سلفاً، ليس الأبطال سوى أدوات لتنفيذها.

رغم الانتقادات الشديدة التي وجهها ماركس لهيجل، فإن القول بحتمية تحكم التاريخ حاضرة عنده هو أيضاً. صحيح أن فلسفة ماركس هي على النقيض تماماً من فلسفة هيجل، حيث الأولى مادية تنبني على أن الواقع هو الذي يحدد الفكر، بينما الثانية مثالية تنبني على أن الفكر هو الذي يحدد الواقع، لكن مع ذلك سيذهب الكثير من الماركسيين، وبالأعتماد على نصوص لماركس نفسه، إلى القول بأن التاريخ محكوم بضرورة لا دخل لإرادات و اختيارات الأفراد فيها. فما يحرك التاريخ حسب ماركس هو الصراع الطبقي، أي الصراع بين الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج وتلك التي لا تمتلكها. غير أن هذا الصراع هو ليس نتيجة اختيار حر يقوم به الأفراد المنتمون لهذه الطبقة أو تلك من أجل الدفاع عن مصالحهم، وإنما هو صراع مفروض عليهم من قبل نمط الإنتاج الذي يعيشون في أحضانه، يقول ماركس: ” يدخل الناس، بمناسبة الإنتاج الاجتماعي لشروط وجودهم، في علاقات محددة و ضرورية مستقلة عن إرادتهم، وتعكس علاقات الإنتاج هذه درجة تطور قوى الإنتاج المادي (..) فليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، وإنما وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم”. فمواقف الناس و التصورات التي يمتلكوها بخصوص وجودهم و بخصوص ما يتوجب عليهم فعله، أو بكلمة واحدة، وعي الناس، ما هو إلا انعكاس للواقع المادي الذي يعيشونه، وليس أبداً نتاجاً لإرادتهم الحرة. وتبعاً لذلك فإن الإنجازات التاريخية التي تتحقق في عهدهم لا تنسب إليهم إلا من حيث هم أدوات لتنفيذها ولم يكن بإمكانهم أبداً أن يفعلوا سواها. فالتاريخ هو بمثابة آلة أو طاحونة تشتغل من تلقاء نفسها وبناء على قوانينها الخاصة التي تتحدد من خلال طبيعة العناصر المكونة لها و طبيعة العلاقات القائمة بينها، وبفعل ذلك الاشتغال تتحقق الإنجازات التاريخية. فالثورة الفرنسية مثلاً لم تنجز لأن الناس أصبحوا أكثر وعياً بحقوقهم، وإنما أنجزت لأن التناقض الحاصل بين علاقات الإنتاج و قوى الإنتاج الموجودة بشكل

موضوعي ومستقل عن الأفراد أصبحت أكثر حدة، فكان من الضروري كي يتم تجاوزها أن تحدث الثورة. كما أن النظام الرأسمالي لا بد له أن ينهار و يندثر لأن التناقضات القائمة فيه ستتمو شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى مستوى لا يمكن لها أن تستمر فتحدث الثورة ويحل محل نمط الإنتاج الرأسمالي نمط إنتاج جديد يسمى نمط الإنتاج الاشتراكي، حيث اعتقد ماركس بأن العالم في نهاية القرن 20 سيصبح كله اشتراكي، على اعتبار أن هذا النمط الجديد من الإنتاج هو السبيل الوحيد لتجاوز التناقضات التي يزخر بها نمط الإنتاج الرأسمالي، و الذي بحكم طبيعة تلك التناقضات لا يمكنه أن يدوم ويستمر، شأنه في ذلك شأن أنماط أخرى من الإنتاج سابقة، كانت هي الأخرى حاملة لتناقضات مثل نمط الإنتاج الآسيوي و نمط الإنتاج الفيودالي. أما نمط الإنتاج الاشتراكي الذي بشر ماركس بمجيئه فسيؤم إلى الأبد، على اعتبار أنه خال من أي تناقض. فكون ملكية وسائل الإنتاج فيه مشتركة و جماعية يجعله خال من الطبقات وتبعاً لذلك خال من أي صراع، الذي كما سبق أن قلنا هو المحرك الرئيسي للتاريخ في رأي ماركس. لذلك فالتاريخ الحقيقي للمجتمع البشري لم يبدأ إلا مع ظهور هذا النمط الجديد من الإنتاج وإحلاله محل نمط الإنتاج الرأسمالي، يقول ماركس: "علاقات الإنتاج التي تميز نمط الإنتاج الرأسمالي هي آخر نمط إنتاج متناقض في سيرة الإنتاج الاجتماعي (...). ومع هذه التشكيلة الجديدة ينتهي ما قبل تاريخ المجتمع البشري".

لقد كان لأفكار ماركس هذه ولتصوره للتاريخ أثراً كبيراً على الأفراد والجماعات في كل بقاع العالم، ففي كل مكان ستظهر أحزاب و حركات تؤمن بضرورة الثورة الاشتراكية، خاصة بعد أن تحققت هذه الأخيرة بالفعل في الإتحاد السوفيتي سنة 1917 عبر ما يعرف بالثورة البلشفية، مؤكدة بذلك صدق نبوءة ماركس. غير أن ذلك لم يمنع الكثير من المفكرين، خصوصاً في النصف الثاني من القرن العشرين، من التشكيك في وجود حتمية تاريخية مستقلة عن إرادات الأفراد و اختياراتهم. ومن بين هؤلاء 'لوسيان غولدمان' Goldman و 'جون بول سارتر' Sartre. فبالنسبة لغولدمان: إذا كانت علاقات الإنتاج القائمة هي التي تخلق الأدوار الإنسانية وتحدد للأفراد المهام التي عليهم القيام بها وتفسر تبعاً لذلك السلوكات والتصرفات التي تصدر عنهم، فمن الذي يخلق علاقات الإنتاج تلك؟ إنهم الناس أنفسهم، بتعبير آخر إن توقف الماركسية عند نمط الإنتاج و علاقات الإنتاج المرتبطة به باعتبارها محدثات نهائية للأحداث و للإنجازات التاريخية، يجعلها تقول نصف الحقيقة و ليس الحقيقة بأكملها، لأنها لم تذهب بالمشكل إلى أبعد مداه عبر التساؤل عن القوة المسؤولة عن وجود هذا النمط من الإنتاج بدل ذاك وهذه العلاقات من الإنتاج بدل تلك، وهذه القوة ليست شيئاً آخر غير البشر أنفسهم، يقول غولدمان: "علاقات

علاقات الإنتاج ليست ذواتا ولا يمكنها أن تحل محل الذات، إنها فقط مظاهر لسلوك و فكر و حياة الذات". و تبعا لهذا " فإن الناس هم الذين ينتجون الأحداث التاريخية، هم الذين يفعلون و يحولون الواقع و يحولون علاقات الإنتاج". بمعنى آخر، إن نمط الإنتاج و علاقات الإنتاج ما هما إلا نتيجة لاختيارات الأفراد و أفعالهم، وليست أبدا سببا لهذه الاختيارات و الأفعال، وبذلك تكون الماركسية قد قلبت في رأيه الأسباب نتائج والنتائج أسباب.

أما بالنسبة لسارتر فالوجود الإنساني يتميز بخاصية أساسية وهي أنه وجود منفتح على المستقبل، وجود لا يمثل الحاضر فيه سوى إمكانية من بين إمكانيات عدة. أي أن وضعية تاريخية معطاة في لحظة زمنية معينة ليست نتيجة حتمية لمعطيات سابقة عنها أو معاصرة لها، وإنما هي نتيجة مشاريع مستقبلية تم بناؤها من قبل الإنسان نفسه انطلاقا من تلك المعطيات، وهو ما يعني في رأي سارتر أن نفس الشروط والمعطيات المادية لا ينتج عنها بالضرورة نفس الأحداث و الوقائع، لأن الإنسان لا يستجيب بشكل ميكانيكي للمعطيات والشروط المحيطة به، وإنما يعمل على إضافة معنى جديد لها، بشكل يجعله يحتفظ بها ويتجاوزها في الوقت نفسه: فهو يحتفظ بها لأن المشاريع التي يعمل على بنائها تستند على تلك المعطيات ذاتها، أي أن هذه الأخيرة تمثل عنصرا لا يمكن أبدا إغفاله في عملية البناء تلك. فالإنسان حين يخطط للمستقبل لا يفعل ذلك من فراغ وبناء على طموحاته ورغباته فقط، وإنما يفعل ذلك في ضوء الإمكانيات التي تتيحها الشروط و المعطيات المتوفرة لديه، و التي لا يمكن أبدا إغفالها أو نفيها. وهو يتجاوزها لأن المشاريع التي يعمل على بنائها و تنفيذها تهدف أولا وقبل كل شيء إلى استبدال تلك الشروط والمعطيات القائمة بما هو أفضل منها وذلك عن طريق البراكسيس أو الممارسة التي تعني عند سارتر مجموع الأفعال والإنجازات الإنسانية الموجهة بمشاريع محددة سلفا، و الهادفة إلى تغيير المعطيات والظروف القائمة وتعويضها بما هو أفضل منها. إن هذا المعنى هو ما يجب فهمه في رأي سارتر من قول ماركس: "إن الناس هم الذين يصنعون تاريخهم الخاص، إلا أنهم لا يفعلون ذلك عشوائيا، وضمن شروط من اختيارهم، بل ضمن شروط معطاة سلفا و مورثة عن الماضي." فهذه القولة التي أوردها 'إنجلزEngels' أيضا في أحد رسائله إلى 'هانز ستركنبورغStarkenbug' لا ينبغي أن يفهم منها أن الظروف السابقة حسب ماركس هي التي تصنع تاريخ البشر، و أن هؤلاء ليسوا سوى وسائط حاملة لقوى لا إنسانية تنظم المجتمع وتحدده عبرهم، وإنما ينبغي أن يفهم منها أن البشر في رأي ماركس هم الذين يصنعون تاريخهم بأنفسهم، وأن تلك الظروف ليست سوى وسائل و أدوات ينبغي توظيفها و تسخيرها في تلك

الصناعة. “فحتى حين يفلت التاريخ من قبضتي – يقول سارتر – فليس سبب ذلك أنني لم أصنعه، وإنما سبب ذلك هو أن الآخر قد صنعه بدوره”.

في ضوء ما سبق عرضه من مواقف و تصورات يتبين أن التاريخ في سيرورته محكوم بعوامل وقوى كثيرة ومتعددة، متداخلة ومتفاعلة فيما بينها، منها ما يعود إلى الإنسان ذاته و ما ينتجه من مخططات و مشاريع يعمل على تنفيذها بواسطة الممارسة، ومنها ما يعود إلى المحيط المادي الجغرافي والاقتصادي و ما يفرضه من إمكانات و إكراهات لا يمكن أبدا إلغاؤها أو نفيها.

أهمية الدراسات التاريخية

يمكن إبراز أهمية الدراسات التاريخية فيما يلي :

- أ – يمكن استخدام المنهج التاريخي في حل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي .
- ب – يساعد على إلقاء الضوء على اتجاهات حاضرة ومستقبلية .
- ج – يؤكد الأهمية النسبية للتفاعلات المختلفة التي توجد في الأزمنة الماضية وتأثيرها
- د – يتيح الفرصة لإعادة تقييم البيانات بالنسبة لفروض معينة أو نظريات أو تعميمات ظهرت في الزمن الحاضر دون الماضي .

خطوات تطبيق المنهج التاريخي

المطلب الأول : عناصر ومراحل تطبيق المنهج التاريخي

➤ يتألف المنهج التاريخي من عناصر ومراحل متشابهة ومتداخلة ومتراطة ومتكاملة، في تكوين بناء المنهج التاريخي ومضمونه، وهي:

1- تحديد المشكلة العلمية التاريخية:

أي تحديد المشكلة أو الفكرة العلمية التاريخية التي تقوم حولها التساؤلات والاستفسارات التاريخية، الأمر الذي يؤدي إلى تحريك عملية البحث التاريخي، لاستخراج فرضيات علمية تكون الإجابة الصحيحة والثابتة لهذه التساؤلات.

وتعتبر عملية تحديد المشكلة تحديدا واضحا ودقيقا، من أول وسائل نجاح البحث التاريخي، في الوصول إلى الحقيقة التاريخية. لذا يشترط في عملية تحديد المشكلة الشروط التالية:

- يجب أن تكون المشكلة معبرة عن العلاقة بين متحولين أو أكثر.
- يجب أن تصاغ المشكلة صياغة جيدة وواضحة وكاملة جامعة مانعة.
- يجب أن تصاغ بطريقة جيدة ملائمة للبحث العلمي التجريبي والخبري...

2- جمع وحصر الوثائق التاريخية:

بعد عملية تحديد المشكلة تأتي مرحلة جمع كافة الحقائق والوقائع المتعلقة بالمشكلة؛ وذلك عن طريق حصر وجمع كافة المصادر والوثائق والآثار والتسجيلات المتصلة بعناصر المشكلة ودراسة وتحليل هذه الوثائق بطريقة علمية للتأكد من صحتها وسلامة مضمونها .

ونظرا لأهمية وحيوية هذه المرحلة أطلق البعض على المنهج التاريخي اسم " منهج الوثائق" فالوثائق التاريخية هي جوهر المنهج التاريخي.

والوثيقة في اللغة: هي الأداة والبيئة المكتوبة الصحيحة والقاطعة في الإثبات.

وهي مأخوذة من وثق يثق ثقة أي انتمنه، والشيء الوثيق الشيء المحكم.

أما في الاصطلاح فهي: "جميع الآثار التي خلفتها أفكار البشر القدماء".

والوثائق أوسع من النص المكتوب؛ حيث تشمل كافة الوثائق والمصادر والأدلة والشواهد التاريخية، أصيلة وأولية، أو ثانوية وتكميلية، مكتوبة أو غير مكتوبة، رسمية أو غير رسمية، مادية أو غير مادية، والتي تتضمن تسجيلاً لحوادث ووقائع تاريخية، أو لبعض أجزائها وعناصرها، ويعتمد عليها في البحث والتجريب للوصول إلى الحقيقة التاريخية المتعلقة بالمشكلة محل الدراسة والبحث .

3- نقد الوثائق التاريخية:

بعد عملية حصر وجمع الوثائق التاريخية، تأتي مرحلة فحص وتحليل هذه الوثائق، تحليلًا علميًا دقيقًا، عن طريق استخدام كافة أنواع الاستدلالات والتجريب، للتأكد من مدى أصالة وهوية وصدق هذه الوثائق.

وتعرف عملية التقييم والفحص والتحليل هذه، بعملية النقد، وتتطلب صفات خاصة في الباحث، مثل: الحس التاريخي القوي، الذكاء اللامح، الإدراك العميق، الثقافة الواسعة والمعرفة المتنوعة، وكذا القدرة القوية على استعمال فروع العلوم الأخرى في تحليل ونقد الوثائق التاريخية مثل اللغة وعلم الكيمياء وعلم الأجناس، ومعرفة اللغات القديمة والحديثة.

وهذا النقد قد يكون نقدا خارجيا وقد يكون نقدا داخليا.

أ- النقد الخارجي للوثائق التاريخية: يستهدف هذا النقد التعرف على هوية وأصالة الوثيقة، والتأكد من مدى صحتها، وتحديد زمان ومكان وشخصية المؤلف للوثيقة، وكذا ترميم أصلها إذا طرأت عليها تغيرات، وإعادة إنتاجها إلى حالتها الأولى.

ويمكن القيام بهذه العملية عن طريق طرح الأسئلة التالية:

- هل تطابق لغة الوثيقة وأسلوب كتابتها وخطها وكيفية طباعتها من أعمال المؤلف الأخرى، ومع الفترة التي كتبت فيها الوثيقة؟
- هل هناك تغيرات في الخطوط؟
- هل هذا المخطوط أصلي، أم هو نسخة منقولة عن الأصل؟
- هل يظهر المؤلف جهلا ببعض الأشياء التي كان من المفروض أن يعرفها؟

إلى غير ذلك من الأسئلة التي تتعلق بالجانب المادي والمظهر الخارجي للوثيقة.

ب- النقد الداخلي للوثائق التاريخية: وتتم عن طريق تحليل وتفسير النص التاريخي والمادة التاريخية، وهو ما يعرف بالنقد الداخلي الإيجابي، وبواسطة إثبات مدى أمانة وصدق الكاتب ودقة معلوماته، وهو ما يعرف بالنقد الداخلي السلبي.

ويمكن القيام بعملية النقد الداخلي بواسطة طرح الأسئلة التالية:

- هل المؤلف صاحب الوثيقة حجة في الميدان؟
- هل يملك المؤلف المهارات والقدرات والمعارف اللازمة، لتمكينه من ملاحظة الحوادث التاريخية وتسجيلها؟
- هل حالة المؤلف الصحية وسلامة حواسه وقدراته العقلية، تمكنه من الملاحظة العلمية الدقيقة والكاملة للحوادث التاريخية وتسجيلها بصورة سليمة؟
- هل ما كتبه المؤلف كان بناء على ملاحظته المباشرة، أم نقلا عن شهادات آخرين ، أو اقتباسا من مصادر أخرى؟
- هل اتجاهات وشخصية المؤلف تؤثر في موضوعية التأليف، في ملاحظته وتقديره للحوادث التاريخية؟

وما إلى ذلك من الأسئلة التي يمكن أن تضبط الأمر.

ومن بعض قواعد التحليل والنقد:

وضع Van Dalen بعض القواعد والمبادئ التي تساعد على عملية النقد وتحليل الوثائق التاريخية منها:

1. لا تقرأ في الوثائق التاريخية القديمة مفاهيم وأفكار أزمنة لاحقة ومتأخرة.
 2. لا تتسرع في الحكم على المؤلف بأنه يجهل أحداثاً معينة، لأنه لم يذكرها، ولا يعتبر عدم ذكر الأحداث في الوثائق دليل على عدم وقوعها.
 3. لا تبالغ في تقدير قيمة المصدر التاريخي، بل أعطيه قيمته العلمية الحقيقية.
 4. لا تكتف بمصدر واحد فقط ولو كان قاطع الدلالة والصدق، بل حاول كلما أمكن ذلك تأييده بمصادر أخرى.
 5. إن الأخطاء المتماثلة في مصدرين أو أكثر، تدل على نقلها على بعضها البعض، أو نقلها من مصدر واحد مشترك.
 6. الوقائع التي يتفق عليها الشهود والأكثر كفاية وحجة، تعتبر مقبولة.
 7. يجب تأييد وتدعيم الشهادات والأدلة الرسمية الشفوية والكتابية، بالشهادات والأدلة غير الرسمية كلما أمكن ذلك.
 8. اعترف بنسبية الوثيقة التاريخية، فقد تكون دليلاً قوياً وكافياً في نقطة معينة، ولا تعتبر كذلك في نقطة أو نقاط أخرى.
- 4- عملية التركيب والتفسير:

أي مرحلة صياغة الفرضيات والقوانين المفسرة للحقيقة التاريخية، فبعد القيام بعملية الجمع والنقد، يكون الباحث قد حصل على المعلومات والحقائق التاريخية اليقينية، المبعثرة والمتفرقة.

فتأتي عملية التركيب والتفسير التاريخي، وعملية استعادة الوقائع والأحداث التاريخية Reconstruction أو التركيب والتفسير التاريخي للوقائع، هي تنظيم الحقائق التاريخية الجزئية المتناثرة والمتفرقة، وبنائها في صورة أو فكرة متكاملة وجيدة من ماضي الإنسانية.

وتتضمن عملية التركيب والتفسير المراحل التالية:

1. تكوين صورة فكرية واضحة لكل حقيقة من الحقائق المتحصل عليها، وللموضوع ككل الذي تدور حوله الحقائق التاريخية المجمعة.

2. تنظيم المعلومات والحقائق الجزئية والمتفرقة، وتصنيفها وترتيبها على أساس معايير ومقاييس منطقية؛ بحيث تتجمع المعلومات المتشابهة والمتجانسة في مجموعات وفئات مختلفة.

3. ملء الثغرات التي تظهر بعد عملية التوصيف والتصنيف والترتيب للمعلومات، في إطار وهيكل مرتب منظم. ويتم عملية ملء الفراغات هذه عن طريق المحاكمة، التي قد تكون محاكمة تركيبية سلبية، عن طريق إسقاط الحادث الناقص في الوثائق التاريخية على أساس أن السكوت حجة، وقد تكون المحاكمة ايجابية، بواسطة استنتاج حقيقة أو حقائق تاريخية لم تشر إليها الوثائق، من حقيقة تاريخية أثبتتها الوثائق والأدلة التاريخية باستعمال منهج الاستدلال.

4. ربط الحقائق التاريخية بواسطة علاقات حتمية وسببية قائمة بينها، أي عملية التسبب والتعليل التاريخي، وهي عملية البحث عن الأسباب التاريخية والتعليلات المختلفة.

فعملية التركيب والبناء لا تتحقق بمجرد جمع المعلومات والحقائق من الوثائق، بل هي عملية البحث والكشف والتفسير والتعليل عن أسباب الحوادث، وعن علاقات الحتمية والسببية التاريخية للوقائع والحوادث التاريخية.

وتنتهي عملية التركيب والتفسير التاريخي، باستخراج وبناء النظريات والقوانين العلمية والثابتة في الكشف عن الحقائق العلمية...

المطلب الثاني : مقومات الباحث في المنهج التاريخي

- أي أن هناك العديد من الشروط التي من الطبيعي أن تتوافر في شخصية الباحث التاريخي وهي:

1. أن يكون الباحث ملماً باللغات الأصلية لموضوع البحث بالإضافة إلى لغة من لغات أوروبا الشائعة .
2. أن يكون لديه القدرة علي فهم وتفسير القضايا تفسير صحيح .
3. الإلمام بعلم الوثائق أو الدبلومات أي يكون علي دراية بالمصطلحات الخاصة بوثائق العصر الذي يبحث فيه .

4. أن يكون علي دراية بعلوم الأختام والنقود والاقتصاد والجغرافيا وغيرها من العلوم الأخرى التي يمكن من خلالها الإلمام بموضوع البحث حيث أن التاريخ مرتبط بغيره من العلوم الأخرى .

المطلب الثالث : الفرق بين الأسلوب التاريخي والأسلوب العلمي

-يتبادر إلى الذهن - دائماً - السؤال حول ما إذا كان الأسلوب التاريخي أسلوباً علمياً يعتمد على المنهجية العلمية في دراسة الظواهر و المشكلات و الأحداث ، و الوصول بتلك الدراسة إلى إطلاق الفروض و استخلاص النتائج .

وللإجابة على ذلك السؤال نقول : إن هناك ثمة فرق بين الأسلوبين وثمة اتفاق بينهما . ويرجع ذلك الاختلاف وذلك الاتفاق لكون الأسلوبان يضمنان في جوانبهما سمات تميزهما عن بعض مما يُعطي لكل منهما جانباً من الخصوصية و التفرد .

وحول هذه القضية ، فإن هناك وجهتا نظر :

النظرة الأولى : تكمن في أوجه الاتفاق بين الأسلوبين في الأمور التالية:

1. انتقاء المشكلة وتحديدتها .
2. وضع الفرضيات اللازمة لتفسير الظاهرة .
3. جمع المعلومات .
4. نقد المادة .
5. تفسير واستخلاص النتائج .

النظرة الأخرى : تتمثل في أوجه الاختلاف بين المنهج التاريخي و العلمي ، وذلك في عدة أمور:

1. الأسلوب التاريخي لا يعتمد على التجربة العلمية المضبوطة ، بمعنى أن الحقائق و الأحداث لا يمكن أن تكرر بصورتها ، وذلك بسبب اختلاف العوامل المؤثرة .
2. المصادر التاريخية في المعرفة غير مباشرة مثل الملاحظات العلمية ، بل تعتمد على الآثار و السجلات و الوثائق و المخطوطات وغيرها .
3. لا يستطيع الباحث التاريخي الوصول إلى كل الحقيقة ، وذلك لعدة أسباب منها ما يتعلق بالبعد الزمني و المكاني . ومنها ما يتعلق بصحة الأحداث وصعوبة الحصول على المادة التاريخية .

4. لا يمكن عن طريق الأسلوب التاريخي أن نُعم النتائج أو القوانين بالدقة التي يحصل عليها الباحث في الأسلوب العلمي وذلك لعدة أسباب منها :
 - تعقد البيانات الاجتماعية مقارنة بالبيانات الطبيعية .
 - الطبيعة المتغيرة للظواهر الاجتماعية مقارنة بالثبات النسبي للبيانات العلمية .
 - ضياع كثير من المعلومات التاريخية .

المطلب الثاني : تطبيقات المنهج التاريخي وعلاقته بالميادين الأخرى

أ- أهمية المنهج التاريخي في المجالات التربوية :

1. توفر الدراسات والبحوث التاريخية محتوى معرفياً علمياً لتاريخ التربية والتعليم في دولة معينة أو في دول العالم المختلفة، ويُستخدم هذا المحتوى في الإعداد المهني للمعلمين والمشتغلين بالأمور التربوية والتعليمية.
2. تزودنا نتائج البحوث التاريخية بمعرفة عن : الأهداف ومحتوى المقررات وطرق التدريس وأساليب التقويم وأسلوب إعداد المعلم، وغير ذلك من القضايا والسياسات التعليمية التي اتُبعت في الماضي، ومثل هذه المعرفة لها أهميتها في تحديد العمليات والخطوات اللازمة لتطوير التعليم في الحاضر والمستقبل.
3. تمكنا البحوث التاريخية من تفسير الكثير من الممارسات والمشكلات التعليمية القائمة في الواقع التعليمي في حاضره ومدى ارتباطها بهذه الجذور التاريخية، ومن أمثلة ذلك مشكلة الأمية، ومشكلة التفاوت في المستوى العلمي والمهني لمعلمي المرحلة الابتدائية.
4. تكشف لنا البحوث التاريخية جوانب أصيلة في تراثنا التربوي العربي والإسلامي في مجال النظرية والتطبيق التربويين، وهذا يتيح الفرص للاستفادة منه وتحسين عمليات التربية والتعليم ونواتجها في الحاضر والمستقبل.

ب- تطبيق المنهج التاريخي في ميدان الدراسات القانونية :

يضطلع المنهج التاريخي بدور هام وأساسي في ميدان الدراسات والبحوث العلمية القانونية والإدارية، التي تتمحور حول الوقائع والأحداث والظواهر القانونية، المتحركة والمتطورة والمتغيرة، باعتبارها وقائع وأحداث وظواهر إنسانية في الأصل.

فيقدم المنهج التاريخي الطريقة العلمية الصحيحة، للكشف عن الحقائق العلمية التاريخية للنظم والأصول والمدارس والنظريات والأفكار القانونية والإدارية والتنظيمية.

إن المنهج التاريخي هو الذي يقود إلى معرفة الأصول والنظم والفلسفات والأسس التي يستمد منها النظم والقواعد والمبادئ والأفكار القانونية والتنظيمية الحاضرة، وذلك عن طريق حصر وجمع كافة الوثائق التاريخية، وتحليلها ونقدها، وتركيبها وتفسيرها، لمعرفة وفهم حاضر فلسفات ونظم وقواعد ومبادئ الأفكار القانونية السائدة، والسارية المفعول، والقيام بالبحوث والدراسات العلمية المقارنة، لفهم واقع النظم القانونية والإدارية المعاصرة فهما سليما حقيقيا أولاً، ولتطويرها بما يجعلها أكثر ملائمة وتفاعلاً وانسجاماً مع واقع البيئة والحياة المعاصرة ثانياً.

فبواسطة المنهج التاريخي أمكن ويمكن معرفة الحقائق العلمية والتاريخية، عن أصل وأساس وغاية القانون، في كافة مراحل وعصور ماضي التاريخ الإنساني في الغابر بطريقة علمية صحيحة.

تقييم المنهج التاريخي

مزايا المنهج التاريخي

1. يتبع المنهج التاريخي الأسلوب العلمي في البحث. فالباحث يتبع خطوات الأسلوب العلمي مرتبة، وهي: الشعور بالمشكلة، وتحديدتها، وصياغة الفروض المناسبة، ومراجعة الكتابات السابقة، وتحليل النتائج وتفسيرها وتعميمها.
2. اعتماد الباحث على المصادر الأولية والثانوية لجمع البيانات ذات الصلة بمشكلة البحث لا يمثل نقطة ضعف في البحث إذا ما تم القيام بالنقد الداخلي والنقد الخارجي لهذه المصادر.

عيوب المنهج التاريخي

1. أن المعرفة التاريخية ليست كاملة، بل تقدم صورة جزئية للماضي؛ نظراً لطبيعة هذه المعرفة المتعلقة بالماضي، ولطبيعة المصادر التاريخية وتعرضها للعوامل التي تقلل من درجة الثقة بها، مثل: التلف والتزوير والتحيز.
2. صعوبة تطبيق الأسلوب العلمي في البحث في الظاهرة التاريخية محل الدراسة؛ نظراً لأن دراستها بواسطة المنهج التاريخي يتطلب أسلوباً مختلفاً وتفسيراً مختلفاً.
3. صعوبة تكوين الفروض والتحقق من صحتها؛ وذلك لأن البيانات التاريخية معقدة، إذ يصعب تحديد علاقة السبب بالنتيجة على غرار ما يحدث في العلوم الطبيعية.

4. صعوبة إخضاع البيانات التاريخية للتجريب، الأمر الذي يجعل الباحث يكتفي بإجراء النقد بنوعية الداخلي والخارجي.

ثانياً : الدراسات المسحية

تعتبر الدراسات المسحية إحدى الطرائق المنهجية في البحث والمعرفة وخاصة المتعلقة في المجال التربوي والاجتماعي. فالدراسات المسحية تعتبر بالتحديد جزء من المنهج الوصفي الذي يهتم بوصف الظاهرة المدروسة كما هي على أرض الواقع. والمنهج الوصفي هو أحد ثلاثة مناهج رئيسة تستخدم في الدراسة والبحث:

1- المنهج الوصفي.

2- المنهج التاريخي.

3- المنهج التجريبي.

والدراسات المسحية بعامة تهدف إلى التعرف على آراء الناس ومعتقداتهم واتجاهاتهم حول موضوع من الموضوعات، أو قضية من القضايا بهدف إمكانية وصف الواقع، والتخطيط للمستقبل، واتخاذ القرار المناسب، وإجراء اللازم. ولعل أكثر أدوات القياس استخداماً في الدراسات المسحية، الاستبانات، والمقابلات، وخاصة في العلوم الاجتماعية والتربوية واستطلاع الرأي العام.

وتعرضت الورقة إلى ثلاثة أمور يجب أخذها بعين الاعتبار لنجاح الدراسات المسحية منها: اختيار عينة ممثلة، واستخدام أدوات قياس صادقة وثابتة ومناسبة للظاهرة المدروسة، وتحليل البيانات باستخدام المناهج الإحصائية المناسبة. وفي جميع الأحوال، فإن الدراسات المسحية تحتاج إلى شخص أو باحث للتخطيط لها، وإلى شخص مؤهل ومدرب لتطبيقها، ولشخص متخصص لتحليل نتائجها، إذ أن مراعاة هذه الأمور الثلاثة يساعد الدارس القيام باستنتاجات صحيحة وتعميمها على المجتمع الأصل الذي أخذت منه عينة الدراسة، ومن ثم الثقة بما يقوم به من دراسات وما يتوصل له من نتائج تخدم الفرد والمجتمع.

والدراسات المسحية هي أسلوب في البحث يتم من خلاله جمع المعلومات عن ظاهره ما بقصد التعرف عن الوضع الحالي وعن جوانب القوة والضعف له، بهدف الوصول إلى

استنتاجات عن صلاحية هذا الوضع أو عن حاجة لتغيرات جزئية أو جذرية. ويختلف أسلوب الدراسات المسحية عن أسلوب الدراسات الأخرى، بما يلي :

* المسح تتعلق بالوضع الراهن أو الواقع الحالي بينما الدراسة التاريخية تعالج أوضاعا حدثت في الماضي.

* المسح يتم في ظروف طبيعية، بينما الدراسات التجريبية في ظروف صناعية كالمختبر. ويختلف أيضاً، هدف المسح فهو يدرس الواقع كما هو، بينما هدف التجريبي التعرف على الأسباب المباشرة أو العوامل المؤثرة التي أدت إلى هذا الواقع.

* المسح أكثر شمولاً وأوسع نطاقاً بالنسبة لدراسة الحالة من جهة، وأقل تعمقاً منها من جهة أخرى.

* المسح يستخدم أدوات بحث علمية مختلفة للحصول على المعلومات والبيانات اللازمة. مثل الاستبيان والمقابلة والملاحظة والاختبارات ولكن الأكثر شيوعاً هي الاستبيان والمقابلة.

أنواع الدراسات المسحية

أ- المسح المدرسي

يتعلق المسح المدرسي بدراسة المشكلات المرتبطة بالميدان التربوي بإبعاده المختلفة مثل: المعلمين والطلاب ووسائل التعليم وطرق التدريس وأهداف التربية والمناهج وغيرها، وتهدف هذه الدراسات إلى تطوير العملية التربوية ووضع الخطط التي تتم لجمع المعلومات والبيانات عن الأوضاع التربوية قبل وضع الخطط الخاصة بتطوير هذه الأوضاع.

مجالات المسح المدرسي:

العملية التربوية بأبعادها المختلفة وأهدافها وبرامج الدراسة وطرق التدريس والمناهج والخدمات التوجيهية والإرشادية والصحية. والنشاطات الاجتماعية والثقافية والتربوية المرتبطة بالمناهج الدراسية.

الوضع العام للتعليم بما في ذلك طرق تمويل التعليم والتشريعات القانونية التي تنظم عملية التعليم وكلفة التعليم والبناء المدرسي بمرافقه المختلفة. والطلاب من حيث مستوياتهم العقلية والاجتماعية والاقتصادية وأساليبهم في الدراسة واتجاهاتهم نحو المدرسة ونحو العمل وأحوالهم

الصحية والفروق الفردية بينهم وأعدادهم في الصف الواحد ونسب الناجحين وغير الناجحين. المعلمون : مؤهلاتهم وخبراتهم وأعدادهم وتخصصاتهم واتجاهاتهم نحو مهنة التعليم ونحو الطلاب ونحو الحياة.

ب- المسح الاجتماعي

بدأت هذه الدراسات على يد جون هوارد سنة 1773 وفردريك لوبلاي سنة 1885 وشارلز بوت (1839-1903)، التي تناولت موضوعات اجتماعية مختلفة مثل دراسة أحوال السجون وأحوال المسجونين وأسباب سجنهم وأحوال السكان الفقراء والعمال في المدن الصغيرة والكبيرة، وقد استهدفت هذه الدراسات توجيه الاهتمام إلى بعض المشكلات والقضايا الاجتماعية كجزء من حركات الإصلاح الاجتماعي في البلدان الأوروبية، كما اهتم الاشتراكيون الأوروبيون بهذه الدراسات لإثبات الحاجة الملحة إلى التطوير والتغيير الاجتماعي. ولهذه الدراسات ميزات أساسية كدراسات المسح التربوي في كونها تمثل أسلوباً ناجحاً في دراسة الظواهر والأحداث الاجتماعية التي يمكن جمع معلومات وبيانات رقمية وكمية عنها وفي كونها وسيلة لقياس أو إحصاء الواقع ووضع خطط لتطويره. ويؤخذ على هذه الدراسات أنها دراسات مسحية تهتم بالشمول أكثر مما تهتم بالعمق فالباحث الذي يقوم بعملية المسح الاجتماعي يهتم بدراسة آراء الناس ومواقفهم المعلنة دون أن يهتم بتحليل أو بالتعمق في دراسة العوامل التي تؤدي إلى هذه الآراء والمواقف. كما يرى بعض الباحثين أن هذه الدراسات المسحية لا تعطي الباحث مرونة كافية لاستيعاب الظاهرة كما قد يجدها في الواقع؛ وذلك لأن الباحث يعد مسبقاً أدوات بحثه كالاستبيان مثلاً قبل أن يبدأ عملية المسح وبذلك يقيد نفسه في أسئلة الاستبيان، وهذا يؤدي إلى إغفال بعض المعلومات المهمة. ويمكن أن يتجنب هذا، في عمل دراسة كافية قبل نص الاستبيان. كما يمكن الحصول على المعلومات باستخدام أدوات أخرى كالمقابلة والملاحظة العملية.

مجالات المسح الاجتماعي:

تتسع مجالات المسح الاجتماعي لتغطي جميع جوانب الحياة الاجتماعية، مثل توزيع وحركة السكان والهجرة الداخلية والخارجية والعادات والتقاليد والاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، والفروق بين فئات المجتمع وطبقاته. كل هذه المجالات تعتبر ميداناً للدراسات المسحية الاجتماعية.

ج- دراسة الرأي العام :

يعرف الرأي العام بأنه تعبير الجماعة عن آرائها ومشاعرها وأفكارها ومعتقداتها واتجاهاتها نحو موضوع معين في وقت معين. فهو صوت الناس أو حكمهم أو قرارهم في عمل أو في موضوع ما. يُعبر عن الرأي العام بطريقة تلقائية حيث تبدو إحكام الناس واضحة في تصرفاتهم وسلوكهم وتعليقاتهم ومواقفهم. كما يعبر عنه بطريقة منظّمة عن طريق الباحثين.

فائدة دراسة الرأي العام:

إن دراسات الرأي العام تكون حيوية لتحقيق فوائد متعددة في أكثر من مجال:

- * تساعد على الحصول على معلومات وبيانات ضرورية لأية عملية تخطيط، للتعرف على مواقف الناس واتجاهاتهم نحو الموضوعات التي ستناولها عملية التخطيط.
- * تقدم توجيه للسلطات في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما تعتبر قوة لتصحيح أو تغيير المسؤولين.

والبحث الوصفي يمكن أن يطبق في العمارة في قضايا مثل البحوث الاجتماعية المتعلقة بتصورات واهتمامات وثقة الجمهور بالنسبة للمشاريع العامة أو الخاصة التي ستنفذ في منطقتهم، (جوامع، مساح، حدائق، مدارس مصانع، ناطحات سحاب... الخ) أو عن جودة المباني الجديدة التي يسكنون فيها هدف المسح يمكن أن يبين رضا المواطنين عن جودة المشاريع التي ستنفذ أو أخذ اقتراحاتهم لتحسين المشاريع التي نفذت.

خطوات الدراسات المسحية المتعلقة بالرأي العام:

تعتبر خطوات دراسة الرأي العام منسجمة تماما مع خطوات ومراحل البحث الوصفي من حيث التزامها بخطوات المنهج العلمي والاتجاهات العلمية الدقيقة، ولكن بواسطة الرأي العام تجعل إمكان قياسه عملية سهلة باستخدام الخطوات التالية:

- * تحديد المشكلة التي تتطلب معرفة الرأي العام حولها.
- * تحديد المجتمع الأصلي قيد الدراسة أو تحديد عينة منه .
- * تحديد أداة التعرف على الرأي العام.

* استخلاص النتائج وتنظيمها.

مزلق الدراسات المسحية

مزلق الدراسات المسحية

وعلى الرغم من بساطة هذه الخطوات فإن الباحث العلمي يحسب حساباً دقيقاً للمزلق التي قد يقع فيها، وتؤثر على دقة الدراسة ومن هذه المزلق:

* أن تكون العينة غير ممثلة تماماً للمجتمع الأصلي.

* أن تكون العينة بعيدة الصلة عن الموضوع الذي يدرسه الباحث.

* أن تكون الأسئلة عامة وغير دقيقة.

مثلاً: لا يجوز توجيه سؤال للرجال عن موقفهم تجاه عمل المرأة، لأن الرأي العام يتكون من رجال ونساء، ولا يجوز أن تسأل مجموعة من العمال غير المثقفين عن اتجاهاتهم نحو حرب تدور في بلد بعيد يعرفونه!

الأدوات والوسائل المستخدمة لدراسة الرأي العام

ومن الأدوات التي تستخدم لدراسة الرأي العام ما يلي:

* الاستبيان: توجيه أسئلة عبر الاستبيان.

* المقابلة: توجيه أسئلة مباشرة لأفراد العينة.

* الاتصال الهاتفي: توجيه أسئلة لأفراد العينة عن طريق الهاتف.

* تحليل أساليب إسقاطية عن طريق إكمال جمل ناقصة أو تداعي الكلمات أو باستخدام اختيارات إسقاطية.

* تحليل الشائعات والنكات حيث يعبر عن الرأي العام في موضوعات معينة.

أما ميادين دراسة الرأي العام فتشمل كل ميادين الحياة حيث يمكن إجراء دراسات للتعرف على رأي الجمهور في أية قضية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

دراسات تحليل العمل

إن تحليل العمل أو تحليل الوظيفة هو دراسة المعلومات والمسؤوليات المرتبطة بعمل معين، وهو يهدف إلى تقديم وصف عام يشمل الواجبات والمسؤوليات والمهام المرتبطة بهذا العمل، ويشمل تحليل العمل ما يلي:

1. تحديد تفصيلي لواجبات الوظيفة ومسؤولياتها.
 2. مواصفات العامل الذي يشغل هذا العمل أو الوظيفة.
- ويؤدي تحليل العمل إلى تقديم صورة وصفية عن العمل تشمل البنود التالية:
1. تعريف العمل: يحدد اسم الوظيفة، القسم الذي ترتبط به الوظيفة، الإدارة التي يرتبط بها الوظيفة.
 2. ملخص العمل: يقدم وصفا مختصرا للمهمة الأساسية لهذا العمل.
 3. واجبات العمل: تحدد الواجبات المنوطة بهذه الوظيفة، وتكتب المهام المرتبطة بالعمل، ويحدد الوقت اللازم أو المدة الزمنية لممارسة كل مهمة.
 4. الإشراف: يحدد أسماء الوظائف والأعمال التي تلي هذه الوظيفة أو تسبقها، ودرجة الإشراف التي تمارس على شاغل الوظيفة، ودرجة الإشراف التي تمارسها هذه على وظائف أخرى.
 5. علاقة الوظيفة بالوظائف الأخرى: تحدد علاقات اتصال الوظيفة رأسيا وأفقيا بالوظائف الأخرى، كما تحدد الوظيفة الجديدة التي يمكن أن يرقى إليها شاغل هذه الوظيفة.
 6. الأدوات والمواد والآلات التي تستخدم في هذا العمل أو الوظيفة.
 7. توضيح ظروف العمل في هذه الوظيفة: هل هو عمل مكتبي، ميداني؟ هل يتم في ظروف صحية سليمة؟ هل يتعرض من يشغل هذا العمل لأخطار مهنية؟
 8. تعريف المصطلحات المهنية والفنية التي تستخدم في مهمات هذا العمل.
 9. إضافة أية تعليقات يمكن أن تكون مفيدة.

دراسة تحليل المضمون

ارتبطت أشكال الدراسات المسحية السابقة وهي المسح المدرسي والاجتماعي والرأي العام بالاتصال المباشر مع المصادر البشرية التي تمتلك المعلومات التي يريدها الباحث، ولكن دراسات تحليل المضمون تتم من غير اتصال مباشر حيث يكتفي الباحث باختيار عدد من الوثائق المرتبطة بموضوع بحثه مثل السجلات والقوانين والأنظمة والصحف والمجلات وبرامج التلفزيون والكتب وغيرها من المواد التي تحتوي المعلومات التي يبحث عنها الباحث.

فالباحث بعد أن يختار الوثائق التي يريد أن يدرسها يبدأ بعملية الدراسة والتحليل مركزاً على المعلومات المتضمنة في الوثيقة بوضوح فلا يحاول الباحث أن يستنتج من الوثيقة بل يكتفي بالبيانات المذكورة فيها.

ويستند أسلوب تحليل المضمون إلى المسلمة التالية وهي أن اتجاهات الجماعات والأفراد تظهر بوضوح في كتاباتها وصفحاتها وآدابها وفنونها وأقوالها وملابسها وعمارتها.. فإذا ما تم تحليل هذه الأدوات فإن ذلك يكشف عن اتجاهات الجماعات.

الدراسات الوثائقية

البحث الوثائقي ويعرف باللغة الإنجليزية بمصطلح (Research documentary)، وهو نوع من أنواع البحوث الذي يعتمد على جمع، ودراسة الوثائق المرتبطة بمحتوى البحث، ويعرف أيضاً بأنه البحث الدقيق المعتمد على مراجع موثوقة تساهم في فهم قضية، أو ظاهرة معينة بالاعتماد على المعلومات المسجلة حولها، والتي تساعد على الوصول إلى النتائج المناسبة المرتبطة بموضوع البحث الوثائقي.

خطوات البحث الوثائقي

حتى يتمكن الباحث، أو الشخص الذي يريد إعداد بحثٍ وثائقي من صياغته بطريقةٍ صحيحة، يجب أن يتقيد بالخطوات التالية: تحديد مصادر المعلومات:

الخطوة الأولى: من خطوات البحث الوثائقي، والتي تعتمد على تحديد المصدر الذي سيتم الرجوع إليه من أجل الحصول على المعلومات في البحث الوثائقي.

والخطوة الثانية: تقييم المعلومات: هي الخطوة التي تعتمد على التحقق من صحة، وموثوقية المعلومات، ودقتها في توفير كافة البيانات المناسبة للبحث الوثائقي، وكلما كانت هذه المعلومات تعتمد على مصادر صحيحة ساهمت في دعم موضوع البحث الوثائقي بشكل أفضل.

والخطوة الثالثة: إيجاد تفسير دقيق لكل معلومة: هي الخطوة التي تساهم في تفسير المعلومات، ووضع خلاصة لكل معلومة منها، فليس بالضرورة أن يفهم كل شخص يقرأ البحث معنى معلومة ما، لذلك من الواجب على كاتب البحث أن يوضح كافة المعلومات الواردة في محتوى البحث الوثائقي.

المعلومات الوثائقية

هي مجموعة من المعلومات التي تعد مصدراً رئيسياً من المصادر التي تعتمد عليها الأبحاث الوثائقية، في الحصول على البيانات الخاصة بالبحث الوثائقي، وتقسم هذه المعلومات إلى النوعين التاليين: المعلومات الأصلية: هي التي يحصل عليها مؤلف البحث الوثائقي من مصدرها الرئيسي، أو الأصلي، مثل: الحصول على معلومات وثائقية حول شخصية مشهورة من خلال إجراء مقابلة معه. المعلومات الثانوية: هي التي يحصل عليها مؤلف البحث الوثائقي من مصادر ثانوية تحتل الصحة، وتحتل الخطأ، ومن الأمثلة عليها: المنشورات الدورية كالمجلات.

منهج البحث الوثائقي

يعتمد البحث الوثائقي على منهج بحثي يساعد على إعداد الأبحاث الوثائقية، ومن أهم المناهج البحثية الوثائقية الأنواع التالية:

➤ المنهج الإحصائي

هو المنهج الذي تعتمد عليه البحوث الوثائقية الإحصائية، والتي تعتمد على مصادر، وبيانات رقمية، قد ترتبط بفترة زمنية محددة، أو في دراسات إحصائية معينة، وعادةً يستخدم هذا المنهج البحثي في الأبحاث التي تتكوّن من العديد من الأقسام البحثية، والتي تحتاج إلى مصادر معلومات أصلية، وحقيقية، ودقيقة، ومن الأمثلة على هذا النوع من الأبحاث الوثائقية: البحث الإحصائي الذي تعدّه دائرة الإحصاءات العامة.

➤ المنهج التاريخي

هو المنهج الذي يعتمد على المصادر التاريخية، والتي يتم الحصول عليها من مصادر المعلومات الثانوية، ويجب أن يحرص مؤلف البحث على الاستعانة بمصادر المعلومات الموثوقة حتى يكون بحثه صحيحاً، ودقيقاً، ومعتمداً كمرجعٍ من مراجع التوثيق التاريخي، ومن الأمثلة على هذا النوع من الأبحاث الوثائقية: الأبحاث المستخدمة في دراسة سيرة حياة الشخصيات التاريخية المشهورة.

الطريقة الفلسفية

قال أرسطو: (إن الفلسفة ترتبط بماهية الإنسان التي تجعله يرغب بطبيعته في المعرفة)، يمكن القول إن الفلسفة هي المعرفة والبحث والاكتشاف والتفكير التي تهدف إلى تفسير الأسرار، وتحاول أن تفهم المعرفة والحقائق. تتحدث الفلسفة عن الارتباطات القائمة بين الأفراد والطبيعة، وبين الشخص والمجتمع، والفلسفة نابعة من الإستغراب وحب المعرفة والاستطلاع والاكتشاف والرغبة في المعرفة والبحث لا يمكن تعريف الفلسفة بحذر وبدقة لأنها صعبة جداً ومثيرة للجدل، وقد عرفت منذ زمن طويل في الصين والهند، والفلسفة الغربية تختلف اختلاف كبير عن الفلسفة الشرقية بسبب عدم التبادل الثقافي بين الشرق والغرب لصعوبة الاتصال قديماً. تعريف الفلسفة الفلسفة هي علم يُبحث فيه عن حقيقة الأمور على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية، وهي كلمة أخذها العرب من اللغة اليونانية، والفلسفة في اليونانية تتألف من مقطعين: الأول: فيلوس Philos (صديق أو محب). الثاني: سوفيا Sophia (حكمة)، فيكون معناها (محب الحكمة).

الفلسفة الحديثة

هي الفلسفة والتي تكون تقنية بحثية بالإضافة إلّا أنها تركز على عنصر مهم وهو التحليل المفهومي، كما أنها تهتم بنظريات المعرفة بالإضافة إلى طبيعة اللغة والعقل وأيضاً إلى الأخلاق، كما أنّ هناك ثقافات عديدة واتجاهات مختلفة أخرى كما أنّ الفلسفة ترى بأنّها دراسة الفن والعلوم وبالتالي تكون دليل حياة شامل كما أنّها تقدم وتكون نظريات عامة، كما أنّ الفلسفة أصبحت مهمة بتحديد طريقة الحياة المميزة وليست هي فقط محاولة لفهم الحياة كما أنّ المنحنى التحليلي أيضاً يعتبر الفلسفة شيء عملي ويجب ممارسته، كما يعتبرها بعض الاتجاهات الأخرى بأنها أساس المعرفة والتي يجب على الجميع إتقانها وفهمها جيداً.

أقسام الفلسفة

- **فلسفة نظرية:** وتشمل تحت عنوانها ما ينبغي أن يعلم من المعارف كالرياضيات والطبيعات والإلهيات. ونظرية الطبيعيات: من الأحكام العامة، والأجسام، وعلم الفلك، وعلم المعادن، وعلم النبات وعلم الحيوان، والرياضيات مثل : الحساب، والهندسة والفلسفة والهيئة، الموسيقي، وتسمّى بالإلهيات بالمعنى الأعم، ومعرفة الله وتسمّى الإلهيات بالمعنى الأخص الأخلاق: وتتعلق بالأفراد وسلوكهم السياسي، وتتعلق بالمجتمع وأسلوب إدارته. الإلهيات: أحكام الوجود بقول مطلق العملية.
- **فلسفة عملية:** وتشمل تحت عنوانها ما ينبغي أن يُعمل به من المعارف كالأخلاق وتدبير المنزل والعائلة والسياسة.

مسائل الفلسفة

➤ ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)

يقسم علم ما وراء الطبيعة إلى قسمين: أولاً علم الوجود، ثانياً علم الكون، فالأول يتحدث عن الموجودات، والثاني يركز على الكون الطبيعي ومستقبله وتاريخه، والنظريات في علم ما وراء الطبيعة هي ثلاثة: المادية، والمثالية، والآلية، والغائية.

➤ المنطق

هو فرع من فروع الفلسفة يدرس صور الفكر وهو علم يعتمد على الحجة والبرهان والقوانين التي تتحكم بالتفكير وطرق الاستدلال السليم.

➤ الأخلاق

تتأثر بالخير والشر والصواب والخطأ، وتميّز بين الجيد والسيء، فالأخلاق تدرس المساواة والعدل واجبات الأفراد نحو نفسه ونحو الغير ونحو المجتمع. ونظرية المعرفة، وهناك عدة مسائل في نظرية المعرفة: مصدر المعرفة، قيمة المعرفة، طبيعة المعرفة، حدود المعرفة.

➤ فلسفة الجمال

علم الجمال يدرس في الروح والخلق والإبداع والنفس والقلب، وكذلك المواهب الفنية مثل الرسم أو الموسيقى أو الشعر أو المسرح أو التمثيل.

➤ **فلسفة الدين:** تدرس طبيعة المعتقدات والإيمان والقيم والعلاقة الروحية بالرب والمعرفة الدينية.

➤ **فلسفة المعرفة:** هي فهم المعرفة وطبيعتها وأساسها وأنواعها، كما تدرس طرق المعرفة والعلاقات بين المعرفة والإيمان، وتكشف المعرفة الخادعة والكاذبة والحقيقة والتميز بين الخطأ والصواب.

➤ **الفلسفة الشرقية :** بدأت ثقافة الفلسفة الشرقية في شمال أفريقيا والهند القديمة والصين، وأهم الفلاسفة هنا كانوا: المختار بن باب، ابن خلدون، ابن سينا، الفارابي وابن رشد، والفلسفة الأكثر انتشار كانت الهندية مقارنة بالغربية، مثلاً: هندوسية فلسفة نيايا مدرسة فلسفة هندوسية كانت تدرس المنطق؛ مثال آخر مدرسة كارافا كانت تقوم بتفسير وتحليل القضايا بشكل أو تجريبي.

أشهر الفلاسفة

من أشهر الفلاسفة: أفلاطون، أرسطو، أبو العلاء المعري، الفارابي، ابن سينا، أبو حامد الغزالي، ابن طفيل، صدر الدين الشيرازي، ابن ماجه، ابن رشد، محيي الدين ابن عربي، ابن خلدون، ديكارت. إنّ الفلسفة مهمة لإشباع رغبة الإنسان الفطرية في الإكتشاف والمعرفة، فالفلسفة تنمي القدرات على حل المشكلات والتفكير ورفع وعي الفرد ومساعدته لتكوين وجهة نظر فردية وشخصية عن الحياة والإنسان وأهم فائدة ربط الإيمان مع العقل.

أنواع الفلسفة ومظاهرها

تختلف مواضيع الفلسفة من واحدة لأخرى، فأنواع الفلسفة متعددة وكثيرة، منها: الفلسفة السياسية، والعلمية، والمادية، والمثالية، والتاريخية، والقانونية، والدينية، والتعليمية، والذهنية، واللغوية، والرياضية، والفيزيائية، والنفسية، والأدبية، والنقدية، أما مظاهر الفلسفة فهي أربعة مظاهر: وهي: التفكير العقلاني الذي يقوم على مبدأ عد التناقض، ومنهجية الشك، والدهشة من الأمور المحيطة بنا، والبحث عن حقيقة الأمور.

عوامل ظهور الفلسفة

تأثرت الفلسفة بالكثير من العوامل المختلفة والمتنوعة التي أدت إلى ظهورها وإبرازها، وهي: العوامل الفكرية الناتجة من تطور فكر البشر وبحثهم عن حقائق الأمور، والعوامل التاريخية، والعوامل الاقتصادية التي نتجت عن ازدهار التجارة، وفتح الطرق التجارية المتنوعة، وظهور

الصناعة في المدن، والعوامل الثقافية عن طريق التبادل الثقافي المشترك بين الشعوب، والعوامل الجغرافية، والعوامل الاجتماعية الخاصة بطبقات المجتمع المتفاوتة، والعوامل السياسية.

فلسفات متنوعة

هذه بعض النماذج من الفلسفات التي وجدت على الأرض، ومنها: الفلسفة الشرقية، وهي الفلسفة التي ظهرت في منطقة شرق العالم، وهي أقدم الفلسفات على وجه الأرض المتمثلة في فلسفة الحضارة المصرية، وفلسفة الحضارة الصينية، وفلسفة الحضارة البابلية، وفلسفة الحضارة الهندية، وفلسفة الحضارة الفارسية، ومن أشهر فلاسفتها: ابن خلدون، وابن رشد، وكنفوشيوس، والمهاتما غاندي. الفلسفة الإسلامية، والتي تعني الحكمة في الإسلام، فتعتبر الحكمة مرادفاً لكلمة فلسفة، وتعرف الفلسفة في الإسلام على أنها العلم في معرفة حقائق الأشياء حسب مقدرة وطاقته الإنسان. الفلسفة الغربية، وهي الفلسفة التي ظهرت في منطقة غرب العالم، وكانت بدايتها في دولة اليونان، ومن أشهر فلاسفتها: أرسطو، وأفلاطون، وسقراط. الفلسفة التطبيقية، وهي التي تختص بفلسفة الأخلاق التطبيقية.

مباحث الفلسفة

لكل علم موضوعه ، فعلم الفلك يبحث في الأجرام السماوية ، وعلم الجيولوجيا يبحث في طبيعة التربة والصخور ، وعلم الجيولوجيا يهتم بطبيعة المادة الحية وهكذا بحيث يمكن التمييز بين العلوم من خلال مواضيعها ، فما هي مباحث الفلسفة ؟ وما هو منهجها ؟

وإذا كان العلم يتميز بالتخصص فإن موضوع الفلسفة يمكن أن نقول هو "كل شيء " فتساؤلاتها النقدية تمتد لتشمل كل ما وصلت إليه الخبرة الإنسانية وما كشفت عنه من معارف على مختلف مستوياتها وفي كل المجالات ، وهذا ما يفسر تعدد اهتمامات الفلاسفة قديما . فالفيلسوف كان طبيباً وصيدلياً وعالم فلك وكيميائي ورجل سياسة وفقه ، فلا غرابة إذن أن يطلق عليها أم العلوم وبالرغم من هذا الكل الذي تدرسه الفلسفة ظهرت محاولات تريد وضعها في مجموعات من التخصصات أهمها الانتروبولوجيا والأخلاق والجماليات والميتافيزيقا والمنطق ونظرية المعرفة وفلسفة اللغة وفلسفة التاريخ وفلسفة الطبيعة والقانون والفلسفة الاجتماعية والسياسية . لكن يمكن اختزال هذه العناصر إلى ثلاثة مباحث كبرى تشكل المعرفة الإنسانية كلها وهي مبحث الوجود ومبحث المعرفة ومبحث القيم.

أ- مبحث الوجود ONTOLOGIE

كلمة الوجود تطلق على كل ما هو موجود في العالم سواء أدركته الحواس أم لم تدركه وتقابلها الماهية والعدم. ومبحث فهو النظر في الوجود من حيث هو وجود بقطع النظر عن صورته الجزئية التي يتجلى فيها وهو بهذا المعنى يكون مرادف للميتافيزيقا التي تعني العلم بالحقائق الثابتة في الأشياء في مقابل مظاهرها المتغيرة والتي تتكفل بدراستها العلوم المتخصصة. إذن الفلسفة تبحث في الوجود بشكل عام بما في ذلك مبحث الإلهيات والنفس والروح. والأسئلة الكبرى لهذا المبحث هي :

1 - ماهي طبيعة الوجود؟.

2 - ماهو مصدره؟.

3 - ماهو مصير؟.

ب- مبحث المعرفة EPISTEMOLOGIE

هو مبحث يركز على المعرفة كمعرفة أدواتها ومنهجها ومدى صدقها، فهو مبحث ينقد المعرفة وذلك طلبا لليقين وتجنباً للأحكام المسبقة. وكما هو الأمر مع مبحث الوجود فإن مبحث المعرفة أيضا لا يهتم بالجزئيات، بل يطرح أسئلة كبرى فيتساءل عن إمكانية المعرفة، أم أنها مستحيلة، كما ذهب إليه السفسطائيين. وإذا كانت ممكنة:

1 - فما هو الطريق الموصل لها؟

3 - هل للمعرفة البشرية حدود تقف عندها أم لا حدود لها؟

4 - هل صدقها نسبي أم مطلق؟

ج- مبحث القيم AXIOLOGIE

هو مبحث لا يهتم بما هو موجود، بل يبحث فيما ينبغي أن تكون عليه الأخلاق والأساس الذي تتبنى عليه، ويبحث في طريقة التمييز بين الحق والباطل، ويبحث في مقاييس الفصل بين الجميل والقبيح. وعليه تشمل القيم: الخير، الشر، الحق، الباطل، الجمال، القبح. وهي قيم مطلقة، والبحث فيها يعني تحديد الصورة المثالية التي ينبغي أن تكون عليها هذه القيم.

الدرس الخامس

تصميم البحوث النوعية

العنصر الأول : البحوث الوثائقية

العنصر الثاني : البحوث التاريخية

العنصر الثالث : البحوث المقارنة

العنصر الرابع : البحوث المسحية التتبعية

العنصر الأول : البحوث الوثائقية

البحث الوثائقي يعرف باللغة الإنجليزية بمصطلح (Research documentary)، وهو نوعٌ من أنواع البحوث الذي يعتمد على جمع، ودراسة الوثائق المرتبطة بمحتوى البحث، ويعرف أيضاً بأنه البحث الدقيق المعتمد على مراجع موثوقة تساهم في فهم قضيتي، أو ظاهرة معينة بالاعتماد على المعلومات المسجلة حولها، والتي تساعد على الوصول إلى النتائج المناسبة المرتبطة بموضوع البحث الوثائقي.

خطوات البحث الوثائقي

حتى يتمكن الباحث، أو الشخص الذي يريد إعداد بحثٍ وثائقي من صياغته بطريقةٍ صحيحة، يجب أن يتقيد بالخطوات التالية: تحديد مصادر المعلومات: هي الخطوة الأولى من خطوات البحث الوثائقي، والتي تعتمد على:

- تحديد المصدر الذي سيتم الرجوع إليه من أجل الحصول على المعلومات في البحث الوثائقي.
- تقييم المعلومات هي الخطوة التي تعتمد على التحقق من صحة، وموثوقية المعلومات، ودقتها في توفير كافة البيانات المناسبة للبحث الوثائقي، وكلما كانت هذه المعلومات تعتمد على مصادر صحيحة ساهمت في دعم موضوع البحث الوثائقي بشكل أفضل.
- إيجاد تفسير دقيق لكل معلومة: وهي الخطوة التي تساهم في تفسير المعلومات، ووضع خلاصة لكل معلومة منها، فليس بالضرورة أن يفهم كل شخص يقرأ البحث معنى معلومة ما، لذلك من الواجب على كاتب البحث أن يوضح كافة المعلومات الواردة في محتوى البحث الوثائقي.

المعلومات الوثائقية

هي مجموعة من المعلومات التي تعد مصدراً رئيسياً من المصادر التي تعتمد عليها الأبحاث الوثائقية، في الحصول على البيانات الخاصة بالبحث الوثائقي، وتنقسم هذه المعلومات إلى النوعين التاليين:

المعلومات الأصلية: هي التي يحصل عليها مؤلف البحث الوثائقي من مصدرها الرئيسي، أو الأصلي، مثل: الحصول على معلومات وثائقية حول شخصية مشهورة من خلال إجراء مقابلة معه.

المعلومات الثانوية: هي التي يحصل عليها مؤلف البحث الوثائقي من مصادر ثانوية تحتل الصحة، وتحتل الخطأ، ومن الأمثلة عليها: المنشورات الدورية كالمجلات.

منهج البحث الوثائقي

يعتمد البحث الوثائقي على منهج بحثي يساعد على إعداد الأبحاث الوثائقية، ومن أهم المناهج البحثية الوثائقية الأنواع التالية:

➤ المنهج الإحصائي

هو المنهج الذي تعتمد عليه البحوث الوثائقية الإحصائية، والتي تعتمد على مصادر، وبيانات رقمية، قد ترتبط بفترة زمنية محددة، أو في دراسات إحصائية معينة، وعادةً يستخدم هذا المنهج البحثي في الأبحاث التي تتكوّن من العديد من الأقسام البحثية، والتي تحتاج إلى مصادر معلومات أصلية، وحقيقية، ودقيقة، ومن الأمثلة على هذا النوع من الأبحاث الوثائقية: البحث الإحصائي الذي تعدّه دائرة الإحصاءات العامة.

➤ المنهج التاريخي

هو المنهج الذي يعتمد على المصادر التاريخية، والتي يتم الحصول عليها من مصادر المعلومات الثانوية، ويجب أن يحرص مؤلف البحث على الاستعانة بمصادر المعلومات الموثوقة حتى يكون بحثه صحيحاً، ودقيقاً، ومعتمداً كمرجعٍ من مراجع التوثيق التاريخي، ومن الأمثلة على هذا النوع من الأبحاث الوثائقية: الأبحاث المستخدمة في دراسة سيرة حياة الشخصيات التاريخية المشهورة.

أمثلة للبحوث الوثائقية:

اتجاهات عمل المرأة الخليجية من خلال واقع عملها .

فالباحث هنا سوف يقوم بجمع الإحصاءات التي تشمل على أعداد النساء العاملات في منطقة الخليج حسب المجالات المختلفة التي يعملن بها ومن ثم يقوم بنقدها أي التأكد من صحتها ثم يستنتج منها الأدلة والبراهين التي تجيب على أسئلة البحث.

متى يطبق البحث الوثائقي ؟

يطبق البحث الوثائقي لتحقيق واحد أو أكثر من الأهداف التالية :

1. وصف الظاهرة.

2. توضيح العلاقة ومقدارها.
3. استنتاج الأسباب الكامنة وراء سلوك معين .
4. معرفة الأثر الذي يحدث بفعل عامل الزمن على استجابة أفراد العينة.

كيف يطبق البحث الوثائقي؟

تشبه خطوات البحث الوثائقي خطوات المنهج التاريخي تماما والفرق الوحيد بينهما (أن خطوات البحث الوثائقي تطبق على مصادر معاصرة أساسية وثانوية ، بينما في المنهج التاريخي فهي تطبق على مصادر تاريخية أساسية وثانوية).

نبدأ بتطبيق الخطوات :

- تحديد مصادر البحث الأساسية والثانوية .
- تقويم مصادر البحث .
- تحليل المعلومات .
- مراجعة المعلومات .
- تبويب المعلومات.
- تفريغ المعلومات.
- تحليل المعلومات.
- تفسير المعلومات.
- ملخص البحث وعرض النتائج والتوصيات.

مميزات وعيوب البحث الوثائقي

يمتاز البحث الوثائقي بما يلي:

1. بالشمولية في بحث الظاهرة.
2. تلافي جوانب القصور التي تعترض بعض أنواع المنهج الوصفي.
3. عدم اعتماده على التحليل الكمي.

ومن عيوبه :

تأثره بذاتية البحث (أي أنه لا يبحث إلا عن ما يراه مناسباً من المصادر)

وهذا البحث لا يرتبط بالبحث الوثائقي وحده وإنما يعد من قصور البحوث التي تبحث في الظاهرة الإنسانية ككل.

العنصر الثاني : البحوث التاريخية

المنهج التاريخي هو أحد المناهج التي تُستخدم في البحوث التربوية، ذلك المنهج يمكن البحث من خلاله في عدد من العلوم، سواء كانت مترابطة أو غير مترابطة، ويستعان خلاله بطرق متنوعة من البحث.

خلال المنهج التاريخي يمكن دراسة الظواهر وتتبع المشكلات، تتبع مراحل النمو لدى الأطفال، ومن ثم نجد أنه يمكن الاستعانة بالمنهج التاريخي في العديد من الظواهر، ويمكن استخدامه بأنواع متعددة ومتنوعة من الطرق.

ويعتبر المنهج التاريخي أحد المناهج العامة في عملية البحث العلمي بالإضافة إلى المنهج الوصفي والمنهج التجريبي، ومن ثم تعد المناهج الثلاثة العامة في البحث التربوي أو البحث العلمي في مجال التربية وعلم النفس هو المنهج الوصفي، يليه المنهج التجريبي، يليه المنهج التاريخي.

والباحث يستخدم المنهج التاريخي نظرًا لتشوقه إلى معرفة الأحداث الماضية والأحوال في الأزمان الماضية أيضًا؛ فمعرفة الماضي دائمًا ما تثير الإنسان على الدوام، نجد ذلك من خلال حفظ القصص القديمة للرحل والأقاصيص، ويتم تداولها عبر الأجيال.

أيضًا نجد رجال العلم والتاريخ والدين بذلوا أقصى مجهود في البحث العلمي التاريخي بصورة دائمة في الحضارات والثقافات الماضية، بهدف الحفاظ عليها ونقلها إلى الأحفاد، على مر العصور نجد الكتابات التاريخية تهدف إلى حفظ ونقل الأحداث، ويكون دائمًا لها أهداف علمية على مر العصور، وهي حفظ التراث والحضارات، ونجد المؤرخين في اليوم الحالي يجتهدون باستخدام المنهج التاريخي لإحياء الخبرات البشرية الماضية بطرق تبني على مراجعة الأحداث والأحوال الواقعية للأزمنة الماضية، وهم يحاولون دائمًا جمع الوقائع وفحصها، وينتقون منها، ويحققونها، ويتم ترتيبها وفق قواعد محددة ومعينة، ويجدون في تفسير تلك الوقائع، ويتم ربطها بالأسباب، وتقديمها في صورة جيدة للقارئ أو الفاحص، وبذلك هم يستعينون بمستويات علمية، سواء كانت مشكلة تتعلق بتاريخ أمة، أو تطور جامعة ما، أو أحداث المربين الممتازين على مر

العصور، أو الأنظمة التربوية المختلفة التي تم الاستعانة بها على مر التاريخ، الهدف من البحث هنا بحث ناقد باحث عن الحقيقة.

إذن البحث التاريخي هو بحث ناقد للأحداث، ودائمًا يبحث عن الحقيقة.

ويختلف البحث في مجال العلوم الطبيعية عن البحث في الوقائع القديمة وصدقها، والقواعد هنا تختلف عن قواعد البحث العلمي في المواد العلمية؛ مثل الطب، والكيمياء، والفيزياء.

يجب مراعاة ما يلي عند استخدام المنهج العلمي:

أولاً: انتقاء المشكلة.

ثانيًا: جمع المادة العلمية.

ثالثًا: نقد المادة العلمية.

رابعًا: صياغة الفروض التي تفسر الأحداث أو الأوضاع.

خامسًا: تفسير النتائج وكتابة تقرير البحث.

إذن هناك عدد من الإجراءات التي يجب أن تُتبع للقيام بالبحث التاريخي، أو التأريخ لحدث أو مشكلة ما، فالمؤرخ أو الباحث الذي يستخدم المنهج التاريخي عليه أن يحدد نوع المشكلة التي سوف يقوم بدراستها وبحثها.

وعليه أن يجمع حول تلك المشكلة البيانات والمعلومات، أي: جمع مادة علمية مرتبطة بتلك المشكلة من خلال دراسات في نفس الفترة الزمنية أو أحداث مرت مرتبطة بها، أو تاريخ دولة أخرى مجاورة لها حدث بينهما احتكاكات؛ إذن جمع مادة علمية غنية.

وفرز تلك المادة العلمية التي تم جمعها ونقدها جيدًا، ثم يتم صياغة عدد من الفروض، تلك الفروض نستمدّها من المادة العلمية، التي تم جمعها من خلال المادة التاريخية جمعناها، ودرسناها، وحققناها طرحنا عددًا من الفروض، وتم تفسير الأحداث في ضوء الفروض التي طرحناها، وبعد ذلك الخطوة الخامسة سيتم تفسير النتائج، وفي ضوء النتائج التي فسرناها من تلك الفروض يتم كتابة التقرير.

أولاً: انتقاء المشكلة:

تحديد المشكلة عنصر أساسي في عملية البحث التاريخي، كل عناوين الدراسات التاريخية تم جمعها في قوائم هائلة في المكتبات العامة، المشكلات التاريخية دائماً ترتبط بدراسة فترات تاريخية محددة، مناطق جغرافية مختلفة ومتباينة فيما بينها، أيضاً يتم دراسة مجالات تخصص متميزة في تلك الفترة، القوانين التعليمية التي اتبعت، المناهج التي طبقت، أساليب التدريس، المنظمات التربوية؛ إذن المشكلات التي تم التطرق إليها متنوعة ومتعددة، ولا زالت هناك مجالات عديدة للبحث التاريخي في المشكلات في الحقب الزمنية الماضية جديرة بالدراسة والبحث.

وقلنا الكثير من المشكلات التاريخية التي في حاجه إلى البحث، ولذلك تم التنبيه على المشتغلين بالتربية البدنية إلى ضرورة بذل المزيد من البحوث التاريخية في مجال التربية البدنية، وأيضاً هناك العديد من المشكلات التي في حاجة إلى البحث والدراسة في الجوانب التربوية، وهناك كثير من الدراسة التي تتبعت التربية عند الإغريق، عند أرسطو، وعند أفلاطون، وعند سقراط، وتتبعوا تلك الأحداث، أيضاً هناك دراسات مجال التربية في التربية الإسلامية، وأثرها على المنهج؛ فهناك كثير من البحوث التاريخية التربوية والاجتماعية التي تعالج بأسلوب المنهج التاريخي.

ثانياً: جمع المادة العلمية:

حددنا المشكلة بدقة، ووضوح، ويمكن الاستعانة في تحديد المشكلة بالدراسات السابقة في مجال، والبحوث العلمية في المجال.

من الأمور المهمة أو الأساس في البحث التاريخي جمع المادة العلمية، هنا يظهر لنا فرق كبير ما بين المنهج التاريخي وما بين المنهج التجريبي، فالتجريبي تم تحديد متغير مستقل وتطبيقه على مجموعة، عينة محددة، في المنهج التاريخي لا يوجد عينات، كل ما في الأمر نعمل عملية اكتشاف للتاريخ السابق والمشكلة محددة من خلال المصادر، والمعلومات، والكتب، والمراجع العلمية نجمع منها المعلومات عن تلك المشكلة، يظهر لنا الخلاف الكبير بين المنهج التاريخي والمنهج التجريبي.

إذن الأعمال المهمة التي يقوم بها المؤرخ هنا هو كمّ المادة العلمية المتوفرة لديه لحل المشكلة التي يبحث بها؛ فهو يحدد فترة زمنية معينة، في دراسته أيضاً مرتبط بفترة زمنية معينة خاصة

بالمشكلة أو الظاهرة التي ظهرت في تلك الحقبة الزمانية، ونستعرض الأحداث الخاصة وأثرها على الإنسان -الأحداث التي تمت في تلك الحقبة الزمنية، وأثر تلك الأحداث على الإنسان- ومن ثم نُوعت الأحداث الماضية واختلفت، وتظهر لنا عدد من الشواهد والأحداث المتعلقة بالمشكلة التي يراد بحثها أو المشكلة المستهدفة، وعلى الباحث أن يحدد مصادر البحث أو مصادر جمع المعلومات، وعليه أن يعتمد على المصادر الأولية، وأيضًا المصادر الثانوية.

المصادر الأولية والمصادر الثانوية:

المصادر الأولية: هي التي تناولت تلك الظاهرة بصورة مباشرة، أما المصادر الثانوية: هي التي تناولت أحداثًا أخرى بصورة مباشرة، ولكنها تطرقت إلى المشكلة بصورة غير مباشرة تبعًا للأحداث الأساسية التي تتناولها في بحثها، أو في مصادرها، ولكن يجب أن نجمع كافة الأحداث حول تلك المشكلة أو البيانات والمعلومات.

وبذلك، فإنَّ المصادر الأولية من الممكن أن تكون في صورة أشخاص، أشخاص عاصروا تلك الأحداث بالفعل، وشاهدوها، ولا زالوا أحياء، من الممكن الرجوع إليهم لنستمد منهم المعلومات بصورة مباشرة، فبذلك هم يعدون مصادر أولية وليس مصادر ثانوية.

من المهم جدًا أن يدرك الباحث في المنهج التاريخي الفرق بين المصادر الأولية، وهي اللازمة والضرورية وهي الأساس في البحث التاريخي، والمصادر الثانوية وعدم الاكتفاء بالمصادر الأولية، بل يجب أن يلحقها، ويزودها، ويضيف إليها المصادر الثانوية في البحث العلمي.

ويضاف إلى المصادر السجلات والآثار، تعد السجلات والآثار الموجودة إحدى مصادر جمع المعلومات للباحث التاريخي، فهناك عدد من السجلات تم حفظها، إما حفظها كآثار ولا زالت محتفظين بها كأثر، وتتضمن تلك السجلات العديد من المعلومات التي يمكن تمدنا عن الحقبة الزمنية، أو المشكلة التي يتم دراستها في حقبة زمنية ماضية.

السجلات ميزتها أنها تحفظ الأفكار والأحوال والأحداث الماضية؛ فهي متعددة ومتنوعة، خاصة السجلات المكتوبة تحفظ لنا تلك الأحداث بصورة جيدة.

السجلات الرسمية: السجلات الرسمية تمثل لنا الوثائق التشريعية، أو القضائية، أو التنفيذية التي تصدرها الحكومة، القوانين والتشريعات التي صدرت في عهد الملك فاروق لا زالت موجودة في دار الوثائق المصرية كآثار موجودة، وجود القوانين والتشريعات واللوائح التي كانت موجودة،

عندما يقوم باحث بدراسة معينة باستخدام المنهج التاريخي؛ فهو الباحث يلجأ إلى تلك المناطق مصلحة الوثائق في جمهورية مصر العربية، ويرجع مرة أخرى إلى فحص تلك الوثائق.

قلنا: الوثائق والسجلات منها الرسمي، ومنها الأثري، الرسمي هو خاص بقوانين الدولة، وتشريعاتها، وتحفظ به الدولة بصورة رسمية، وإذا انتهى ذلك القانون يتم الحفاظ به، وتدوين القوانين واللوائح الجديدة، لو كانت السجلات سجلات ليست رسمية وإنما كانت سجلات شخصية، مثل الخطابات، والجوابات، السيرة الذاتية، اليوميات، الوصايا، الأعمال، والعقود، كل ذلك تمثل سجلات شخصية، يضاف إلى ذلك التراث الشفوي الذي ينتقل إلينا من خلال أشخاص في صورة حكايات، أو قصص، أو أحداث مرت بهم، ونحن نقابلهم بصورة مباشرة، وينقلون لنا المعلومات، أو سجلات مصورة الصورة نفسها تحفظ لنا مثل المتاحف التي فيها صور الملوك، وأحداث صور الزفاف الخاصة بهم، صور الاحتفالات، صور الحفلات، الثورات المختلفة؛ فهذه تعتبر بالنسبة لنا سجلاً يحفظ لنا حدثاً تاريخياً معيناً، سواء كان نحتاً، سواء كان تصويراً، سواء كان رسمًا، سواء كانت أفلاماً، فكل ذلك يمثل سجلات لجمع البيانات.

أيضاً يتوفر لدينا المواد المنشورة، المواد المنشورة عبارة عن الجرائد، والصحف، والمقالات الدورية، والأعمال الأدبية التي تنشر، كل تلك المصادر تعد مصادرًا لجمع المعلومات من خلالها.

علاوة على ذلك هناك عنصر مهم جدًا لجمع المعلومات، هو السجلات الميكانيكية، السجلات المميكنة أو الميكانيكية: عبارة عن أسطوانات تسجيل لبعض الأحداث، وتم حفظها حتى الآن، الآثار الباقية منها على مر الأزمنة هي وسيلتنا لجمع المعلومات، فالآثار أو معلومات تعبر لنا عن واقع دولة ما، أو أساليب تربوية ما، أو قوانين ما، أو تشريعات ما نعتمد عليها في عملية البحث العلمي، فالمصادر التي يعتمد عليها في جمع المعلومات متنوعة ومختلفة كما أشرنا من قبل، وبذلك يعد المنهج التاريخي إحدى المناهج الجيدة لجمع المعلومات، أو إحدى المناهج الجيدة لبحث الظواهر السابقة، أو الأحداث، أو المشكلات التي حدثت في الأزمنة السابقة.

والباحث أو المؤرخ يجد آثارًا متنوعة ومتعددة أثناء البحث، آثاره إما تكون مادية، يعني: مبانٍ، مساجد، آثار مدارس قديمة، مسجد الأزهر يعبر عن أثر، وكان هناك أعمدة، وأسفل كل عمود يجلس عالم من العلماء يعطي أبناءه الدرس، يدرس الأبناء كلهم في صحن المسجد، أو في فناء المسجد، كلهم في صحن المسجد، ولكن لكل عالم من العلماء عموده الخاص بيه، والطلبة يجلسون حوله للدرس والمناقشة والحوار.

إذن عندنا المسجد الأزهر أثر مادي عبارة عن مبنى يوضح لنا أسلوب التربية في فترة ما أو في عهد ما.

و يضاف إلى الآثار المادية المطبوعات، المطبوعات المحفوظة، إحدى الآثار التي تمدنا بالمعلومات والبيانات.

وهناك المخطوطات، المخطوطات القديمة التي كتبت بخط يد العالم هي أيضاً إحدى الآثار المخلفة لجمع المعلومات، وهي إحدى مصادر أساسية بالنسبة للباحث، وبذلك نجد الباحث هنا في بداية منهجه المستخدم -المنهج التاريخي- عليه أن يلجأ إلى بطاقات الفهارس والدوريات، قوائم المراجع، والمجلات التاريخية، والرسائل، والمجلات، والبحوث، حتى يحصر المادة العلمية المفيدة له، يعمل عملية حصر كامل لتلك المراجع كمصادر لجمع المعلومات حتى يعتمد عليها في جمع المعلومات، ولا يُغفل أي جزء منها.

كما أن هناك العديد من المكتبات التي تتضمن مجموعات قيمة في مجالات تربوية، عندنا مكتبة الإسكندرية كانت قديماً، مكتبة بغداد، أيضاً مكتبة الكونجرس في الولايات المتحدة، مكتبة نيويورك العامة، هناك بعض الجامعات أيضاً التي تتخصص في جمع المعلومات، أو الدوريات، أو المخطوطات القديمة في مجال التربية، وبذلك يتوفر إلينا العديد من المراجع التاريخية التي يمكن أن نستمد منها المعلومات.

وتعد المادة العلمية التي قام الباحث بجمعها بعملية النقل لتلك المادة، حتى يتأكد من صدق تلك المادة، على الباحث ألا يسلم بما جمعه للوهلة الأولى، لكن يجب أن تعمل عين الباحث وعقله جيداً في الشك والتفكير، ونقد تلك المادة حتى يتوصل إلى مادة أخرى من مصدر آخر يؤكد تلك المعلومة أو ينفيها، ربما تكون بعض المعلومات مزيفة، بعض المعلومات كاذبة، وليست صادقة، فبالتالي يجب أن يتيقن الباحث من صدق تلك المعلومات بواسطة عدد من المصادر الأولية، والمراجع، والمخطوطات.

ومن ثمّ، فالباحث عليه أن يتوخى الحيطة في البحث العلمي التاريخي؛ لأنّ البحث هنا قائم على مصادر ورقية، يجب على الباحث أن يعتمد على المصدر الموثق، لا تصلح مصادر مجهولة الهوية في البحث العلمي، يجب أن يكون كلّ بحثٍ موثقاً توثيقاً سليماً؛ لأنّ المنهج التاريخي للبحث هو ما يضيف للدراسات الإنسانية وصفاً جميلاً؛ لأنه يجب أن تتصف بالصدق،

وحتى تتصف بالصدق أن يخضع تلك المادة للنقد الخارجي والداخلي الشديد، عن طريق النقد الخارجي يتأكد من صدق المادة.

كيف يتم النقد الخارجي للمادة في البحث؟

حتى نتأكد من الصدق يجب أن ننظر إلى المصدر الذي سوف نستمد منه المادة العلمية، المصادر التي تم الحصول عليها متى ظهرت؟ من الذي ألفها؟ هل فعلاً ما هو مكتوب في الوثيقة منسوب لذلك المؤلف، وهل يوجد داخل الوثيقة ما يثبت ذلك؟ كلها أسئلة يطرحها الباحث، ويتأكد منها من المصدر الذي سوف يستمد منه المعلومات، ومصدر المعلومات يجب أن نراجع جيداً، ونتأكد منه حتى نتأكد من المادة العلمية الصحيحة التي سوف نعتمد عليها في البحث التاريخي. وبذلك نكون انتهينا من منهج البحث التاريخي.

العنصر الثالث : البحوث المقارنة

البحث المقارن هو منهجية للبحث في العلوم الاجتماعية تهدف إلى عقد مقارنات بين الدول أو الثقافات المختلفة. ومن المشكلات الكبرى التي يتسم بها البحث المقارن هي أن مجموعات البيانات في الدول المختلفة قد لا تستخدم نفس الفئات التصنيفية، أو يمكن أن تعرف الفئات التصنيفية بطريقة مختلفة (على سبيل المثال استخدام تعريفات مختلفة للفقر).

تطور التقليد البحثي

يكثُر الجدل حول الوقت الذي بدأ فيه البحث المقارن. فقد أشار كارل دويتش إلى أن الباحثين يستخدمون هذا الشكل من البحث والاستقصاء منذ أكثر من 2000 عام. وتعتبر مقارنة الأشياء أساساً ضرورياً للبحث العلمي والفلسفي، وهو الأساس الذي يُعتمد عليه منذ وقت طويل. ويتسم معظم المؤلفين بالتحفظ الشديد في تقييمهم لطول المدة التي استخدم فيها البحث المقارن. لذلك، يعتبر جدلاً غير مثمر بدرجة كبيرة يدور حول تعريف التقليد البحثي مع أولئك الذين يتساءلون إذا ما كانت مقارنة الأشياء تعتبر بحثاً مقارناً أم لا.

بدأ ظهور الكتب المبنية على هذا الشكل من الدراسة في السنوات التي تلت عام 1880 إلا أنها انتشرت بشدة بعد الحرب العالمية الثانية.

كما يوجد العديد من الأسباب التي أدت لبلوغ البحث المقارن مكانة مرموقة في مجموعة الأدوات التي يعتمد عليها علماء العلوم الاجتماعية. وقد كانت العولمة عنصراً مهماً حيث أدت

إلى تزايد الرغبة في التبادل التعليمي وإمكانية حدوثه وإلى الفضول الفكري حول الثقافات الأخرى. كذلك، ساعدت تكنولوجيا المعلومات في إنتاج بيانات كمية يمكن مقارنتها، كما سهّلت تكنولوجيا الاتصالات الدولية نشر هذه المعلومات.

تعريف البحث المقارن

بكلمات موجزة، يمكن تعريف البحث المقارن بأنه مقارنة شيئين أو أكثر مع الرغبة في استكشاف شيء ما يتعلق بأحد أو جميع ما يخضع للمقارنة. فهذا الأسلوب غالبًا ما يستفيد من عدة تخصصات بحثية من خلال دراسة واحدة. وبالنسبة للمنهجية، فهناك شبه اتفاق على أنه لا توجد منهجية خاصة بالبحث المقارن. ومن ثم، يتميز المنهج متعدد التخصصات بأنه المنهج المناسب بسبب المرونة التي يوفرها، إلا أن البرامج المقارنة ينبغي أن ترد على دعوى أن أبحاثها تفتقد "الترابط الكلي".

ويوجد بعض الطرق المحددة التي يكثر استعمالها في الدراسات المقارنة أكثر من غيرها. وفي هذا المنهج، يُستخدم التحليل الكمي أكثر من التحليل الكيفي، ويمكن رؤية ذلك في غالبية الدراسات المقارنة التي تستعمل البيانات الكمية.

إن المنهجية العامة في مقارنة الأشياء مماثلة لمنهجية الأبحاث المقارنة كما توجد في تطبيقنا اليومي للمقارنة بين الأشياء. فالقضايا المماثلة تعامل بنفس الطريقة، والقضايا المختلفة تعامل بطريقة مختلفة، ويحدد مدى الاختلاف درجة الاختلاف التي تعامل بها القضايا. فإذا ما كان المرء قادرًا على التمييز بدرجة كافية بين قضيتين؛ فلن تكون نتائج البحث المقارن نافعة بدرجة كبيرة.

ويعتبر التحليل الثانوي للبيانات الكمية أحد مناهج البحث المقارن المستعملة بكثرة نسبيًا؛ وهذا بالتأكيد يرجع جزئيًا إلى كلفة الحصول على البيانات الأولية الخاصة بهذه الأشياء الكبيرة مثل سياسة الدولة البيئية. وتعتبر هذه الدراسة بصورة عامة تحليلًا إجماليًا للبيانات. ويكثر مقارنة كميات كبيرة من البيانات (خاصة الصادرة عن الحكومة). فأحد الأساليب النموذجية لمقارنة دول الرفاهية هي الموازنة بين مستويات إنفاقها على الرفاهية الاجتماعية.

واتساقًا مع المدى الذي بلغه التنظير خلال القرن الماضي، فإن البحث المقارن لا يميل إلى دراسة "النظريات الكبرى" مثل الماركسية. ولكن ينشغل بدلاً من ذلك بالنظريات متوسطة النطاق التي تميل لوصف النظام الاجتماعي بكل ما يتضمنه ولكن كجزء منه. وأحد الأمثلة الجيدة

على هذا برنامج البحث المشترك الذي يبحث عن الاختلافات بين نظامين اجتماعيين أو أكثر، ثم دراسة هذه الاختلافات في علاقتها ببعض المتغيرات الأخرى المشتركة في تلك المجتمعات لبحث إذا ما كانت متصلة أم لا. ويعتبر بحث إيسبنج أندرسون حول أنظمة الرفاهية الاجتماعية هو النموذج التقليدي لهذه الأبحاث. فقد لاحظ وجود اختلاف في أنواع أنظمة الرفاهية الاجتماعية وقارن بينها بالاعتماد على مستوى عدم اعتبار بضائع الرفاهية الاجتماعية لديها سلعة. فوجد أنه كان قادرًا على تصنيف دول الرفاهية إلى ثلاثة أنواع استنادًا إلى مستوى نزع الصفة السلعية عن السلع لديهم. وفيما بعد، بنى نظريته على ذلك حيث أشار إلى أن نزع الصفة السلعية استند على تركيب من الائتلاف والحراك التصنيفي والإرث النظامي. فهنا يستخدم إيسبنج أندرسون البحث المقارن: حيث يأخذ العديد من الدول الغربية ويقارن بين مستويات نزع الصفة السلعية لديها؛ ثم يضع نظرية الاختلاف بناء على نتائجه.

ويمكن أن يتخذ البحث المقارن العديد من الأشكال. ويعتبر المكان والزمان عنصرين أساسيين. بالنسبة للاعتبار المكاني، تكون المقارنات بين القضايا الوطنية هي الأكثر شيوعًا؛ فتقارن بين المجالات أو الثقافات أو الحكومات المختلفة أيضًا وتعتبر شديدة النفع خاصة في دولة مثل نيوزيلندا حيث تختلف السياسات غالبًا بناء على العرق الذي تنتمي إليه. وتتضمن الدراسات المتكررة المقارنة بين الأقاليم أو مقارنة دول متشابهة أو مختلفة، أو مجموعة من الدول، ومقارنة دولة المرء ذاته بالدول الأخرى أو بالعالم كله.

وينطوي البحث التاريخي المقارن على مقارنة أطر زمنية مختلفة. فالخياران الرئيسيان في هذا النموذج هو مقارنة مرحلتين زمنية (سواء فترات خاطفة أو سلاسل زمنية)، أو مقارنة نفس الشيء في فترات زمنية لمعرفة إذا ما كانت السياسات تؤثر بمرور الوقت أم لا.

وعندما يتعلق الأمر بموضوع الدراسة بالأبحاث المقارنة فالعديد يؤكدون أنه ليس فريدًا على الإطلاق. فربما يكون هذا حقيقياً في الواقع إلا أن قراءة مختصرة بعناية للأبحاث المقارنة تكشف أنه يوجد موضوعات متكررة أكثر من غيرها. فيعتبر تحديد إذا ما كانت العناصر الاقتصادية الاجتماعية أو السياسية أكثر أهمية في تفسير الإجراءات الحكومية موضوعًا مألوفًا. وبصورة عامة فإن الشيء الوحيد المحدد في موضوعات البحث المقارن هو وجود الاختلافات التي تخضع للتحليل.

العنصر الرابع : البحوث المسحية التتبعية

هو : "ذلك النوع من البحوث الذي يتم بواسطة إستجواب جميع أفراد مجتمع البحث أو عينة كبيرة منهم، وذلك بهدف وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها ودرجة وجودها"، فقط، دون أن يتجاوز ذلك إلى دراسة العلاقة أو استنتاج الأسباب مثلاً. فالبحث المسحي يختلف عن بقية أنواع المنهج الوصفي من حيث خطواته الإجرائية، وكذلك الأهداف التي يحققها. ومن الأمثلة على ذلك:

والبحث المسحي يمكن تطبيقه على مجموعة واحدة ويمكن تطبيقه على مجموعتين، بينما البحث الارتباطي لا يطبق إلا على مجموعة واحدة. أما البحث السببي المقارن فلا بد من تطبيقه على مجموعتين.

هذا من ناحية الخطوات الإجرائية، أما من حيث الأهداف فالبحث المسحي يهدف أساساً لوصف الواقع فقط ولا يتجاوزه إلى معرفة العلاقة أو استنتاج الأسباب بينما البحث الارتباطي يهدف أساساً لمعرفة العلاقة، والبحث السببي المقارن يهدف لاكتشاف الأسباب الكامنة وراء سلوك معين.

وهذا الاختلاف بين البحث المسحي، والبحث التتبعي أدى إلى فرق بين ثلاثة أنواع من المسح:

- مسح عام.
- مسح مستعرض.
- مسح طولي.

وفي البحث المسحي يطبق (المسح العام) الذي يتناول مجتمع البحث أو عينة كبيرة منه بهدف تشخيص واقعها ووصفه فقط.

أما المسح المستعرض، والمسح الطولي، فهما يطبقان في البحث التتبعي بغرض معرفة الأثر الذي يحدثه عامل الزمن نمو أو تغير في إجابات أفراد العينة حول الظاهرة المدروسة.

أمثلة للبحوث المسحية:

دراسة مقارنة لقسمين من الأقسام العلمية في جامعتين من حيث دور أعضاء التدريس فيهما في البحث العلمي وفي خدمة المجتمع.

فالباحث في هذا المثال وما شابهه لا يعني إلا بوصف ما وهو كائن فقط. أي يعني بالإجابة على سؤال (ماذا) وليس على سؤال (لماذا).

متى يطبق البحث المسحي؟

يطبق البحث المسحي طبقاً لعدة نقاط :

- معرفة بعض الحقائق التفصيلية عن واقع الظاهرة المدروسة، مما يمكن الباحث من تقديم وصف شامل وتشخيص دقيق لذلك الواقع.
- تحديد المشكلات أو تقديم أدلة لتبرهن على سلوكيات واقعية وأوضاع راهنة.
- إجراء مقارنات بين واقعين أو أكثر.
- إصدار أحكام تقييمية على واقع معين .
- تحليل تجارب معينة بهدف الاستفادة منها عند اتخاذ قرار بشأن أمور مشابهة لها.

ويجب أن يتضح لدى الباحث بأن تعدد أهداف البحث المسحي لا تعني مطلقاً التداخل مع أهداف الأنواع الأخرى للمنهج الوصفي، كالمنهج الارتباطي، والمنهج السببي المقارن، إلا إذا قصد الباحث ذلك. كأن يكون لبحثه هدفين معاً: هدف الوصف، وهدف توضيح العلاقة، فحينئذ يلزمه أن يطبق ما يلزم تطبيقه من خطوات إجرائية للنوعين معاً (البحث المسحي ، والبحث الارتباطي).

مثال:

قد يقوم باحث بدارسة مقارنة للدور الذي يقوم به أعضاء هيئة التدريس في قسمين علميين نحو البحث العلمي، وخدمة المجتمع. وذلك بهدف:

- معرفة وتشخيص الدور الحقيقي الذي يقوم به الأعضاء في هذين المجالين ليتسنى له بذلك مقارنتهما (البحث المسحي).
- معرفة ما إذا كان هناك ثمة علاقة بين زيادة النصاب التدريسي لعضو هيئة التدريس وبين مدى مشاركته في هذين المجالين (البحث الارتباطي).

كيف يطبق البحث المسحي؟

فخطوات البحث المسحي إذن هي:

- توضيح ماهية المشكلة المراد دراستها.

- يهين ذهن القارئ للشعور بوجودها (التمهيد للمشكلة).
- يحدد المشكلة، ويحصر التساؤلات التي يحاول البحث الإجابة عنها، أي يجيب على سؤال (ماذا) (تحديد المشكلة وأسئلة البحث).
- يجيب على سؤال (لماذا) (أهداف البحث).
- يؤكد دور البحث في الإضافة العلمية، أو حل مشكلة يواجهها المجتمع (أهمية البحث).
- يشرح الإطار النظري الذي تدرس المشكلة من خلاله (الإطار البحث).
- يبرز الحدود المكانية والزمنية والموضوعية لمشكلة البحث (حدود البحث).
- يكشف عن الجوانب التي لا يستطيع الباحث - بحكم الطبيعة الإنسانية للباحث والمبحوث معاً - أن يحكم بصحتها أو خطأها (قصور البحث).
- يحدد المدلول الإجرائي للمصطلحات المهمة التي تتكون منها مشكلة البحث [مصطلحات البحث].

مراجعة الدراسات السابقة

فحتى يبدأ الباحث مما انتهى إليه غيره، لابد له من مراجعة المحاولات البحثية السابقة - عبر الخطوات التالية:

- تحديد جوانب المشكلة.
- وضع قائمة بالمصطلحات التي تصف المشكلة.
- مراجعة ووصف المصدر التمهيدي.
- مراجعة المصادر التمهيدية لحصر المصادر.
- تحديد الأماكن التي توجد بها المصادر.
- إعداد البطاقات.
- القراءة وتسجيل المعلومات.
- تبويب البطاقات.
- إخراج الفصل.

توضيح كيفية تصميم البحث وتحديد خطواته الإجرائية:

فحتى يجيب الباحث على سؤال (كيف) أجرى البحث ؟ يتحتم عليه أن يبين مايلي:

- مجتمع البحث الذي سوف تعمم عليه نتائج البحث.
- عينة البحث وطريقة اختيارها.
- أداة جمع المعلومات (الإستبانة، أو المقابلة) وكيفية تصميمها.
- الأسلوب الذي تم تطبيقه في جمع المعلومات.
- الأسلوب الذي تم تطبيقه لتحليل المعلومات.

تحليل المعلومات وتفسيرها:

فبعد أن يتأكد الباحث من صحة المعلومات، ويقوم بتفريغها في قوالب محددة طبقاً لأسئلة البحث، يبدأ بإخضاعها للمعالجة الإحصائية أي يطبق ما يلائم البحث من مراحل التحليل الكمي للمعلومات، ومن ثم يقوم بتفسيرها مشيراً في ذلك إلى الاستنتاجات التي توصل إليها حول أسئلة البحث.

سرد النتائج والتوصيات:

يشير الباحث في ذلك إلى :

- ما توصل إليه من نتائج حول أسئلة البحث.
- ما يقترحه من توصيات تساعد على حل المشكلة.
- ما يقترحه من بحوث تساهم في تكامل المعرفة وتقديم حلول علمية في مجال بحثه.

المميزات والعيوب:

مميزات البحث المسحي:

- أنه أشبه ما يكون بالأساس لبقية أنواع البحوث في المنهج الوصفي فالباحث المطبق للمنهج الارتباطي - مثلاً - قد يحتاج لتطبيق البحث المسحي لوصف الواقع ابتداءً. كما أن الباحث الذي يهدف لاستنتاج الأسباب الكامنة وراء سلوك معين من معطيات سابقة يحتاج إلى وصف الواقع أولاً.
- أنه ممتاز كما يمتاز غيره من أنواع النهج الوصفي بقابلية التطبيق مع غيره من الأنواع، وإمكانية تطبيقه أسلوباً للبحث وحده.
- سهولة تطبيقه وتعدد مجالات تطبيقه.

ملاحظة: على الرغم من هذه المميزات هناك لبساً يرتبط دائماً بالبحث المسحي ليس ناتجاً عن طبيعته، وإنما ناتج عن عدم وضوح مفهومه لدى معظم الباحثين، وهذا اللبس

يكن – في الاعتقاد بأن هناك تداخلاً بين أهدافه مع أهداف الأنواع الأخرى للمنهج الوصفي مما لا يجعل منه أسلوباً واضحاً وسهل التطبيق..

وهذا اللبس لا يقلل من قيمة البحث المسحي فله، أهدافه المحددة التي لا تتحقق إلا بواسطة تطبيقه وحده دون غيره من أنواع المنهج الوصفي التي هي الأخرى أيضاً لها أهدافها المحددة.

عيوب البحث المسحي:

من أهم العيوب التي تكتنف البحث المسحي، عدم استطاعة الباحث – مهما بذل في سبيل ذلك من جهد – التغلب تماماً على جوانب القصور التي – شاء أم أبى – ترتبط بالبحث المسحي. مثلاً – لا يستطيع أن يجزم بشكل مطلق بمدى تمثيل العينة لمجتمع البحث وأن ما يتوصل إليه من نتائج تصدق تماماً على مجتمع البحث. كما لا يستطيع أن يجزم بأن ما أدلى به المستجوب من إجابة تمثل حقيقة ما يراه أو يعتقد به. إلا أن إتباع الباحث للأساليب العلمية في اختيار العينة، وتصميم أداة البحث، لا شك يقلل – لكن لا يزيل – أثر هذا العيب.

مفهوم البحث التتبعي :

معنى تبع لغة : (تبع) الشيء – تبعا وتبوعا : سار فى أثره ، أو تلاه.

البحوث التتبعية :

تهدف هذه البحوث إلى دراسة التغيرات الحادثة في موقف معين مع مرور الزمن .

يوجد نوعان منها :

{1} بحوث طولية .

{2} بحوث مستعرضة .

وهناك فرق بين البحوث الطولية والمستعرضة من حيث : أهدافها/تتبع

الحالة / دراسة المتغيرات .

[1] مفهوم البحوث الطولية :

فيها تجمع بيانات عن متغيرات كثيرة لدي نفس أفراد العينة المختارة في البحث خلال فترة زمنية طويلة قد تصل إلي أسابيع أو عدة شهور أو عدة سنوات .
 مثل : (متابعة نمو أطفال معينة قد يكون ملاحظتهم خلال أسابيع معينة ، أو كل شهر أو سنة حسب تحديده ، عينة تحتاج فترة طويلة / الدقيقة ، قياس عينة ويتبعها مع الفروق الذي يحدده عمر واحد) .

طرق تنفيذ البحوث الطولية : تنفذ بطريقتين :

- أ- تجميع البيانات من أفراد العينة في الفترة الزمنية المستهلكة ، تجميع البيانات عن العينة في الفترة السابقة .
- ب- الجمع من أفراد العينة في الفترة الماضية ، تجميع بيانات في الماضي من مصادر معينة .
- العينة : صغيرة ، العمر : واحد .
- المتغيرات : كثيرة ، الزمن : طويل .
- مثال : { بحوث طولية مستقبلية : أجري بحث علي الأطفال المعاقين ، أثر الحرمان المادي والثقافي علي تكيف هؤلاء الأطفال في المدرسة من خلال فترة دراستهم في المدرسة ، ولتحقيق الدراسة ، اختيرت مجموعة من أطفال الروضة في المناطق الفقيرة ، بلغ عددهم 52 طفلاً ، من أسر محرومة وفقيرة .. تم وضع معايير محددة : الأسر المحرومة الفقيرة ، اختيرت مجموعة مماثلة من حيث الجنس / السن / الذكاء المادي ، أطفال المجموعتين اختيروا من بين أسر العمال ، مقاييسهم : مقاييس محددة { .

{2} البحوث المستعرضة :

- نختار من أعمار مختلفة كل عينة / شئ معين ، ثم يلاحظ التغيرات النمائية في الأعمار المختلفة ، فترة زمنية قصيرة ، قلة الدقة ، العينة وتأثير الظروف علي العينات .
- العينة : كبيرة ، العمر : مختلف .
- المتغيرات : قليلة ، الزمن : قصير .
- هدف واضح : أدوات موضوعية ، أدوات دقيقة / صادقة / ثابتة .

● دقة اختيار العينة : بحث تكون ممثلة للمجتمع الأولي للعينة .

مثال : { أجري بحث بهدف اكتشاف اتجاهات التلاميذ نحو التعليم في مدارس تضم أجناساً مختلفة ، ولتحقيق هدف الدراسة ، اختيرت عينة كبيرة تضم أولاد وبنات ممن يدرسون ، وطلب منهم الإجابة عن أسئلة ترتبط باتجاهاتهم العقلية ، ثم وزعت استبانة مكونة 20 بند ، أسئلة الاستبانة بها 20 محور ، كل محور به مجموعة من الأسئلة ، حجم العينة : (3551 تلميذاً) 677 تلميذاً 11 سنة ، 611 تلميذاً 10 سنوات ، 1107 تلميذاً 22 سنة ، 1505 تلميذاً 14 سنة .

ويختلف المؤرخون العرب كثيراً في تسميتهم لهذا النوع من أنواع المنهج الوصفي

أطلق عليه اسم دراسات النمو والتطور .

وسمي أيضاً بالدراسة التتبعية .

السبب في الاختلاف بين البحث الوصفي والبحث الوصفي التتبعي:

يتضح سبب الاختلاف بين النوعين من البحوث في النقاط التالية:

- عدم الاتفاق على ترجمة كلمة development لكن مدلولها يشير إلى ذلك النوع من البحوث الذي يطبق بغرض (قياس مقدار التطور أو التغير الذي يحصل بفعل عامل الزمن على استجابة العينة نحو الموقف المطروح.
- وهذا يؤكد تسمية هذا النوع ب(البحث التتبعي)لأنه بالتتبع يمكن معرفة مقدار النمو والتطور أو التغير وأنماطه التي تطرأ على الاستجابة سواء تم قياس ذلك مرة واحدة بواسطة اشتغال العينة على الفئات العمرية المختلفة(المسح المستعرض)،أو عددا من المرات بواسطة تكرار البحث بفترات زمنية متباعدة(المسح الطولي).

أساليب البحث التتبعي :

يمكن تطبيق البحث التتبعي بأحد الأسلوبين::

- 1- المسح المستعرض:وهو ما يطبق لقياس مقدار التطور أو التغير في الاستجابة بشكل غير مباشر ،حيث يجري مرة واحدة بواسطة اختيار عينة ذات فئات عمرية مختلفة ،وبمقارنة استجابة تلك الفئات نحو الموقف المطروح يتضح أثر الزمن على النمو والتطور أو التغير في الاستجابة.

مثال على ذلك:

إذا أراد الباحث أن يعرف أثر الفرق في العمر على استجابة العينة حول عمل المرأة في مجالات معينة لا تتفق مع طبيعتها وقيمها ،فقد يتجه أفراد العينة ذوي الأعمار الشابة إلى التأييد ،بينما يتجه ذوي الأعمار المتقدمة إلى المعارضة..

- وليس الهدف من البحث التتبعي فقط وصف الواقع وإنما التفسير في ظل الوقت الذي أجريت فيه الدراسة. فعندما يهدف الباحث لدراسة مدى حاجة المجتمع لخريجي قسم الإعلام مثلا ،فما يتوصل إليه من نتائج تكون مربوطة بوقت إجراء الدراسة ويتم تفسيرها طبقا لذلك الوقت.

2- المسح الطولي: وهو ما يجري لقياس مقدار النمو والتطور أو التغير في الاستجابة بشكل مباشر ،حيث تجرى الدراسة في أكثر من مرة ،وبمقارنة نتائج الدراسة في المرة الأولى بنتائجها في المرة الثانية مثلا يتضح أثر عامل الوقت في النمو والتطور ،أو التغير في الاستجابة نحو الموقف المطروح.

وللمسح الطولي تصميمات ثلاث هي :

1- دراسة الاتجاه:

يتضح مفهوم دراسة الاتجاه فيما يلي :

تطبق الدراسة على عينة ثم يعاد تطبيقها مرة أخرى ولكن على عينة ثانية على أن يتم اختيار العينتين من مجتمع متغير (أي غير مقيد بأفراد معينين).

فمثلا ،قد يختار عينة من طلاب كلية التربية في الفصل الأول ليسألهم عن رأيهم في نظام الساعات ،ثم يختار عينة ثانية في الفصل الثاني من العام الجامعي ليسألهم الأسئلة ذاتها ،فالأسئلة واحدة ومجتمع البحث واحد لكن اختلفت العينة.

2- دراسة العصبية: وتعنى

أن تطبق الدراسة على عينة ثم يعاد تطبيقها مرة أخرى ولكن على عينة ثانية يتم اختيارهما من مجتمع بحث ثابت (أي مقيد بأفراد معينين).

فمثلا، قد يختار الباحث عينة من طلاب كلية التربية في أول الفصل الدراسي ليسألهم عن رأيهم في نظام الساعات ،ثم يختار عينة ثانية في وسط الفصل الدراسي الأول ليسألهم الأسئلة ذاتها ،وقد يكرر الأسئلة على عينة ثالثة في آخر الفصل الدراسي الأول هنا اختلفت عينة البحث فهي متغيرة.

3- دراسة الجزء:

في هذا التصميم تكرر الدراسة ذاتها على عينة ثابتة (أي مقيدة بأفراد معينين) فمثلا قد يختار الباحث عينة من طلاب كلية التربية في أول الفصل الدراسي ليسألهم عن رأيهم في نظام الساعات، ثم يكرر الأسئلة ذاتها على العينة ذاتها أيضا مرة أخرى في منتصف الفصل الدراسي، وقد يعيدها مرة ثالثة على العينة ذاتها في آخر الفصل الدراسي... وهكذا.

متى يطبق البحث التتبعي؟ عندما يكون الهدف من البحث ما يلي :

- معرفة مقدار النمو والتطور أو التغير الذي يحصل بفعل عامل الزمن على استجابة العينة نحو الموقف المطروح.
- معرفة مدى الثبات والتغير في الاتجاهات السائدة نحو الموقف المطروح بعد مرور مدة من الزمن دون التزام بعينات ثابتة أو مجتمع بحث ثابت.
- معرفة مدى الثبات والتغير في استجابة مجتمع البحث نحو الموقف المطروح بواسطة اختيار عينات مختلفة منه تطبق عليها الدراسة بأوقات مختلفة.
- معرفة مدى الثبات والتغير في استجابة عينة البحث نحو الموقف المطروح بعد مرور مدة من الزمن.

كيف يطبق البحث التتبعي؟

حدد ايزاك ومايكل خطوات تطبيق البحث التتبعي بالخطوات التالية:

- توضيح المشكلة وتحديد أهداف البحث.
- مراجعة الدراسات السابقة .
- تصميم البحث.
- جمع المعلومات.
- تحليل المعلومات وعرض النتائج.

المميزات والعيوب :

- البحث التتبعي له عدة تصميمات، ولكل تصميم منها مميزات وعيوبه -
- فالمسح المستعرض مثلا يفوق المسح الطولي من حيث قلة التكلفة والجهد حيث أنه لا يجري إلا مرة واحدة، وكذلك من حيث ما يتطلبه إجراءاته من وقت قصير. ولكن المسح الطولي يفوقه كثيرا في صدق النتائج التي يتم التوصل إليها

- بواسطته وذلك بسبب المتابعة وقياس أثر الوقت على الإستجابة نحو الموقف المطروح بشكل مباشر..
- إلا أن اتصاف المسح الطولي بهذه الميزة أدى إلى بعض العيوب فعلاوة على ما يتطلبه من وقت وتكاليف باهظة هناك عيوب أخرى.
 - من أهم العيوب العيبين الذين أوردتهما بابي وهما:
 - النقص الطبيعي المصاحب لدراسة الجزء الذي يأتي من عدم مشاركة بعض أفراد العينة - الذين شاركوا في المرة الأولى وفي المرة الثانية إما لعدم الرغبة، أو لعوامل طارئة.
 - صعوبة تحليل المعلومات في دراسة الجزء وذلك بسبب ما يمكن أن يظهر من اختلافات في إجابات العينة في المرة الثانية عن المرة الأولى.
- ولهذا فالبحث التتبعي يعد أسلوباً جيداً للتطبيق من قبل الجامعات ومراكز البحوث لماذا؟
- لأنها تستطيع الاستمرار في هذه البحوث بما لديها من إمكانيات بشرية ومادية.

الدرس السادس منهجية وطرائق جمع البيانات

العنصر الأول: أنواع البيانات في البحوث النوعية – الوثائق والعمل الميداني.

العنصر الثاني: الملاحظة الميدانية غير المقيدة, نسخ المقابلات المسجلة, الوثائق , الصور الفوتوغرافية, المقاييس الغير ظاهرة, الملاحظة المقيدة, المقابلات. الملاحظة الجماعية.

العنصر الأول : أنواع البيانات في البحوث النوعية، الوثائق والعمل الميداني

في البحث النوعي هناك ثلاث طرق أساسية لجمع المعلومات: المقابلة، والملاحظة، ودراسة الوثائق.

أولاً: المقابلة

تعتبر المقابلة من الطرق الرئيسية لجمع المعلومات في البحث النوعي. فعن طريق المقابلة يستطيع الباحث أن يتعرف على أفكار ومشاعر ووجهات نظر الآخرين. كما تمكن هذه الطريقة الباحث من إعادة بناء الأحداث الاجتماعية التي لم تلاحظ مباشرة.

أنواع المقابلة

- 1- **المقابلة المنظمة:** وفيها يتم سؤال المشارك سلسلة من الأسئلة المعدة سلفاً، والتي سبق وحددت أنماط إجابتها، فهناك قدر ضئيل من التنوع في الأجوبة. وقد تستخدم هنا الأسئلة المفتوحة. وفي المقابلات المنظمة يتلقى جميع المشاركين الأسئلة نفسها وبنفس الترتيب والطريقة. ويكون دور الباحث محايداً. وطبيعة هذا النوع من المقابلات يركز على الأجوبة العقلانية وليس على الأجوبة العاطفية.
- 2- **المقابلة غير المنظمة:** وهي مقابلة غير مقننة، ذات أسئلة مفتوحة وعميقة. في المقابلة غير المنظمة، يكون دور الباحث أقرب لمدير الحوار أكثر منه مقابلاً. وهذا النوع يمكن الباحث من فهم تفكير المشارك وسلوكه دون إسقاط فرضيات الباحث السابقة أو تصنيفاته عليه، والتي قد تحد من أقوال المشاركين.
- 3- **المقابلة الجماعية:** هي المقابلة التي يعمل فيها الباحث مع مجموعة من الناس في وقت واحد. في هذا النوع يكون دور الباحث إدارة الحوار وتسهيل جريانه وانسيابيته، ومهمته تسجيل التفاعل الذي يدور بين المشاركين، وهذا يتطلب مهارات في إدارة الحوار وتوجيهه الوجهة المرادة. وقد تكون المقابلة الجماعية منظمة، أو غير منظمة. والمقابلة الجماعية قد تظهر جوانب من الحالة المدروسة ربما لا تظهر في أنواع المقابلات الأخرى، وذلك نتيجة لما يعطيه التفاعل بين آراء المشاركين ومشاعرهم وخبراتهم من إثراء للمقابلة وقدر لأفكار الآخرين من المشاركين. والتسجيل الصوتي من الأشياء المهمة في المقابلة، فلا يكفي أن يسجل الباحث ملاحظاته أثناء المقابلة (وإن كان هذا قد يكون خياراً مناسباً، أحياناً). فالتسجيل يساعد الباحث على إعادة النظر في المعلومات التي قيلت وتأملها مرة أخرى. وقد يكون من المفيد كتابة الملاحظات مع التسجيل الصوتي لتقييد ما قد يلفت انتباه الباحث أثناء المقابلة.

بعد انتهاء من تسجيل المقابلة، من الضروري أن يفرغ نصها كتابة، ليسهل تحليله والتأمل فيه. وفي كثير من الأحيان يكون مفيدا أن يعاد نص المقابلة لمن أجريت معه المقابلة ليعيد قراءة النص ويضيف ما يراه مناسباً أو يوضح ما يحتاج إلى توضيح

ثانياً: الملاحظة

الطريقة الأساسية الثانية لجمع المعلومات في البحث النوعي هي الملاحظة. للملاحظة تاريخ عريق في العلوم الاجتماعية. ولها أهمية كبيرة في البحث التربوي بشكل خاص. فكثير من المواقف التربوية تحتاج إلى أن يقوم الباحث بملاحظتها في وضعها الطبيعي وتسجيل ما يرى ويسمع مما يجري فيها في حياتها اليومية الطبيعية. ففي هذه الطريقة لا يتدخل الباحث في شئون الفئة المراد بحثها، كما في بعض طرق البحث، بل يلاحظ ما يدور فعلاً في الوضع الطبيعي.

والملاحظة قد تكون كمية (منظمة) وقد تكون نوعية غير منظمة. ففي الملاحظة الكمية يقوم الباحث بالملاحظة ويسعى لجمع معلومات رقمية (كمية) غالباً عن طريق أداة معدة سلفاً. فمثلاً يقوم بتسجيل عدد الأسئلة التي يلقيها المعلم، وعدد الطلاب المشاركين في الفصل، أو حساب الوقت الذي يستغرقه المعلم في الحديث، ونحو ذلك. فالملاحظ/الباحث يهتم غالباً بتسجيل أرقام، وقد سبق وأعد نماذج لذلك.

أما الملاحظة النوعية فهي أقل تنظيماً من ذلك، فالملاحظ/الباحث لا يستخدم تصنيفات وأنماط محددة سلفاً، بل يسجل ملاحظاته بشكل طبيعي ومستمر ومفتوح، فيقوم بتسجيل الواقع كما يحدث. والفكرة الأساسية هنا هي أن التصنيف والتوصيف الذي تتعرض له المعلومات الناتجة عن الملاحظة ستظهر بعد جمع المعلومات وتحليلها، بدلاً من أن تفرض تعسفاً على المعلومات أثناء عملية الملاحظة.

وعندما تكون الملاحظة غير منظمة فإن عملية الملاحظة تنشأ من خلال سلسلة من العمليات المختلفة. فتبدأ باختيار الوضع المراد ملاحظته وتحديد طريقة الوصول إليه ثم بدء عملية الملاحظة والتسجيل. ومع تقدم الدراسة أو البحث تتغير طبيعة الملاحظة بحيث تزداد تركيزاً مما يؤدي إلى مزيد من الدقة والوضوح في أسئلة البحث، وهذا بدوره يؤدي أيضاً إلى دقة أكثر في اختيار مواضع الملاحظة. وتستمر الملاحظة وجمع المعلومات حتى يحصل للباحث ما يسمى بالإغراق (التشبع) النظري، وهي الحالة التي يحس فيها الباحث أن الملاحظة لم تعد تأتي بجديد، بل تكرر لما سبق.

ثالثاً: تحليل الوثائق

الطريقة الأساسية الثالثة لجمع المعلومات في البحث النوعي تحليل الوثائق. تعتبر الوثائق التاريخية أو الحديثة مصدراً مهماً للبحث التربوي النوعي. فمن خصائص المجتمع الحديث التوثيق. فالتقارير التي يكتبها المشرفون التربويون كل عام، والتوجيهات التي يدونونها في سجلات المدارس عند زيارتها، وما يكتبه المعلمون والخبراء من تقارير وبحوث وملاحظات، وما يصدر من تقارير وتوجيهات رسمية. بل ما قد يكتبه الطلاب في دروس الإنشاء أو في رسائلهم للمعلمين. كل هذه تعتبر وثائق مهمة للباحث ويستطيع من خلال دراستها وتحليلها التوصل إلى نتائج مهمة ومفيدة. وقد يدخل في تحليل الوثائق - خاصة في بعض أنواع البحث النوعي، مثل البحث الإثنوجرافي - دراسة الصور والأعمال الحرفية اليدوية وكل ما يتعلق بالثقافة وأنماط الحياة الاجتماعية.

مراجعة الوثائق والمستندات

تترك كل الهيئات والمنظمات آثار ودروب تتكون من وثائق وسجلات تتبع تاريخ هذه المنظمات وحالتها الراهنة. وتتضمن هذه المستندات والسجلات المنتجات الورقة المتشابهة مثل التقارير والمذكرات والخطط وملفات الحاسب الآلي والشرائط (السمعية والمرئية) والمنتجات الصناعية الأخرى. ويجب على الباحث الكيفي الرجوع إلى هذه الوثائق والسجلات للحصول على الخلفية الضرورية للموقف ومعرفة ديناميكية الوظائف اليومية. ولا يستطيع الباحث التواجد في كل الأماكن في وقت واحد، ومن هنا تعطى الوثائق والسجلات الباحث وسيلة الوصول إلى المعلومات التي لا يمكن وجودها بغير هذه الوسائل.

تحليل البيانات

مرحلة تحليل البيانات هي المرحلة الحاسمة في البحث النوعي، وهي التي تعطي لهذا النوع ميزته، وتعطيه طعماً خاصاً وممتعاً وتجعله مجالاً للإبداع في التحليل والتركيب. وهي المرحلة التي يتميز فيها الباحث الخبير عن غيره. كما أنها المرحلة التي يختلف فيها البحث النوعي عن البحث الكمي بشكل واضح، ففي البحث الكمي يعتمد التحليل بالأساس على العمليات الإحصائية، بسيطة كانت مثل المتوسطات والتكرارات، أو المعقدة مثل تحليل التباين، بأنواعه، والقياسات المتكررة ونحوها. بينما التحليل في البحث النوعي أكثر عمقاً وأبعد في سبر أغوار الظاهرة المراد بحثه

تنتهي مرحلة جمع البيانات عادة بكم كبير ومتنوع من البيانات، تشمل نصوص المقابلات، والملاحظات الميدانية والتعليقات المبدئية عليها، بالإضافة إلى وثائق متنوعة كثيرة تتعلق بموضوع البحث. ويبدو لأول وهلة أن تحليل المواد المجموعة وتفسيرها واستخراج معانيها أمرا شاقا. وكثيرا ما يجد الباحث المبتدئ نفسه في حالة ذهول - وربما إحباط - أمام هذا الكم الهائل من البيانات. لكنها بالنسبة للباحث الخبير والملم بموضوع بحثه تكون ثروة معلوماتية ومصدرا للإبداع والتعمق في التحليل.

تحليل البيانات هي العملية المنظمة للبحث في نصوص المقابلات والملاحظات الميدانية والمواد الأخرى التي جمعت من خلالها البيانات وتنظيمها لزيادة فهم الباحث لها ولإتقان من تقديم ما اكتشفه للآخرين. ويشتمل التحليل على العمل مع البيانات وترتيبها وتقسيمها إلى وحدات يمكن التعامل معها وتركيبها synthesize بحثا عن أنماط patterns وأنماط واكتشاف ما هو المهم وما يمكن أن يستفاد من تلك البيانات.

متى تبدأ عملية التحليل؟

يبدأ التحليل بشكل أو بآخر مع بداية جمع البيانات بحيث ينتهي تقريبا بعد نهاية جمع البيانات بقليل. وهذا غالبا ما يقوم به الباحثون الميدانيون الخبراء المتمرسون في البحث النوعي. فعملية جمع البيانات لا بد أن يتخللها نوع من التحليل، ولو بشكل مبدئي. أما مرحلة التحليل الخالص فتكون بعد الانتهاء من جمع البيانات. ولذا فمن المرجح أن يقوم الباحث خاصة المبتدئ بالتركيز على جمع البيانات واستكمالها، ثم يتفرغ لعملية التحليل بعد ذلك.

ليس من الجيد بدء عملية التحليل بعد الانتهاء من جمع البيانات مباشرة، بل ربما كان من المفيد ترك البيانات قليلا والانشغال بشيء آخر، وذلك لطرد الملل عن نفس الباحث من ناحية، ولكي يخرج الباحث من جو البحث قليلا لكي لا يقرأ ما في ذهنه أثناء قراءته للبيانات. لكن ليس من الجيد أيضا أن تطول فترة الابتعاد، حتى لا ينسى الباحث السياقات التي جمعت فيها البيانات، والتي تفيد كثيرا في وضع الملاحظات على تلك البيانات.

مراحل تحليل المعلومات

تمر عملية تحليل المعلومات بعدة مراحل تبدأ من تنظيم البيانات لتسهيل الوصول لها إلى كتابة نتائج البحث (أو تقرير البحث). وتتنوع آراء الباحثين في تقسيم هذه المراحل، وتختلف أساليبهم في التحليل، وتختلف تسمياتهم لها بشكل قد يحدث إرباكا للقارئ. ومن خلال التتبع يمكن تحديد عدد من المراحل الأساسية التي يمر بها عادة أغلب الباحثين،

وهي: تنظيم البيانات، وتصنيف البيانات، وتسجيل الملاحظات، وتحديد الأنساق والأنماط، صياغة النتائج، التحقق من النتائج، وأخيرا كتابة تقرير البحث.

مراحل تحليل البيانات

1- تنظيم البيانات

في هذه المرحلة يكون لدى الباحث كم كبير من البيانات، أمضى في جمعة مدة زمنية طويلة، ما بين مقابلة وملاحظة ووثائق وغير ذلك. كما أن لديه كما من الملاحظات الأولية التي سجلها أثناء جمع المعلومات. هذه المعلومات تحتاج إلى تنظيم وترتيب يساعد الرجوع لها بشكل سريع، وعلى التعامل معها بشكل يبسر تحليلها. وليس هناك نمط تنظيم واحد، بل يمكن للباحث أن ينظم البيانات بالشكل الذي يراه مناسباً، فيمكن تصنيفها حسب طريقة جمع المعلومات (الملاحظة أو المقابلة أو الوثائق)، ويمكن تصنيفها على حسب الأفراد الذين أجري عليهم البحث، أو غير ذلك بما يراه الباحث ملائماً له وللأسلوب الذي سينتجه في التحليل. ويمكن أن يتم هذا التنظيم بشكل يدوي، عن طريق وضعها في ملفات، أو يمكن الاستفادة من الحاسب في تصنيفها وفهرستها. وهناك برامج حاسوبية مخصصة للبحث النوعي تساعد على عمليات تنظيم البيانات وتحليلها، لكن حسب علمي لا يوجد شيء منها معرب.

2- تصنيف البيانات

في القراءة الأولية للبيانات يبدأ الباحث في تسجيل نظام تصنيف يسير عليه أثناء التحليل. وهذا النوع من التصنيف هو عبارة عن إعطاء عناوين للمعلومات التي تحتويها البيانات المجموعة. وهذه الجزئيات قد تكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة كاملة. فهذا التصنيف يكون عنوان أو اسم لتلك الجزئيات التي يرى الباحث أنها ذات معنى في بحثه. وبعض الباحثين يسمي هذا النوع من التصنيف (التصنيف المفتوح)، وقد يسمى (التصنيف الوصفي). وأسئلة البحث عامل أساس في تحديد وتوجيه نظام التصنيف.

3- تسجيل الملاحظات

بعد هذا التصنيف، يجب أن يعيد الباحث القراءة ويسجل ملاحظاته بعد أن استقر في ذهنه هيكل مبدئي لهذا النظام التصنيفي، أي بعد أن أعطى عنواناً مميزاً لكثير من جزئيات البيانات التي لديه، وبدأت تظهر لديه نقاط تمثل معالم وإن كانت باهتة لمعان في بداية التكون، لم تكن ظاهراً عند الجمع الأولي للمعلومات. وتكون هذه الملاحظات على شكل أسئلة تؤدي إلى مزيد من البحث سواء في المعلومات المتوفرة أو للبحث عن معلومات إضافية، أو على شكل تسجيل علاقات بين الفئات التي وضعت، لكنها تحتاج

إلى تحقق. وكلما تكررت القراءة زاد احتمال اكتشاف شيء جديد في البيانات، ولذا فإن الباحث يجب أن يكثر من قراءة بياناته ولا يكتفي بالقراءة أو القراءتين. وفي هذه المرحلة يستطيع الباحث أن يحدد ما إذا كانت العينة التي حددها مرضية وتفي بغرض البحث أم لا. فكلما كثرت الأسئلة دون إجابات أو تعذر بناء نظام تصنيفي جيد كان ذلك مؤشرا على نقص العينة والحاجة لمزيد من البيانات.

4- تحديد الأنساق والأنماط

تحديد الأنساق والأنماط نوع من التصنيف، لكنه يكون على مستوى أعلى من التجريد، ولذا قد يسميه بعض الباحثين التصنيف المحوري axial coding ، لأنه يجعل الفئات تدور على محور واحد، وقد يسميه آخرون أسر التصنيف coding families ، لأنه يجمع عدد من الفئات في أسرة واحدة. وقد يسمى التصنيف الاستنتاجي (في مقابل التصنيف الوصفي). فبعد أن يتم التصنيف المفتوح، ويتم وضع الملاحظات عليها تعاد قراءة البيانات المصنفة، لتصنف الفئات مرة أخرى على شكل أنماط وأنساق في مستوى تجريدي أعلى من التصنيف المفتوح الذي هو عبارة عن عناوين لجزيئات المعلومات. وهذا النوع من التصنيف يحتاج إلى تفكير عميق وقراءة متأنية، لإيجاد علاقات وعمل مقارنات بين مجموعات البيانات، بحيث يحدد الباحث ما هي الأنماط والأنساق التي تكونت من تصنيف البيانات، ويبدأ في ضم بعضها لبعض والمقارنة بين تلك الأنساق والأنماط.

5- صياغة النتائج

بعد تكون الأنماط والأنساق يحتاج الباحث إلى الترقى قليلا في التجريد، ليصوغ تلك الأنماط والأنساق على شكل نتائج للبحث، تدعمها الأنساق التي ظهرت وتشكلت من خلال التصنيف الأساسي المفتوح. وبعض الباحثين يسمي هذه المرحلة التصنيف الانتقائي، وذلك لأن الباحث يختار في عملية التصنيف هذه ما يتناسب مع أسئلة بحثه، وربما يدع ما سوى ذلك. والنتائج في هذه المرحلة تبقى على شكل افتراضات propositions.

6- التحقق من النتائج

في هذه المرحلة يعود الباحث لقراءة بياناته وربما عاد للدراسات السابقة وأدبيات موضوع الدراسة، للتحقق من النتائج التي توصل إليها، ومناقشتها، وتعديل ما يرى تعديله أو بيان رأيه فيها. وهو في هذه المرحلة يتأكد من أن ما توصل إليه بعد عمليات التصنيف المختلفة لا يوجد في البيانات الأساسية ما يناقضه، أو يجعله يعيد النظر في

الافتراضات التي توصل إليها. وعلى عكس ما هو موجود في البحث الكمي، يجب أن يكون التركيز على الدراسات السابقة وأدبيات الموضوع في هذه المرحلة، وليس قبل البحث، حتى لا تؤثر على آراء الباحث، وأسلوبه في التحليل. والتحقق في هذه المرحلة ليس مثل التحقق في البحث الكمي، حيث يدخل الباحث بفرضيات يريد أن يختبرها، فالافتراضات في البحث النوعي إنما خرجت من عملية التحليل وليس قبله، وعملية التحقق منها إنما هي في الواقع جزء من عملية التحليل.

وعملية التحليل عملية متداخلة المراحل، وتستمر إلى آخر لحظة في كتابة تقرير البحث. ولذا يشير بعض الباحثين في البحث النوعي إلى أن البحث النوعي ليس له حد ينتهي عنده، خاصة عندما يكون موضوع البحث كبيراً ومعلوماته غزيرة والباحث خبيراً فيه. فلا بد من وضع حد يقرر الباحث أن ينتهي عنده البحث

العنصر الثاني : الملاحظة الميدانية غير المقيدة، نسخ المقابلات المسجلة، الوثائق ، الصور الفتوغرافية، المقاييس الغير ظاهرة، الملاحظة المقيدة، المقابلات. الملاحظة الجماعية.

تعريف الملاحظة لغة:

يشير لفظ الملاحظة لغوياً إلى النظر إلى الشيء الملاحظ بمؤخر العينين دلالة على التدقيق، فهي المعاينة المباشرة للشيء أو مشاهدته على النحو الذي هو عليه و يقال كذلك لاحظه أي رآه و على ذلك تعني الملاحظة المشاهدة.

فكل منا يهتدي في سلوكه اليومي بما يلاحظ من ظواهر في حياته فالطفل في نشأته الاجتماعية يتعلم ملاحظة و مشاهدة ما يدور حوله من أحداث و ما يبدو على وجوه المحيطين من تعبيرات و رئيس العمل يلاحظ و يشاهد سلوك مرؤوسيه، و منذ أقدم العصور انشغل الكتاب و الشعراء بوصف ما يشاهدونه.

المعنى الاصطلاحي للملاحظة

تعني الاهتمام أو الانتباه إلى الشيء أو حدث أو ظاهرة بشكل منظم عن طريق الحواس حيث نجمع خبراتنا من خلال ما نشاهده أو نسمع عنه، و الملاحظة العلمية تعني الانتباه للظواهر و الحوادث بقصد تفسيرها و اكتشاف أسبابها و الوصول إلى القوانين التي تحكمها.

و تعتبر الملاحظة من أهم الأدوات المستخدمة في الدراسات الوصفية و تكمن أهمية تلك الأداة في جمع البيانات المتعلقة في كثير من أنماط السلوك التي لا يمكن دراستها إلا بواسطة تلك الأداة، كما أن الملاحظة المباشرة يمكن استخدامها في بحث وصفي،

لدراسة سلوك الأطفال و تصرفاتهم عندما يجتمعون بهدف اللعب، حيث يهدف لاكتشاف قدراتهم الحركية و المعرفية و الوجدانية أثناء ممارستهم لنشاط و تعد الملاحظة من بين التقنيات المستعملة خاصة في الدراسة الميدانية لأنها الأداة التي تجعل الباحث أكثر اتصالاً بالبحوث، و الملاحظة العلمية تمثل طريقة منهجية يقوم بها الباحث بدقة تامة وفق قواعد محددة للكشف عن تفاصيل الظواهر و لمعرفة العلاقات التي تربط بين عناصرها و تعتمد الملاحظة على قيام الباحث بملاحظة ظاهرة من الظواهر في ميدان البحث أو الحقل أو المختبر، و تسجيل ملاحظاته و تجميعها أو الاستعانة بالآلات السمعية البصرية.

أنواع الملاحظة:

يمكن تمييز نوعين من الملاحظات هما:

1- الملاحظة البسيطة أو الفجة:

وتطلق على الملاحظات السريعة التي يقوم بها الإنسان في حياته العادية، و ترتبط بالنظر و الاستماع لموقف محدد دون المشاركة الفعلية فيه، كملاحظة أداء أشخاص لمهمة معينة أو عند اجتماع معين و ما شابه ذلك. و هي ملاحظة عرضية لا تهدف إلى الكشف عن حقائق و هي تأتي دون ضبط علمي أو اتخاذ إجراءات معينة أو استخدام أجهزة أو أدوات قياس دقيقة لتحديد أبعاد أو سمات الظاهرة المدروسة و تتضمن صوراً مبسطة من المشاهدة و الاستماع، و يقوم الباحث فيها بملاحظة الظواهر و الأحداث كما تحدث تلقائياً في ظروفها الطبيعية دون إخضاعها للضبط العلمي، و هذا النوع من الملاحظة مفيد في الدراسات الاستطلاعية التي تهدف إلى جمع بيانات أولية عن الظواهر و الأحداث تمهيداً لدراساتها دراسة متعمقة و مضبوطة في المستقبل.

و من أمثلة الملاحظات البسيطة أو الفجة ما توصل إليه "غاليلي" لقانون سقوط الأجسام حيث اتضح له أن وزن الأجسام لا يمثل السبب في سرعة سقوطها، كما أن "نيوتن" توصل إلى نظرية الجاذبية من ملاحظة سقوط تفاحة من فوق الشجرة، و الملاحظة البسيطة تتم بإحدى الطريقتين التاليتين:

***الملاحظة دون مشاركة:** و هي التي يقوم فيها الباحث بالملاحظة دون أن يشترك في أي نشاط تقوم به الجماعة، و هي التي يلعب فيها الباحث دون المتفرج أو المشاهد بالنسبة للظاهرة أو الحدث موضوع الدراسة، فالباحث يكون بعيداً عن الظاهرة موضوع البحث قدر الإمكان كأن يقوم الباحث بمشاهدة نشاط جماعة من الأفراد باستخدام الفيديو أو يستمع إلى أحاديثهم من وراء ستار.

و تمتاز هذه الملاحظة بالموضوعية لعدم تأثر الباحث بالظاهرة الملاحظة ، و لكن يعاب عليها أنها تجعل من الصعب على الباحث أن يتفهم حقيقة الموقف أو أن يدرك الموضوع من كافة جوانبه لأنه لا يستطيع أن يقرأ المعاني التي تتضمنها تصرفاتهم و حركاتهم و تعابير وجوههم.

***ملاحظة المشاركة:** يقوم الباحث من خلال هذه الطريقة من الاشتراك المباشر في إطار عملية الملاحظة في وقت معين أو في موقف معين من أحداث و مواقف الملاحظة..

و هي الملاحظة التي يقوم فيها الباحث بدور العضو المشارك في حياة الجماعة التي ينوي ملاحظتها، و يعيش معهم و يشاركهم في كافة نشاطاتهم و مشاعرهم و يأكل ما يأكلون و يعمل كما يعملون، و من ضروريات نجاح هذا النوع من الملاحظة أن لا يكشف الباحث عن نفسه حتى يظل سلوك عينة الدراسة طبيعيا و عفويا و دون أي تكلف أو ارتياب و من أمثلة ذلك الدراسات التي يقوم بها بعض علماء الاجتماع للقبائل البدائية أو عصابات الإجرام أو الأحزاب السياسية أو السجون أو المستشفيات التي تتضمن دخول الباحث إلى هذه الجماعات و انتمائه إليها كعضو فعال دون أن تعلم الجماعة حقيقة هويته.

و من مميزات هذا النوع من الملاحظة أنها تسمح للباحث بملاحظة السلوك بصورة أكثر عفوية و بدرجة أبعد ما تكون عن التكلف أو التصنع، و أن يتفهم سلوك الأفراد بشكل أدق و أن يقرأ المعاني التي ترتسم على وجوه الأفراد، و أن يناقش موضوعات حساسة لا يجراً الباحث الغريب عن الجماعة أن يطرحها و يوجه إلى هذا النوع من الملاحظة بعض الانتقادات من أهمها احتمال التحيز في البيانات المجموعة نتيجة اندماج الباحث فيها و كذلك تعرض الباحث إلى مخاطر عديدة إذا انكشف أمره من قبل الجماعة بالإضافة إلى المهارات التي تتطلبها كالقدرة على الدخول في الجماعة دون إثارة شكوك أو مخاوف.

و تحتاج الملاحظة البسيطة أو الفجة إلى:

- تقرير نوع التفسير الذي يرتبط بالملاحظة بصورة تحقق أهداف الدراسة.
- حسن اختيار الطريقة المناسبة لتكوين العلاقات بين أجزاء الملاحظة أو بينها و بين غيرها من الملاحظات الأخرى.
- الابتعاد عن التحيز لأي عنصر من عناصر الملاحظة.

2- **الملاحظة العلمية أو المنظمة:** يعتبر هذا النوع امتدادا طبيعيا للملاحظة البسيطة إذ يصمم طبقا لخطة موضوعية و يستخدم الكثير من الأدوات و الإجراءات التجريبية و تهدف الملاحظة العلمية إلى تحقيق فرض علمي محدد، كما توجه للكشف عن تفاصيل الظواهر و العلاقات التي تتواجد بينها بطريقة ضمنية غير ظاهرة أو بينها و بين الظواهر الأخرى.

و تختلف الملاحظة العلمية عن الملاحظة البسيطة في الدقة و توقع الهدف المراد تحقيقه، كما تخضع لضوابط معينة تحقق ثباتها و صدقها أي أن العقل البشري يقوم فيها بنصيب كبير في ملاحظة الظواهر و تفسيرها و بذلك لا تقتصر الملاحظة العلمية على مجرد الحواس كما هو الحال في الملاحظة البسيطة بل يجب المشاركة الفعلية لجمع أكبر قدر من البيانات اللازمة للدراسة.

وبذلك تخضع الملاحظة العلمية للضبط العلمي سواء كان ذلك بالنسبة للملاحظ أو بالنسبة لعناصر الملاحظة، أو بالنسبة للموقف الذي تجرى فيه، كما تنحصر الملاحظة العلمية على مجالات محددة سلفا و ينتشر استخدام الملاحظة العلمية في الدراسات الميدانية أو دراسات الحالات التي تفترض فروضا سببية و يمكن أن يتناول فحوى الملاحظات العلمية باستخدام الأسلوب الإحصائي و من أمثلة الملاحظات العلمية دراسة ظاهرة معينة أو سلوك معين أو قرار ما.

و يمكن تقسيم أنواع الملاحظة حسب ما يلي :

*حسب درجة الضبط:

1- ملاحظة بسيطة.

2- الملاحظة المنظمة.

*وفقا لدور الباحث:

1- ملاحظة المشاركة.

2- ملاحظة غير مشاركة.

***الملاحظة المباشرة و غير المباشرة:**

1- **الملاحظة المباشرة:** و تتم حين يقوم الباحث بملاحظة سلوك معين من خلال اتصاله مباشرة بالأشخاص أو الأشياء التي يدرسها مثل ملاحظة الطلبة في الواقف الصفية أو ساحة المدرسة. (جودت عزت عطوي، 2007، ص ص 121-123)

2-الملاحظة غير المباشرة: و تتم حين يتصل الباحث بالسجلات و التقارير و المذكرات التي أعدها الآخرون مثل الاطلاع على سجلات الطلبة التراكمية و ما تحتويه من بيانات تحصيلية و اجتماعية.

***الملاحظة المفتوحة و الملاحظة المقيدة:**

1-الملاحظة المفتوحة: و تعني بجميع المعلومات و البيانات الخاصة بموضوع معين.

2- الملاحظة المقيدة:و تكون مقيدة بمجال أو موقف معين و مقيدة ببند أو فقرات معينة تخص هذا المجال أو الموقف مثل: ملاحظة الأطفال في مواقف اللعب أو أثناء تفاعلهم الاجتماعي.

***الملاحظة الداخلية و الخارجية:**

1-الملاحظة الداخلية: هي ملاحظة الشخص نفسه لنفسه و هي ذاتية و ليست موضوعية و لا يستطيع الأطفال الصغار القيام بها.

2-الملاحظة الخارجية:و يكون هدفها تتبع سلوك شخص معين من قبل أشخاص (أي غير الشخص الذي تتم ملاحظته).

أدوات الملاحظة

يمكن للباحث أن يستخدم أكثر من أداة لجمع المعلومات بالملاحظة و لعل أهم هذه الأدوات:

*قوائم الشطب:هي عبارة عن قائمة مكونة من فقرات ذات صلة بالسمة أو الخاصية المقاسة،وكل فقرة تتضمن سلوكا بسيطا يخضع لتقدير ثنائي مثل (نعم/لا)،(أوافق/أعارض)..الخ و قد تكون الفقرات في القائمة مرتبة منطقيا أو عشوائيا و ذلك حسب السمة المقاسة.

***سلالم (مقاييس) التقدير:** تخضع كل فقرة لتدريج من عدة فئات أو مستويات مثل دائما،أحيانا، غالبا، نادرا، مطلقا) و يوضع تقدير الفرد تحت الفئة التي تنطبق عليه.

***السجلات اليومية:** تعد السجلات و اليوميات في بعض الأحيان مصادر جاهزة للمعلومات مثل الإحصاءات المتوافرة عن الأفراد في ملفات المؤسسة التي ينتسبون إليها و دور الباحث هنا لا يتعدى نقل المعلومات الجاهزة و إعادة تبويبها بالشكل الذي يحدده.

***مقاييس العلاقات الاجتماعية(السوسيومترية):** تستخدم هذه المقاييس في تقييم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ،حيث يطلب من كل فرد في مجموعة معينة أن يختار عددا من الرفاق في تلك المجموعة أو ملاحظة الأفراد الذين يتكرر التعامل معهم في

نشاطات معينة، و في ضوء تكرار اختيار كل فرد من قبل الآخرين و التعرف على خصائصه يمكن رسم الخطط للبرامج المتعلقة بتلك المجموعة.

عوامل و شروط إجراء الملاحظة:

إجراءات الملاحظة:

تتلخص إجراءات الملاحظة في النقاط التالية:

***تحديد السلوك الذي سوف يلاحظ و أبعاه:** و هي تحديد المعلومات المطلوبة بالضبط و كذلك تجهيز الأدوات اللازمة للتسجيل و تحديد الزمان و المكان الذي تتم الملاحظة مثلاً : إذا أراد الباحث دراسة التفاعل اللفظي بين العلم و طلابه فانه يختار غرفة الصف مكاناً للملاحظة و يختار موعد الحصة زماناً لها.

***إعداد دليل الملاحظة:** و يفيد في تحديد عينات السلوك التي تلاحظ، و يحتوي على معلومات و معلومات عن الأسرة و الحالة الجسمية و الصحة العامة و القدرات العقلية و التحصيل الدراسي و سمات الشخصية و مميزات السلوك الاجتماعي و الانحراف النفسي.

***اختيار عينات سلوكية ممثلة للملاحظة:** يجب اختيار عينات متنوعة و متعددة و شاملة و ممثلة لأكبر عدد من مواقف الحياة المختلفة في أوقات مختلفة و في مناسبات مختلفة، و في مواقف فردية و أخرى جماعية.. الخ حيث تعطي صورة متكاملة و واضحة لسلوك المفحوص فمن الملاحظ أن المفحوص قد يكون خجولاً في موقف ما و رائداً و خطيباً في موقف آخر و هكذا، و هنا يجب مراعاة انتقاء السلوك ذي الدلالة و الذي يؤدي إلى إعطاء صورة أوضح لشخصية المفحوص.

***إعداد بطاقة الملاحظة:** ليسجل عليها الباحث ملاحظاته مثال: إذا أراد الباحث أن يلاحظ تفاعل الطلاب مع المعلم فانه يعد بطاقة ملاحظة تحوي: مدة كلام المعلم بالدقائق، مدة كلام الطلاب بالدقائق، التوجيهات التي يصدرها المعلم، أنماط المدح و العقوبة.. الخ و بذلك يختصر الباحث وقت التسجيل ليفرغ نفسه إلى متابعة الملاحظة.

***عملية الملاحظة:** و تجري حيث يتم ملاحظة مفحوص واحد في الوقت الواحد و في حالة ملاحظة سلوك الجماعة يستحسن استخدام الأفلام و الشرائط التسجيلية.

***التأكد من صدق ملاحظته:** ويتم عن طريق إعادة الملاحظة أكثر من مرة و على فترات متباعدة و إجراء مقارنة مع باحث آخر في نفس المجال.

***التسجيل:** تسجيل الملاحظة وفيها طريقتان: الأولى : التسجيل الزمني للحوادث وترتيبها من زمن وقوعها، والثانية : تنظيم المادة الملحوظة في موضوعات أو فئات معينة.

***التفسير:** استخلاص نتائج الملاحظة والتوصيات هي من أهم خطوات الملاحظة، ويقوم الباحث باستخلاص النتائج التي تؤكد صدق الفروض أو عدم صدقها.

شروط إجراء الملاحظة

للملاحظة شروط يجب مراعاتها ضماناً لنجاحها وتتمثل في:

***الشمول:** وهو شمول الملاحظة لعينات متنوعة في سلوك المفحوص التي توضح تفاصيل إيجابيات و سلبيات و نقاط القوة و نقاط الضعف بها يغطي الجوانب المختلفة لشخصيته.

***الانتقاء:** يقصد بها انتقاء السلوك المتكرر أو الثابت نسبياً و الاهتمام بملاحظة و تمييزه عن السلوك العارض.

***أمر عام:** تشمل سرية المعلومات التي يتم الحصول عليها ، و البعد عن الذاتية و الآراء الشخصية عند تسجيل و تفسير السلوك الملاحظ و الدقة في إجراء الملاحظة كذلك يحتاج نجاح الملاحظة إلى خبرة و تدريب في دراسة و ملاحظة السلوك البشري.

أسس و مستويات الملاحظة العلمية:

تنهض الملاحظة العلمية على أساس مستويات أساسية هي: الانتباه، الإحساس، الإدراك ***الانتباه:** هو حالة من اليقظة أو هو حالة تأهب عقلي يمارسها الملاحظ حتى يحس أو يدرك مختلف الوقائع أو الظروف محل الملاحظة و هو أهم الشروط الواجب توافرها للملاحظة الناجعة.

***الإحساس:** هو خبرة تنقلها الحواس إلى المخ فيرجعها إلى طعم أو رائحة أو لون أو صوت أو صورة لذلك فإن التغيرات التي تلحق بالظاهرة الملاحظة تنثير حواس الملاحظ.

***الإدراك:** قلنا أن الإحساس هو نتيجة مباشرة لاستثارة الحواس تنتج عنه معلومات م، و لكن هذه المعلومات تصبح بلا قيمة حقيقية إلا إذا تم تفسيرها عن طريق الإدراك الذي هو في رأي "فان دالين" فن الربط بين ما يحسه الملاحظ و بين بعض خبراته الماضية.

مجالات و أبعاد الملاحظة:**مجالات استخدام الملاحظة:**

توجد مجالات موضوعية كثيرة و خاصة في العلوم الاجتماعية المختلفة يزداد فيها استخدام أسلوب الملاحظة و من هذه المجالات مايلي:

*التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية: وهي دراسة أنماط التفاعل في الحياة الأسرية كمايستخدم علماء الاثنوجرافيا الملاحظة في دراسة المجتمعات المحلية الهامة في مجال البحث.

*الدراسات السيسولوجية المقارنة:هي من الدراسات السوسولوجية ومن أمثلتها الدراسات التي تجري على السجون والمنظمات الصناعية.

*الجماعات غير الرسمية: تستخدم الملاحظة فيها بنجاح واستخدمت في دراسة جماعات العمل في المجال الصناعي.كدراسة ألتون مايو وزملاؤه على مصنع هاوثرن وتوصلوا من خلالها إلى وجود بناء غير رسمي داخل الجماعات وله تأثير على العملية الانتاجية.

*الدراسات الاستكشافية: تستخدم بشكل فعال في المراحل التمهيديّة للبحوث الاجتماعية بهدف الاستطلاع على بعض الجوانب الظاهرة الاجتماعية.

*الدراسات السيكولوجية: وهي من المجالات الخصبة التي تستخدم فيها الملاحظة كملحق سلوك الأطفال أثناء اللعب وتستخدم في علم النفس التجريبي.

قيمة الملاحظة:

تزداد قيمة الملاحظة في الحالات التي لا يتيسر فيها استخدام غيرها من طرق القياس مثل: الحل الجماعي للمشكلات أو التفاعل الاجتماعي في لعب الأطفال، و ذلك لأنه ليس من السهل أن نقاطع جماعة لنسأل الأعضاء عن فترات عن مشاعر نحو طريقة ادارة الاجتماع.فذلك مضيعة للوقت و من ناحية أخرى فانه يصعب استخدام الملاحظة في بعض الحالات مثل صعوبة التنبؤ مسبقا بسلوك المبحوث.

إرشادات الملاحظة الجيدة:

○ يجب أن يقف الملاحظ على كل جوانب وإبعاد الظاهرة وموضوع الملاحظة

والعوامل المؤثرة فيها.

○ على الملاحظ تحديد وحدات ملاحظته ومعرفة انسبالمواقف التي تظهر فيها هذه

الأحداث.

○ ينبغي أن يكون الملاحظ متمتع بحواس سليمةتمكنه من الملاحظة بدقة.

- يجب أن يتحرر الباحث من أفكار لديه سابقة عن موضوع الملاحظة أي لا تسيطر عليه أفكار معينة مسبقة قد تخالف ما هو موجود في الواقع.
- الاستعانة بالآلات الأجهزة الحديثة التيتمكنه من تحقيق ملاحظة دقيقة.
- تحديد مشكلة البحث من حيث الحجم والأبعاد والأهمية والأهداف.
- تحديد إطار الملاحظة :أي تحديد وحدة الملاحظة فرد، جماعة، مجتمع.. زمن الملاحظة ومكانها والجوانب التي يراد ملاحظتها.
- اختيار الملاحظين وتدريبهم: هو المسئول الأول عن نتائج الملاحظة سلبا أو إيجابا ولهذا يجب اختيار الملاحظ بأهمية كبيرة، وهناك بعض الخطوات ينبغي أن يسير عليها برنامج تدريب الملاحظين أهمها:
- تعرف الملاحظين بالمشكلة.
- تدريب الملاحظين على كيفية تسجيل الملاحظة.
- التدريب النظري والمبدئي على عملية الملاحظة وتسجيلها.
- لتسجيل الملاحظة وفيها طريقتان: الأولى : التسجيل الزمني للحوادث وترتيبها من زمن وقوعها، والثانية : تنظيم المادة الملحوظة في موضوعات أو فئات معينة.
- تفريغ الملاحظة بعد التسجيل: يقوم الملاحظ بتفريغ الملاحظة وفقا للفئات أو البنود المتفق عليها من قبل، ولكي يسهل عليه بعد القيام بعملية التحليل الكمي.
- تحليل بيانات الملاحظة وتفسيرها.
- استخلاص نتائج الملاحظة والتوصيات هي من أهم خطوات الملاحظة، ويقوم الباحث باستخلاص النتائج التي تؤكد صدق الفروض أو عدم صدقها.
- كتابة تقرير الملاحظة: هي الخطوة النهائية في إجراء الملاحظة.
- قيام أكثر من باحث بملاحظة موقف ما ،مستخدم نفس الأسلوب والأدوات.
- يقوم الملاحظ بإعادة ملاحظته لموضوع الملاحظة بنفس الأسلوب الذي استخدمه في المرة الأولى وإيجاد معامل صدق.

مزايا و عيوب الملاحظة:

مزايا الملاحظة:

- *الملاحظة هي الأداة الوحيدة التي يمكن من خلالها دراسة سلوك أفراد الجماعة بشكل تلقائي تحريف.

*تفيد في التعرف على بعض جوانب الحياة الاجتماعية بشكل فعال كالعادات الاجتماعية وغيرها من الموضوعات التي يفضل استخدام الملاحظة في دراستها دون غيرها من أدوات البحث الاجتماعي.

*تفيد في الحصول على بعض المعلومات والبيانات حول موضوع الدراسة. باستخدام الملاحظة لدراسة موضوعات تربوية بشكل علمي وموضوعي من باحث قدير على التمييز بين الأحداث والمشاهدات والربط بينها، ودقيق في تدوين الملاحظات فإنها تحظى بالمزايا الآتية:

- 1- أنها أفضل طريقة مباشرة لدراسة عدّة أنواع من الظواهر؛ إذ أنّ هناك جوانب للتصرفات الإنسانية لا يمكن دراستها إلا بهذه الوسيلة.
- 2- أنها لا تتطلب جهوداً كبيرة تبذل من قبل المجموعة التي تجري ملاحظتها بالمقارنة مع طرق بديلة.
- 3- أنها تمكّن الباحث من جمع بياناته تحت ظروف سلوكية مألوفة.
- 4- أنها تمكّن الباحث من جمع حقائق عن السلوك في وقت حدوثها.
- 5- أنها لا تعتمد كثيراً على الاستنتاجات.
- 6- أنها تسمح بالحصول على بيانات ومعلومات من الجائز ألا يكون قد فكّر بها الأفراد موضوع البحث حين إجراء مقابلات معهم أو حين مراسلتهم لتعبئة استبانة الدراسة.

عيوب الملاحظة:

ومع وجود المزايا السابقة فهناك عيوب للملاحظة تتصل بجانبها التطبيقي وبمقدرة الباحث أبرزها ما يأتي:

- 1- قد يعتمد الأفراد موضوع الملاحظة إلى إعطاء الباحث انطباعات جيّدة أو غير جيّدة؛ وذلك عندما يدركون أنهم واقعون تحت ملاحظته.
- 2- قد يصعب توقّع حدوث حادثة عفوية بشكل مسبق لكي يكون الباحث حاضراً في ذلك الوقت، وفي كثير من الأحيان قد تكون فترة الانتظار مرهقة وتستغرق وقتاً طويلاً.
- 3- قد تعيق عوامل غير منظورة عملية القيام بالملاحظة أو استكمالها.
- 4- قد تكون الملاحظة محكومةً بعوامل محدّدة زمنياً وجغرافياً فتستغرق بعض الأحداث عدّة سنوات أو قد تقع في أماكن متباعدة ممّا يزيد صعوبة في مهمّة الباحث.
- 5- قد تكون بعض الأحداث الخاصة في حياة الأفراد ممّا لا يمكن ملاحظتها مباشرة.
- 6- قد تميل الملاحظة إلى إظهار التحيز والميل لاختيار ما يناسب الباحث أو أنّ ما يراه غالباً يختلف عمّا يعتقده.

- 7- لا يمكن استخدام الملاحظة في دراسة أشياء قد حدثت في الماضي بشكل مباشر.
- 8- صعوبة التنبؤ بما سوف يحدث في المستقبل من أنماط مختلفة من السلوك يفرض البيانات التي يتحصل عليها الباحث من خلال استخلاصه لبعض الآلات التي ينتج عنها عيوب في هذه الآلات واهتمامها على دقة الملاحظة.

تعريف المقابلة

يقصد بالمقابلة "حوار يتم بين شخصين، المقابل وهو الشخص الذي يجري المقابلة والمقابل (بفتح الباء) وهو الشخص الذي تُجرى له المقابلة، وذلك بهدف استئثار معلومات المبحوث أو آرائه أو مواقفه ذات الصلة بمشكلة بحثية معينة."

كما تعرف المقابلة، بأنها "حادثة بين شخصين، يبدأها الشخص الذي يجري المقابلة بهدف الحصول على معلومات وثيقة الصلة بالبحث."

وتعرف أيضاً، بأنها عملية مقصودة، تهدف إلى إقامة حوار فعال بين الباحث والمبحوث، للحصول على بيانات ذات صلة مباشرة بمشكلة البحث.

أنواع المقابلة :

تتنوع المقابلات كأدوات للبحث التربوي، وتصنف بطرق عديدة، وهي :

أ - تصنيف المقابلات وفقاً للموضوع :

- مقابلات بؤرية، وتركز على خبرات معينة أو مواقف محددة وتجارب مر فيها المبحوث، من مثل: حدث سار أو أزمة معينة.
- مقابلات عيادية، وتركز على المشاعر والدوافع والحوافز المرتبطة بمشكلة معينة، من مثل: مقابلات المعالج النفسي للمرضى.

ب - تصنيف المقابلات وفقاً لعدد الأشخاص :

- مقابلة فردية أو ثنائية، ويلجأ الباحث لهذا النوع إذا كان موضوع المقابلة يتطلب السرية، أي عدم إحراج المبحوث أمام الآخرين.
- مقابلة جماعية، وتتم في زمن واحد ومكان واحد، حيث يطرح الباحث الأسئلة وينتظر الإجابة من أحدهم، وتمثل إجابته إجابة المجموعة التي ينتهي إليها. كما أنه في بعض الأحيان يطلب من كل فرد في المجموعة الإجابة بنفسه، وبالتالي يكون رأي المجموعة عبارة عن مجموع استجابات أفرادها.

ج - تصنيف المقابلات وفقاً لعامل التنظيم :

- مقابلة غير مقننة (مفتوحة)، وتمتاز بأنها مرنة، يُعطى فيها المبحوث التحدث عن أي جزئية تتعلق بمشكلة البحث دون قيد، كما أن للباحث الحرية في تعديل أسئلته التي سبق وأن أعدها، أو زيادة مدة المقابلة أو إنقاصها.
- مقابلة مقننة (مقيدة)، وتتصف بأنها محددة من حيث الأهداف والأسئلة والأشخاص والزمن والمكان. حيث تتم في زمن واحد ومكان واحد، وتطرح الأسئلة بالترتيب وبطريقة واحدة ولمدة زمنية محددة.

د - تصنيف المقابلات وفقاً لطبيعة الأسئلة :

- مقابلات ذات أسئلة مقفلة وإجابات محددة، من مثل: (نعم/ لا) أو اختيار من متعدد.
 - مقابلات ذات أسئلة مفتوحة، تحتاج للشرح والتعبير عن الرأي دون قيود أو إجابات محددة سلفاً .
- مقابلات ذات أسئلة مقفلة مفتوحة، وهي تمزج بين النوعين السابقين.

هـ - تصنيف المقابلات وفقاً للغرض منها :

- مقابلة استطلاعية مسحية، بهدف جمع بيانات أولية حول المشكلة.
- مقابلة تشخيصية، أي تحديد طبيعة المشكلة، والتعرف على أسبابها ورأي المبحوث حولها.
- مقابلة علاجية، أي تقديم حلول لمشكلة معينة.
- مقابلة استشارية، بهدف الحصول على المشورة في موضوع معين.

إجراءات المقابلة :

يتبع الباحث إجراءات معينة عند استخدامه المقابلة كأداة لجمع البيانات المطلوبة من المبحوث، وهي :

- الإعداد السابق للمقابلة، من حيث تحديد المجالات الأساسية التي تدور حولها، وإعداد الأسئلة المناسبة، والأداة التي تستخدم في تسجيل البيانات، وتحديد مكان المقابلة وزمنها، وتحديد أفراد المقابلة.
- تكوين علاقة ودية مع المبحوث، وكسب ثقته، وذلك عن طريق تعريف الباحث بنفسه، وشرح الهدف العام للمقابلة، وتوضيح سبب اختيار المبحوث، وإقناع المبحوث بأن

البيانات التي يدلي بها، هي لغرض البحث وتكون محل سرية الباحث، وإقناعه بأهمية مشاركته في البحث.

- استدعاء البيانات من المبحوث بالأساليب المناسبة وتشجيعه على الاستجابة.
- تسجيل إجابات المبحوث، وأية ملاحظات إضافية وذلك بإتباع أحد أساليب التسجيل المعروفة، مثل: التدوين الكتابي لأجوبة المبحوث، تقدير إجابات المبحوث على مقياس للتقدير سبق إعداده والتدريب على استخدامه من جانب الباحث، التسجيل الحرفي لكل ما يقوله المبحوث، أو لكل ما يمكن أن يسجل من أقوال، استخدام أجهزة التسجيل الصوتي، وذلك بعد موافقة المبحوث.

عوامل نجاح المقابلة:

إن حرص الباحث على استخدام المقابلة باعتبارها أنسب أدوات البحث التربوي لنوع المبحوثين عمل غير كافٍ على الرغم من أهميته إذا لم يراع عدداً من العوامل المسؤولة عن إنجاح المقابلة، وبالتالي تحقق الهدف من استخدامها، ولعل منها :

1. أن يتم التدريب السابق على إجراء المقابلة، وذلك بعمل تدريبات تمثيلية مع زملاء الباحث أو غيرهم؛ بقصد التدريب على طرح الأسئلة، وتسجيل الإجابات، وتعرف أنواع الاستجابات المتوقع الحصول عليها.
2. إعداد مخطط للمقابلة، يتضمن قائمة الأسئلة التي ستوجه إلى المبحوثين كل على حده.
3. أن تكون الأسئلة واضحة وقصيرة .
4. أن تكون جلسة المقابلة وأسئلتها في حدود ما يسمح به الشرع والتقاليد، وأن يعمل الباحث على كسب ثقة المبحوث وعلى حثه على التعاون معه.
5. أن يشرح الباحث معنى أي سؤال للمبحوث، حتى تكون الإجابة مناسبة لغرض الباحث من السؤال.
6. أن يتأكد الباحث من صدق المبحوث وإخلاصه؛ وذلك بأن يوجه إليه في أثناء المقابلة أسئلة أخرى، بقصد التأكد من ذلك. وبإمكان الباحث أن يطمئن إلى صدق المبحوث من خلال ملاحظة طريقة إجابته، وما يظهر على وجهه من تعبيرات.

7. أن يتجنب الباحث التأثير على المبحوث، فلا يفرض عليه وجهات نظره أو آرائه وميوله الخاصة.
8. أن يسجل الباحث إجابات المبحوث بدقة وبسرعة .
9. ألا تتم المقابلة في صورة "تحقيق أو محاكمة" للمبحوث؛ حتى لا يشعر بالضيق والسأم، وبالتالي رفض التجاوب مع الباحث.

مزاي وعيوب المقابلة :

تتسم المقابلة العلمية بعدد من المزايا، وفي الوقت ذاته لها بعض العيوب. ومن مزايا وعيوب المقابلة ما يلي :

■ مزايا المقابلة :

- إمكانية استخدامها في الحالات التي يصعب فيها استخدام الاستبانة؛ مثل: أن يكون المبحوث صغيراً، أو أمياً أو مكفوفاً .
- تُوفّر عمقاً في الاستجابات؛ وذلك بسبب إمكانية توضيح الأسئلة، وتكرّر طرحها.
- تستدعي البيانات من المبحوث أيسر من أي طريقة أخرى؛ لأن الأفراد بشكل عام يميلون إلى الكلام أكثر من الكتابة.
- تُوفّر إجابات متكاملة من معظم من تتم مقابلتهم .
- تُوفّر مؤشرات غير لفظية تعزز الاستجابات وتوضح المشاعر، من مثل: نبرة الصوت، وملامح الوجه، وحركة الرأس واليدين.
- تشعر المبحوث بقيمته الاجتماعية أكثر من مجرد تسلمه استبانة لملئها وإعادتها مرة أخرى.

■ عيوب المقابلة :

- يصعب مقابلة عدد كبير نسبياً من المبحوثين؛ لأن مقابلة الفرد الواحد تتطلب وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً من الباحث.
- تتطلب مساعدتين مدربين على تنفيذها؛ وذلك لتوفير الجو الملائم للمقابلة.
- صعوبة التقدير الكمي للاستجابات، وإخضاعها إلى تحليلات كمية خاصة في المقابلة المفتوحة .

- تتطلب مهارة عالية من الباحث؛ وذلك لضبط سير فعاليات المقابلة، وتوجيهها نحو الهدف منها.

الدرس السابع

فنيات البحث

العنصر الأول : أسس تصميم البحوث المسحية.

العنصر الثاني : تصميم جداول الملاحظة .

العنصر الثالث : تصميم جداول المقابلة .

العنصر الرابع : كيفية تحليل الوثائق .

العنصر الأول : أسس تصميم البحوث المسحية

خطوات البحوث المسحية:

- أ- خطة البحث: التي تبدأ بسؤال يعتقد الباحث فيه بأن أفضل إجابة له تتم باستخدام المنهج المسحي ، وهو سؤال يتعلق عادة بسلوك يمكن الحصول على بيانات عنه عن طريق التقرير الذاتي للأفراد ، كما لابد من تحديد مجتمع الدراسة ، وأسلوب جمع البيانات.
 - ب- المعاينة: ويحدد فيها حجم العينة ، وأسلوب المعاينة ، ليتمكن من تعميم النتائج.
 - ج- بناء الأدوات: وتتمثل في الاستبانة والمقابلة .
 - د- إجراءات الدراسة المسحية:
- ويعمل فيها الباحث على التحقق ميدانيا من صلاحية أدوات الدراسة وطرق تطبيقها ، ومن ثم تطبيقها .
- و- لمعالجة البيانات: وتتضمن ترميز البيانات ، والتحليل الإحصائي ، وتفسير النتائج ، وإعداد التقرير النهائي للبحث.

العنصر الثاني : تصميم جداول الملاحظة

تصميم استمارة الملاحظة:

يختلف تصميم استمارة الملاحظة تبعا لاختلاف الغرض من الملاحظة ، فإذا كان الغرض الوصف فقط ، فيمكن أن تصمم الاستمارة بإحدى الطريقتين:

الأولي: أن يقوم الملاحظ بكتابة أهداف الملاحظة وما يرتبط بكل هدف من وحدات سلوكية متوقعة في الاستمارة ثم يلاحظ السلوك ويضع علامة معينة (×) أمام الوحدات السلوكية التي تسلك ، وهكذا يستمر في وضع الإشارات وإذا تكرر سلوك وحدة منها يكرر الملاحظ وضع الإشارة أمامها بقدر تكرارها.

وأهم ما يميز هذا النوع من التصميم هو حصر انتباه الملاحظ في مدى ما يسلك من الوحدات السلوكية التي حددها سلفا وبهذا "يختصر الباحث وقت التسجيل إلى أقصر فترة ممكنة ليتفرغ إلى متابعة الملاحظ"

ومما يعيب على هذا النوع أنه قد يساعد على إغفال الملاحظ لأي وحدة سلوكية تختلف عما حدده من قبل.

الثانية: ألا يكتب الملاحظ الوحدات السلوكية سلفاً في الاستمارة وإنما يكفي بكتابة الأهداف ، ويكون على وعي تام بما يحققها من وحدات ثم يوفر فراغا تحت كل هدف.

ورغم التشابه الكبير بين هذه الطريقة وسابقتها ، إلا أن هذه تمتاز عن تلك بالشمولية حيث أن الملاحظ لم يحصر انتباهه في وحدات سلوكية محددة سلفاً من قبل.

وإذا كان الغرض من الملاحظ التحليل فليس هناك تصميم خاص به ، إلا أن الملاحظ يوفر فراغا في الاستمارة يسجل فيه ما يلاحظه من شواهد تدل على تأثير النمط السلوكي بمؤثر معين ويستحسن هنا إلا يتنبأ الملاحظ سلفاً بمؤثرات تؤثر على السلوك حتى لا يقع هو تحت تأثيرها مما يجعله يفسر كثيراً من الأنماط السلوكية التي يلاحظها على أنها شواهد تؤيد ما تنبأ به ، وإنما يكفي بما يستنتجه أثناء إجرائه للملاحظة.

أما إذا كان الغرض من الملاحظة التقويم فلا يكفي بكتابة الوحدات السلوكية التي يراد ملاحظتها وإنما يوضع أمام كل وحدة مقياس تقدير ثلاثي أو خماسي وقد يزيد على ذلك ، ولكن كلما زاد المقياس عن خمسة كلما قلت درجة صدقه.

ونظراً لأن التقدير هو عبارة عن حكم يحكم به الملاحظ على سلوك شخص آخر فقد يصدق ، مما جعل هذه الطريقة لتصميم الاستمارة غير مرغوب فيها وذلك لما يكتنفها من صعوبات ، ومن تلك الصعوبات ما لخصه الزوبعي والغنام (1981م) بقولهما "وتواجه الملاحظ الذي يستخدم مقياس التقدير صعوبات في التسجيل أهمها:

- النزعة إلى المستويات الأعلى عند التقدير .
- الميل في التقدير نحو المستويات الأعلى للمقياس بخطأ التساهل .
- الميل إلى المستوى الوسيط في المقياس ، ويغلب ذلك عندما تمتلك الملاحظ الحيرة أو يؤثر العافية في التقدير.
- تأثير الهالة وذلك الذي يتولد من انطباع مسبق عن الشخص موضوع الملاحظة فيؤثر على تقدير الملاحظ أثناء الملاحظة بالفعل.

- ظاهرة التلوث ، وأهم مصادر هذه الظاهرة هو أن يكون لدى الملاحظ معرفة عن آراء الأفراد موضوع الملاحظة في متغير من المتغيرات التي يهتم البحث بتحديددها أو تقديرها.

تطبيق جدول الملاحظة:

للباحث أن يستغني عن تصميم استمارة الملاحظة بتطبيق واحد من الجداول التي صممها بعض الباحثين التربويين مثل:

- جدول تحليل السلوك التدريسي لفلارندر (نظام تحليل التفاعل)
- جدول الملاحظة والتسجيل لمدلي وميتزل.

فوائد الجداول:

1. ثبت صدقها وثباتها من قبل.
2. تختصر وقت الملاحظ.
3. يمكن مقارنة ما يتوصل إليه الملاحظ (الباحث) من نتائج بما توصل إليه الملاحظون الذين طبقوها من قبل.

عيوبها:

أن هذه الجداول قد لا تشتمل على كل الأهداف والأسئلة والوحدات السلوكية المراد ملاحظتها، وفي مثل هذه الحالة يمكن استخدام الجداول فيما يمكن أن تستخدم فيه وما تبقى يقوم الملاحظ بتصميم استمارة ملاحظة خاصة له.

العنصر الثالث : تصميم جداول المقابلة

الإعداد للمقابلة:

يتم الإعداد للمقابلة بعد تحديد مبررات المقابلة، وأهدافها، يقوم الباحث بإعداد دليل المقابلة، دليل المقابلة يحتوي على عدد من الأسئلة التي توجه خلال المقابلة، ويترك فراغ أمام كل سؤال يكتب فيه الباحث الاستجابات المتعلقة بتلك الأسئلة، ويجب أن ترتبط الأسئلة بصورة مباشرة بأهداف الدراسة.

أيضًا تتبع نوع من الترتيب الذي يجب أن يلتزم به الباحث أثناء المقابلة، وعادة أو دائمًا الأسئلة التي يتم كتابتها تقدم لدى المستجيبين بصورة شفوية.

وهنا يمكن تشبيه أو تحديد أنواع الأسئلة التي يمكن استخدامها أثناء المقابلة:

- **الأسئلة المقننة:** والأسئلة المقننة هي أسئلة يتبع فيها كل سؤال عددًا من الاختيارات، مثلًا: عند الإشارة إلى هذا البرنامج، هل تعتقد أن هذا البرنامج فعال؟ فعال جدًا، فعال إلى حد ما، غير فعال. إذن قيدت المستجيب واحد من الإجابات التالية.

المقابلة المقننة لها ميزات: أنها تجعل الاختلافات بين المقابلين محدودة، ويرفع من نسبة ثبات المقابلة، ولكن لا يوجد مجال للتفسير، أو التعديل، وتصبح المقابلة جامدة في العلاقة بين الباحث والمستجيب، فهي نوع من أنواع الاستبيان الشفوي.

- **الأسئلة شبه المقننة:** وهنا نجد الأسئلة لا يتبعها اختيار محدد، ولكنها تصاغ بحيث تسمح بالإجابات الفردية، فالسؤال مفتوح، ولكنه محدد لأقصى الحدود في معناه.

إذن الأسئلة شبه المقننة هي أسئلة لا يتبعها استجابات محددة، ولكن صياغة السؤال نفسه بطبيعته يكون محددًا لأقصى الحدود.

- **الأسئلة غير المقننة:** يقوم هنا الباحث بتوجيه عدد من الأسئلة المفتوحة وعريضة في أي ترتيب مناسب يراه. وهنا المقابلة تركز على المستجيب، على الرغم من أن هذا الأسلوب يتميز بوجود علاقة ألفة كبيرة بين الباحث وبين المستجيب، إلا أن درجة صدقها وثباتها محدودة للغاية، بالنسبة للأسئلة المقننة وأسئلة شبه مقننة.

وعلى هذا نجد أن الأفضل في البحوث التربوية أن دائمًا يتبع المقابلة الأسئلة المقننة وشبه مقننة؛ حتى نحقق درجة عالية من الموضوعية والتجانس، وتسمح في نفس الوقت بتحقيق النتائج المرجوة.

وكما أشرنا في كافة الأدوات بعد إعدادها علينا إجراء تجربة لها حتى نتأكد منها، وهنا يتم إجراء مقابلات أولية؛ حتى نتأكد أن الأسئلة التي تم اختيارها تناسب الهدف، وأن الاختبارات سوف تحقق الأهداف المرجوة منها، وأن الأسئلة خالية من الأسئلة الإيحائية، ذلك كله يعد طور الإعداد. إذن الطور الأول في المقابلة: هو الإعداد.

إجراء المقابلة: ويتم إجراء المقابلة على النحو التالي :

- أن يكون المظهر في غاية الأهمية، ولذلك يجب أن يكون المظهر عاديًا، لا يوحي بانتماء الفرد لفئة ما، يعني: الملابس التي يلبسها تكون ملابس طبيعية تتناسب مع المجتمع الذي يعيش فيه أفراد العينة، أو من سوف يجري معهم المقابلة.
- يجب أن يكون الباحث ودودًا، ومسترخيًا، وبشوشًا، هاشًا باشًا، ويظهر اهتمامًا بالمستجيب، وذلك يشعر المستجيب أيضًا بالاسترخاء؛ وذلك مهم لصدق المعلومات، - يجب أن توجه الدقائق الأولى من المقابلة لتكوين الألفة والمودة، وفيها يتم التعارف، فالباحث يعرف عن نفسه أولًا؛ وذلك يساعد على إشعار المستجيب بالاسترخاء، ويزيد من فعالية المقابلة وإقباله عليها، فعلى الباحث أيضًا أن يوضح للمستجيب الغرض من تلك المقابلة باختصار شديد وأهمية دوره في تلك المقابلة.
- يعطي الفرصة للمستجيب أن يسأل أو يستفسر عن أي موضوع حول تلك المقابلة من البداية وقبل توجيه الأسئلة.
- على الباحث أن يلتزم بصياغة السؤال الذي تم صياغته من قبل، أشرنا أنه سوف يتم إعداد دليل للمقابلة، ذلك الدليل يتضمن عدد من الأسئلة، أحيانًا الباحث يتولد إليه رغبة أثناء الحديث أن يغير صيغة السؤال، ويلقيه بأكثر من معنى، فلو حدث ذلك قد يؤثر على معنى السؤال؛ ولهذا يجب على الباحث الالتزام بالصيغة المدون بها السؤال داخل الدليل.
- على الباحث أثناء توجيه الأسئلة أن يسجل الإجابات، بالطبع أفضل طريقة لتسجيل الاستجابات هي: تدوينها حرفيًا كما أعطاه المستجيب، ولكن من غير المناسب أن ينصرف الباحث عن المستجيب بهدف تدوين تلك الإجابات.
- إنها تستغرق وقتًا طويلًا أثناء المقابلة، ولهذا يجب على الباحث أن يرمز في صورة نقاط مختصرة أثناء المقابلة الاستجابات الخاصة بكل سؤال أثناء المقابلة، وبعد المقابلة أو عقب المقابلة مباشرة على الباحث أن يقوم بتفسير تلك الرموز المختصر التي أعطاه الباحث أثناء المقابلة عن كل إجابة. معنى ذلك: أن على الباحث ألا يستغرق وقتًا طويلًا أثناء المقابلة في تدوين الاستجابات بصورة حرفية، وأيضًا ألا يهمل تسجيل الاستجابات، فالأفضل هو الترميز

- الخاص بتلك الاستجابات، أحياناً بعض الباحثين يلجئون إلى استخدام أجهزة تسجيل، في حالة استخدام أجهزة التسجيل يجب علينا الاستئذان أولاً.
- إذا سمح لنا المستجيب بالتسجيل فيتم التسجيل، أما إذا رفض المستجيب أن يسجل فعلينا الامتناع عن التسجيل. إذن حق الموافقة على التسجيل ترجع إلى المستجيب فقط لا غير.
- ويجب عدم اللجوء إلى تلك الطريقة؛ لأن أحياناً المستجيب أثناء التسجيل يتحفظ جداً في استجاباته، ولا يعطينا استجابة صريحة؛ لعلمه أن ما يقوله سوف يسجل عليه، ويمكن جداً استخدامه ضده، فمن ثم نجد المستجيب لا يعطي الاستجابات الصحيحة، ولا يتحدث بحرية.
- على الباحث أن يفسر للمستجيب أو يشير للمستجيب أن هناك بعض الإجابات غير الواضحة أو الغامضة، ويستفسر عن تلك الإجابات الغامضة بمهارة؛ حتى يتمكن من استخلاص المعلومات من المستجيب.
- الباحث يجب أن يفسح المجال أمام المستجيب بعمل التعليقات التي يراها مناسبة، فلا يمنعه من الحوار بحرية.
- وبعد الانتهاء من المقابلة على الباحث أن يشكر المستجيب على وقته، وعلى التعاون معه أثناء تلك المقابلة بهدف خدمة البحث التربوي أو العلمي.

المتغيرات التي لها أثر على المقابلة:

يجب أن نضع في الاعتبار أن هناك ما يؤثر على تلك المقابلة، أو هناك متغيرات، ما المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على المقابلة كأداة من أدوات جمع البيانات في البحث؟ **المتغيرات التي من الممكن أن يكون لها أثر على المقابلة:**

أولاً: عمر الباحث:

إذا كان الباحث شاباً يقابل المستجيبين من أواسط العمر، فعمر المستجيب غير مهم بالنسبة للباحث، فعمر الباحث هو الأهم؛ لأنه يستدعي الألفة والمودة أثناء عملية المقابلة.

أيضاً إذا كان الباحث شاباً، فآثر كفاً الاستجابة محدود؛ لأن المستجيب هنا من الشباب، ومن النوع نفسه، فممكن أيضاً يتفاعلون أثناء المقابلة مع بعضهم البعض، ومن ثم تصبح الاستجابات جيدة ومتعددة، ومتنوعة.

الباحثون الذين تتراوح أعمارهم ما بين ست وعشرين وخمسين سنة أفضل من الباحثين الأكبر، أو الأصغر من ست وعشرين.

إذن المتغير الأول الذي قد يؤثر على المقابلة هو عمر الباحث.

ثانيًا: التخصص:

طبيعة التخصص يؤثر بصورة مباشرة على المقابلة، نجد من هم أصحاب العلوم السلوكية يؤثر تعاملهم أكثر دقة من المتخصصين في العلوم الطبيعية، أيضًا المتخصصون في مجال الفنون الجميلة يختلفون عن المتخصصين في مجال الحقوق، أو التجارة، ومن ثم نجد طبيعة التخصص يؤثر على مجرى المقابلة.

ثالثًا: المستوى الاجتماعي:

فخريجو الجامعة أفضل -بالطبع- من غير الخريجين؛ لأن الفروق تعد بينهما قليلة.

رابعًا: الخبرة في مجال المقابلة:

الباحث الذي تمكن من إجراء أكثر من مقابلة -بطبيعة الحال- سوف يتوصل في المقابلة التي سوف يجريها لمعلومات كثيرة ومتنوعة أكثر من الباحث الذي سوف يجري المقابلة للمرة الأولى.

خامسًا: جنس المقابل:

يحصل الباحثون الذكور على استجابات أقل من الإناث، وهذه بطبيعة الحال؛ لأن المرأة عندها قدرة على الحوار والاستماع أكثر من الرجل.

ومن ثم يتضح لنا أن هناك عددًا من المتغيرات التي تؤثر بصورة مباشرة في نتائج المقابلة. وأيضًا أشرنا فيما سبق إلى تنوع تلك الاستجابات؛ نتيجة لأثر الباحث الذي سوف يقوم بتلك المقابلة.

العنصر الرابع : كيفية تحليل الوثائق

تحليل الوثائق

الطريقة الأساسية الثالثة لجمع المعلومات في البحث النوعي. وتعتبر الوثائق التاريخية أو الحديثة مصدراً مهماً للبحث التربوي النوعي. وتعد من خصائص المجتمع الحديث التوثيق. فالتقارير التي يكتبها المشرفون التربويون كل عام، والتوجيهات إلي يدونونها في سجلات المدارس عند زيارتها، وما يكتبه المعلمون والخبراء من تقارير وبحوث وملاحظات، وما يصدر من تقارير وتوجيهات رسمية. بل ما قد يكتبه الطلاب في دروس الإنشاء أو في رسائلهم للمعلمين. كل هذه تعتبر وثائق مهمة للباحث ويستطيع من خلال دراستها وتحليلها التوصل إلى نتائج مهمة ومفيدة.

وقد يدخل في تحليل الوثائق - خاصة في بعض أنواع البحث النوعي، مثل البحث الإثنوجرافي - دراسة الصور والأعمال الحرفية اليدوية وكل ما يتعلق بالثقافة وأنماط الحياة الاجتماعية.

- لا يعتمد الباحث على نوع واحد من المصادر، كالكتب ومقالات الدوريات مثلاً، بل هنالك أنواع أخرى، مثل المذكرات والرسائل وبحوث ومقالات الدوريات، والتقارير، والرسائل الجامعية، ... الخ، والتي قد تكون الوثائق ورقية أو إلكترونية
- التركيز على مصادر المعلومات الأولية في جمع المعلومات الوثائقية، قبل اللجوء إلى المصادر الثانوية
- غالباً ما تكمل الوثائق أداة أخرى في جمع المعلومات. مثال المقابلة أو الملاحظة.
- الفصل النظري أو فصل عرض أدبيات الموضوع review of the literature له جانب مهم في البحوث الوصفية والتجريبية، وهو يعتمد على المصادر والوثائق ذات الصلة بموضوع البحث.

الدرس الثامن

تعزيز الجودة والمصداقية في البحوث النوعية

العنصر الأول : اختيار العينات .

العنصر الثاني : إجراءات الضبط .

العنصر الثالث : تحقيق الموثوقية .

العنصر الأول : اختيار العينات

نجد أنَّ معظم البحوث التربوية تعتمد على العينات في التحليل الاستدلالي لسلوكيات الأفراد، وسلوكيات تلك العينات، وبهذا يتضح لنا أهمية اختيار العينة، وكيف تكون تلك العينة ممثلة لذلك المجتمع.

العينة: هي مجموعة جزئية من المجتمع، ويلاحظ أن مصطلح العينة لا يضع أي قيود على طريق الحصول على تلك العينة، فالعينة ببساطة هي مجموعة جزئية من مجتمع له عدد من الخصائص المشتركة.

ما خطوات اختيار العينة؟

سبقت الإشارة إلى أن خطوات اختيار العينة هي تعريف المجتمع أولاً، ثم تحديد خصائص المجتمع، ثم تحديد حجم العينة الكافي لتمثيل تلك الخصائص، وآخر مرحلة هي اختيار العينة.

تعريف المجتمع هو هدف أساسي من الدراسة؛ لأن الباحث في النهاية سوف يقوم بتعميم نتائج ذلك البحث على ذلك المجتمع، ومن ثم فإن اختيار العينة ما هو إلا إحدى الوسائل لدراسة ذلك المجتمع، ودراسة خصائصه؛ ولهذا كانت المهمة الأولى في اختيار العينة هي: تعريف ذلك المجتمع، وتعريف المجتمع خاصية واحدة على آلاف ما تميزه من غيره من المجتمعات التي تحيط بنا.

إذن تعريف المجتمع: علينا وضع قائمة في الخصائص المميزة لذلك المجتمع من حيث: نوع المجتمع، وعمره، المنطقة، والحالة الاجتماعية، والمستوى الثقافي الاجتماعي لذلك المجتمع.

بعدما انتهينا من تحديد خصائص المجتمع علينا تحديد حجم تلك العينة، و يجب أن يكون الحجم كافياً لتمثيل خصائص المجتمع، ولا يكون الحجم كبيراً جداً حتى يعرقل عملية البحث، ولا صغيراً جداً حتى لا يعطي النتائج المرجوة، ولكن يجب أن يكون تحديد العينة قائماً على أسس محددة، وهي: نوع البحث، وفروض البحث المطروحة، والتكلفة الموضوعة، أو الميزانية المحددة لذلك البحث، ثم أهمية النتائج، فحجم العينة أيضاً الصغيرة تكون مقبولة في التجربة الاستطلاعية، ولكن بالنسبة للتعميم والنتائج يجب أن يكون الحجم يزيد بما يتناسب مع طبيعة ذلك البحث.

أيضاً تحدد العينة طرق جمع البيانات التي سوف نستخدمها على تلك العينة، أيضاً تحدد لنا الدقة المطلوبة.

العنصر الأساسي لدينا هو: اختيار عينة ممثلة لذلك المجتمع، بعد تحديد العناصر السابقة علينا تحديد العدد الذي يمثل المجتمع تمثيلاً دقيقاً، بحيث يتم اختيار مجموعة من الأفراد من قائمة ذلك المجتمع، واختيار الأفراد الممثلين من قائمة المجتمع، أو الجدول الذي أعد لتحديد ذلك المجتمع، أو تحديد مجتمع، هذه الخطوة تسمى: بخطوة اختيار العينة، وهي خطوة مهمة للغاية؛ لأنَّ عليها يتوقف سلامة تلك العينة، ومدى إمكانية تعميم نتائج ذلك البحث على كافة المجتمع. ونظراً لأن البحث يستغرق الكثير من الوقت، والجهد، والموارد البشرية، والمادية، فيجب ألا يكون البحث مضيعة للوقت، ويجب أن نستعين به في تطبيقه على المجتمع كله؛ حتى يعمم الاستفادة منه.

أحياناً تصف العينة بأنها سليمة، إذن متى تصبح العينة سليمة؟ أو ما العينة السليمة؟ أو عرف العينة السليمة.

هذه عدة تساؤلات حول تلك النقطة، يتم القول، أو الإجابة: هي العينة الممثلة للمجتمع الذي اختيرت منه، إذن عملية اختيار عينة ممثلة فهي ليست عملية غير منتظمة، أو عملية لا يمكن حدوثها، بالعكس العملية لو اتبعنا الخطوات الصحيحة سنتمكن من اختيار عينة سليمة للبحث.

ولهذا نجد أنَّ هناك عدة أساليب لاختيار العينة تبعاً لمواقف تلك العينة، وكل أسلوب من تلك الأساليب يعطي نفس النتائج، ولكن ليست كل الأساليب تضمن تمثيل العملية بدقة، أو العينة بدقة لذلك المجتمع، عند استخدام العينات -أو الأساليب، وتلك الطرق- علينا أن نوازن بين تلك الأساليب المختلفة لاختيار العينة، ونحدد أفضلها وأنسبها لظروف ذلك البحث، نحدد: ما الأساليب التي تتناسب مع ظروف البحث الخاص بنا؟

في بعض الأحيان -نظراً لطبيعة ذلك البحث العلمي- نجد أننا في حاجة أن نوفق بين عدد من الأساليب المختلفة، فذلك متاح في مجالات البحث التربوي، والبحوث الإنسانية، والبحوث السلوكية المختلفة بشكل عام، وأيضاً في البحوث العلمية، نجد كثيراً من البحوث الطبية التي تهدف إلى تخفيف معاناة الإنسان تجرى على بعض أشكال الحياة، ويترتب على ذلك مشكلات تتعلق بتعميم النتائج؛ لأنها طبقت على إحدى أشكال الحياة الأدنى، وليست على كافة أشكال الحياة، وبالتالي لا يمكن تعميمها على كافة المستويات داخل المجتمع.

تعد أفضل الطرق لاختيار العينة هي الطريقة العشوائية؛ لأنها أفضل طريقة من حيث إمكانية تمثيل المجتمع، حقاً أشرنا من قبل أنه لا توجد طريقة مثلى لتمثيل المجتمع، لكن حين يتم المفاضلة بين الطرق نجد أن الطريقة العشوائية هي أفضلها، فعملية المعاينة -مهما كانت- لا يمكنها ضمان تام لتمثيل ذلك المجتمع، ولكن تمثيل العينة أعلى في الطريقة العشوائية عنه في غيرها من الطرق المقصودة، وغير العشوائية، ويترتب على ذلك: أن الفروق ضئيلة، وغير منتظمة بين خصائص العينة، وخصائص ذلك المجتمع.

إذن العينة العشوائية هي الأسلوب الذي تقل فيه الفروق، أقل فروق تتوفر في العينة العشوائية عن غيرها من الأساليب الأخرى غير المعينة، فالعينة العشوائية تساعد على أن تكون هذه النسب أقل ما يمكن، واحتمال الخطأ يعد قليل جداً، وما نحصل عليه من فروق بين خصائص العينة، وخصائص المجتمع هي فروق وليدة الصدفة، وليست راجعة إلى تحيز ما، سواء كان مقصوداً أو غير مقصود.

وعند استخدام الطريقة العشوائية في اختيار العينة تؤدي هذه الطريقة إلى اختيار فرد من أفراد المجتمع كعنصر من عناصر العينة، وبهذا نجد أن لكل فرد فرصة متساوية لاختياره ضمن العينة، فاختيار فرد في العينة لا يؤثر على اختيار أي فرد آخر، وذلك بخلاف العينة المتحيزة أو العينة المقصودة، نجد أن اختيارها تم بسهولة لسهولة الحصول عليها، والوسائل التي سيتم الاستعانة بها غير سليمة، أكثر عرضة لعوامل التحيز من غيرها، وهذا فرق بين العينة المتحيزة والعينة العشوائية.

ما الخطوات التي سوف نتبعها للاختيار العشوائي للعينات؟

النوع الأول: العينة العشوائية البسيطة:

في المعاينة العشوائية البسيطة نجد أن الاشتراك فيها لأي فرد متاح دون تحديد، فكل فرد داخل المجتمع العينة العشوائية تسمح له المجال أنه يمكن اختياره كأحد أفراد تلك العينة، ولا تقتصر على أفراد بعينها، واختيار فرد في تلك العينة، بالتالي لا يؤثر على الآخر تماماً، مثلاً: نحدد مجتمعاً به عدد من الطلبة، ذلك المجتمع أو ذلك المعهد الذي يتضمن الطلاب يحتوي على أو يتضمن خمسمائة طالب وطالبة، معنى هذا: أن عدد أفراد ذلك المجتمع خمسمائة فرد، لو أردنا الحصول على عينة عشوائية بسيطة قدرها خمسون فرداً من ذلك المجتمع، فإننا نكتب رقم كل طالب على ورقة صغيرة، ويتم طيها، ونضعها في إناء، أو مظروف، ونخلط تلك الأوراق معاً

جيداً، ويتم اختيار خمسين ورقة، وكل ورقة مكتوب عليها رقم، وكل رقم يعبر عن أحد هؤلاء الطلاب، أثناء الاختيار نحن نجهل من هو الرقم، والرقم يعبر عن من من الطلاب، فبذلك جنبنا التحيز تماماً عند اختيار تلك العينة، وتم اختيارها بصورة عشوائية نهائية.

ويمكن أيضاً أن نصنع جدولاً يسمى: جدول العشوائيات، ثم يتم تدوين لكل طالب من الخمسمائة رقم، ويتم اختيار من خلال ذلك الجدول خمسين رقماً متتاليًا، يمثل أفراد العينة، أيضاً ممكن اختيار رقم فردي، الأرقام الفردية الخمسون من الأرقام الفردية، ومن الممكن أيضاً اختيار الخمسين من الأرقام الزوجية من تلك الأرقام لو حددنا كل رقم واحد زوجي، وواحد فردي، لكن في جدول الأعداد العشوائية نجد الباحث يمكن له أن يتجه اتجاهاً رأسياً في الاختيار، أن يتجه اتجاهاً أفقياً، أو كان اتجاهه قطرياً، اتخذ قطراً معيناً.

وبهذا نجد أن جدول الأعداد العشوائية ممكن إعداده في الخطوات الآتية:

أولاً: تحديد حجم المجتمع، ثم تحديد حجم العينة، وضع رقم مسلسل لكل فرد يبدأ من صفر إلى أربعمئة تسعة وتسعين، نغلق العين، ونضع الأصبع على أي مكان في ذلك الجدول الذي استقر عليه الأصبع، ثم مكان استقرار الأصبع هنا، والعين مغلقة هي نقطة الانطلاق، ونقطة البداية.

إذن نقطة البداية نقطة عشوائية حتى لو اتخذنا ترتيباً معيناً في تسلسل تلك الأسماء، عند البداية يجب أن تبدأ بداية عشوائية في جدول الأعداد العشوائية؛ نظراً لأن عدد أفراد المجتمع خمسمائة، فنحن نقرأ الأرقام العشوائية في كتل مكونة من ثلاثة أرقام؛ تسهيلاً للحصول على تلك الأرقام؛ ونظراً لأن عدد المائة يدخل ضمن القائمة، يكون أول فرد في أفراد العينة هو الفرد الذي رقمه مائة، يلي ذلك الأعداد ثلاثمائة خمس وسبعين، وهكذا حتى نصل إلى الأرقام التالية للعينة، وإذا كان العدد الذي نقرؤه يزيد عن أربعمئة تسعة وتسعين، فالحد الأعلى للمجتمع فإننا نتجاهله، وإذا تكرر أحد الأرقام فإننا نتجاهل الرقم المكرر أيضاً، وعندما ينتهي العمود ننتهي إلى العمود الثاني، وتكرر كافة الخطوات حتى ننتهي من كافة أعداد العينة التي لدينا، وسوف تكرر كافة الخطوات حتى ننتهي من كافة الأعداد، وبعد ذلك اختيار العينة يتم توزيع الأفراد في مجموعتين، وأكثر توزيعاً عشوائياً يطلق على هذه العملية: التعيين العشوائي، ويتم إجراء العملية السابقة أيضاً ممكن من خلال الحاسب الآلي.

ونجد هنا أن احتمال الحصول على عينة ممثلة للمجتمع بالطريقة السابق ذكرها من أكبر الاحتمالات، إلا أن ضمان تمثيلها ليس مؤكداً تماماً، فإننا إذا ألقينا عملة من ذات العشر قروش -

مثلاً- مائة مرة، فالنتيجة المحتملة هي الحصول على خمسين وجهًا للصورة، وخمسين وجهًا للكتابة، إلا أننا من الممكن أن نحصل على سبع وخمسين مثلاً، أو ستين مرة لوجه الصورة، وأربعين مرة للكتابة، فإذا لا نستطيع أن نجزم أن تلك العينة تمثل تمثيلاً مؤكداً للمجتمع.

النوع الثاني: العينة الطبقية العشوائية:

من الممكن الحصول على عينة عشوائية، ولكنها غير ممثلة لخصائص المجتمع، فالعشوائية -كما رأينا- لا تضمن التمثيل التام، ولكنها تتيح فرصة متساوية لكافة أفراد ذلك المجتمع الذي سوف يتم اختيار العينة منه، ولهذا نجد أن العينة البسيطة غير ممثلة لخصائص ذلك المجتمع، وهنا يترتب عليه ما يسمى: خطأ المعاينة؛ نظراً لاحتمال تمثيل خصائص المجتمع في العينة، فنلجأ إلى العينة الطبقية العشوائية.

إن من عيوب العينة البسيطة: أنها لا تضمن خلالها أنها تمثل ذلك المجتمع. نعم، هي تمثل خصائصه، ولكن لا يمكن أن تضمن ذلك التمثيل، وهنا علينا لتجنب ذلك هناك ما يسمى: المعاينة الطبقية العشوائية، حتى نزيد من احتمال تمثيل خصائص المجتمع نلجأ إلى الطبقية العشوائية في اختيار العينة، ويعنى ذلك: أننا سوف نقوم بتصنيف ذلك المجتمع إلى عدد من الأقسام وفقاً لخصائصه الخاصة به، لدينا بنات وبنون، وكذلك مصنف من طبقتين أخريين وفقاً للصف الأول، أو الثالث، أو المدرسة. المهم لدينا، نحن سوف نصف كل فئة تمثل طبقات، وتتم العشوائية داخل كل طبقة بصورة متساوية، بعد ذلك يمكننا الحصول على عينة عشوائية من أصغر خلية، فنحصل في النهاية على عينة طبقية عشوائية ممثلة لخصائص المجتمع عند سحب تلك العينة من ذلك المجتمع، سواء كانت المعاينة نسبية أو المعاينة المتساوية.

المعاينة الطبقية العشوائية يتم استخدام الأسلوب النسبي، أو الأسلوب المتساوي، في الطبقية العشوائية النسبية نسحب من كل طبقة من تلك الطبقات عدداً يتناسب مع نسبة أعداد تلك الطبقة في ذلك المجتمع، فلو كان لدينا أفراد مجتمع عددهم: 1673م فرداً، وأردنا الحصول على العينة من ذلك المجتمع بطريقة العينة الطبقية العشوائية النسبية، فإننا نسحب من كل طبقة عدداً يتناسب مع نسبة هذه الطبقة إلى ذلك المجتمع، فنجد -مثلاً- أن تلاميذ في مدرسة ما، لو المدرسة بها تلاميذ في الصف الأول بنين بالمدرسة يبلغ عددهم: مائة وعشرون، ونسبتهم إلى جميع الأفراد 7.3%، لذلك نسحب من هذه الصف 7.2% بطريقة عشوائية بسيطة، ومن ذلك نحصل على عينة طبقية عشوائية تمثل خصائص طبقة ذلك المجتمع، الطبقة الجزئية من ذلك المجتمع، وذلك بنسبة أعدادهم داخل المجتمع، بالنسبة للطبقة التي ينتمون إليها، ذلك لو اعتمدنا إلى أسلوب

النسب، أما لو اعتمدنا إلى المعاينة الطبقيّة العشوائية المتساوية فنحن نحصل على أعداد متساوية من كل طبقة من تلك الطبقات، ولكن بطريقة عشوائية -كما أشرنا من قبل.

على الرغم من أنّ هذا الطريق الخاص بالأسلوب المتساوي قد يؤدي إلى خلل في التوزيع النسبي لخصائص ذلك المجتمع، ونضطر أحياناً في مثل هذا الأسلوب إلى إدخال عامل وزني لمعادلة هذا الاختلال في التوزيع، ومع هذا فإنّ هذا الأسلوب في اختيار العينة له مزايا عند استخدام الأساليب الإحصائية التي تتناسب معه، وبهذا نحدد خطوات المعاينة الطبقيّة العشوائية من خلال ما يلي: تحديد وتعريف المجتمع، تحديد حجم العينة، تحديد المجموعات الفرعية بناء على خصائص ذلك المجتمع، تصنيف أفراد المجتمع وفقاً للمجموعات الفرعية السابق تحديدها، بحيث ينتمي كل فرد لمجموعة واحدة فقط، ولا تتداخل تلك المجموعات، مثل: مجموعة بنات وبنين، طلاب الفصل الأول، وطلاب الفصل الثاني، وطلاب الفصل الثالث، معنى ذلك: صنفنا الطبقة التي سنتعامل معها.

اختيار عينة عشوائية، سواء كان بأسلوب الطرق المتساوية، أو بالطرق النسبية.

النوع الثالث من أساليب المعاينة: المعاينة العنقودية العشوائية:

في المعاينة العنقودية يتم اختيار مجموعات، وليس أفراداً، فالمعاينة العشوائية العنقودية هي اختيار عشوائي لمناطق أو مجموعات تجمع من مختلف، سواء كانت مدارس، أو فصولاً، أو مناطق تعليمية، هذه المجموعات أو التجمعات من خصائصها أو سماتها: أنها تتوفر بها مجموعة من الأفراد، هؤلاء الأفراد تجمع بينهم صفات محددة، أو لهم نفس الخصائص، ولهذا نختار الأفراد من كل تجمع، أو كل عنقود.

إذن يتم توزيع المجتمع في ضوء خصائصه بما يتميز من خصائص ذلك المجتمع، ويتم أخذ من كل عنقود من تلك العناقيد الموجودة داخل المجتمع أو من تلك الخصائص الخاصة بكل مجتمع مجموعة تمثله.

يعد استخدام المعاينة العشوائية العنقودية أفضل الطرق والسبل مع المجتمعات كبيرة الحجم مترامية الأطراف؛ لأنه لا يمكن الحصول على قائمة كاملة بأسماء أفراد ذلك المجتمع، فذلك يجعل المعاينة العشوائية البسيطة أو الطبقيّة غير ممكنة، ولهذا يكون الباحث عليه السيطرة على ذلك المجتمع من خلال العينة العنقودية، أو من خلال تلك الجماعات التي تمثل ذلك المجتمع، ولهذا نجد أن كل مجموعة تمثل عنقوداً؛ لأنهم يشتركون في نفس الخصائص.

خطوات المعاينة العنقودية العشوائية:

لو اتبعنا أسلوب المعاينة العنقودية العشوائية، ما الخطوات التي يجب أن نسلکها؟

أولاً: تحديد وتعريف خصائص المجتمع.

ثانياً: تحديد حجم العينة المرغوب فيه، تعريف وتحديد كل عنقود بخصائص وسمات كل عنقود، عمل حصر كل العناقيد التي توفرت لدينا، تقدير عدد أفراد كل مجتمع في كل عنقود، تحديد عدد العناقيد بقسمة عدد أفراد العينة على العدد التقديري للأفراد في كل عنقود، اختيار عدد العناقيد المطلوب اختيار عشوائي، يجب أن يتم بصورة بصورة عشوائية، عدد الأفراد الموجودين داخل العينة التي تشملهم العناقيد المختارة يمثلون جميع الأفراد الموجودين داخل العناقيد.

إذن عدد أفراد العينة يمثلون عدد الأفراد الموجودين داخل العناقيد.

ما مراحل اختيار العينة من خلال الطريقة العنقودية؟

من مراحل اختيار العينة بالطريقة العنقودية:

أولاً: المجتمع.

ثانياً: حجم العينة.

ما العنقود لدى الباحث؟

عدد العناقيد.

يقوم الباحث باختيار الأفراد داخل تلك العينة.

ولكن كما هو الحال في أي شيء نجد بعض العيوب الموجودة في طريقة العينة العنقودية العشوائية، أولاً: يمكن جداً أن تكون تلك العينة غير ممثلة للمجتمع من ناحية أو أخرى.

تحليل البيانات الخاص بالعينات العنقودية نجده غير مناسب باستخدام معظم أساليب الإحصائي الاستدلالي العادي، فالإحصاء الاستدلالي العادي يتطلب المعاينة العشوائية، وليس كافياً استخدام التعيين العشوائي لمجموعات قائمة العناقيد؛ ولذا يجب تكوين مجموعات باستخدام التعيين العشوائي، والأساليب الإحصائية المتوفرة، والمناسبة لمعاينة تلك العناقيد.

النوع الرابع من أساليب المعاينة: العينة العشوائية المنتظمة:

في هذه الطريقة نختار الفرد أو العنصر على مسافات متساوية من بعضها من قائمة الأسماء الخاصة بهم، هي عشوائية ولكن بصورة منتظمة، لو كان المجتمع يتكون من خمسمائة فرد، وأردنا اختيار خمسين فرداً، فإننا نقسم الخمسمائة على الخمسين، ونحدد المسافة بين المجتمع الكلي وبين أفراد العينة، ونستخلص النتيجة، لو كان المجتمع كله خمسمائة، وأفراد العينة المطلوبة خمسون، بقسمة الخمسمائة على الخمسين، نخرج بنتيجة عشرة، إذن عند الاختيار يتم اختيار فرد كل عشرة أفراد من تلك العينة.

الفرق هنا بين تلك الطريقة وطرق الأخرى هو: أن أعضاء المجتمع ليس لديهم فرصة مستقلة لاختيارهم ضمن العينة؛ إذ مجرد اختيار الفرد الأول من العينة تحدد اختيار الفرد الذي يليه، فلا تصبح الفرص متساوية لكافة أفراد المجتمع في الدخول داخل تلك العينة.

على الرغم من أن الاختيارات هنا مستقلة، إلا أن المعاينة العشوائية المنتظمة، تعطينا عينة عشوائية إذا كان ترتيب الأسماء في قائمة المجتمع نفسه عشوائي؛ إذ لا بد حتى يتحقق الأمر الأول أن يتحقق الأمر الثاني؛ لأننا حددنا وقلنا في البداية: أن الطريقة المنتظمة تحدد لنا الخطوة الأولى، هي فقط التي تكون عشوائية، أما الخطوات الثانية: فهي محسوبة محددة، ولهذا علينا - أولاً- ترتيب المجتمع داخل قائمة الأرقام بصورة عشوائية؛ حتى يتم الاختيار بطريقة عشوائية، إذا تم تنظيم المجتمع في داخل القائمة بطريقة مقصودة أصبحت العينة مستهدفة، ومتحيزة، وليست عشوائية.

خطوات المعاينة العشوائية:

يجب علينا في الأساس تعريف وتحديد المجتمع، تحديد حجم العينة، الحصول على قائمة بأسماء أفراد ذلك المجتمع، وترتيبهم بطريقة عشوائية داخل قائمة بأسمائهم، تحديد المسافة بين الأفراد داخل العينة، وذلك بقسمة العدد الكلي للمجتمع على عدد العينة، اختيار رقم عشوائي في حدود المسافة التي حصلنا عليها في الخطوة السابقة، ثم البدء من هذا الرقم، واختيار الأفراد على مسافات متساوية؛ حتى يمكن الحصول على العدد الكامل لتلك الأفراد المنتظمة.

تلك هي الطريقة لحساب العينة العشوائية بأنواعها المتنوعة، سواء كانت عشوائية بسيطة، أو عشوائية عنقودية، أو عشوائية منتظمة، فكل طريقة من تلك الطرق لها مميزاتها، ولها عيوبها، وعلينا تعزيز المميزات، وتفادي تلك العيوب أثناء اختيار العينة.

هناك نوع آخر من العينات غير العينة العشوائية، ولقد أشرنا من قبل أن العينة العشوائية هي أفضل أنواع العينات التي يمكن الاستعانة بها في البحوث، ويفضل التركيز على اختيارها.

العينة المتحيزة أو المعاينة غير الاحتمالية: نادراً ما يختار تلك العينة في البحوث الكيفية، عينة ممثلة لخصائص مجتمع كبير؛ لأنه يحتوي على عدد كبير جداً من حالات لدراسة العينة، ودارسة مكثفة كما هو الحال في البحوث الكمية، إذن نجد أن اختيار الباحثون في البحوث الكيفية لعينة ممثلة لخصائص المجتمع يكون أمراً نادراً، وليس مستوفياً كما في البحوث الكيفية، نجد أن البحوث الكيفيين هم الذين ينزعون إلى اختيار عينة غير عشوائية، أو غير احتمالية، معنى هذا: أنهم نادراً ما يحددون حجم العينة قبل اختيارهم، كما أن معلوماتهم محدودة عن ذلك المجتمع، أو المجموعة الكبيرة التي يسحبون منها تلك العينة، على العكس من الباحثين الكمييين الذين يبحثون عن الكم، يضعون خطة محسوبة لوضع العينة.

العينة المصادفة: هي أسلوب للحصول على العينة بطريقة سهلة، ومناسبة، ولكن تلك الطريقة تؤدي إلى عينة غير سليمة، وغير ممثلة للمجتمع، وعندما يستخدم الباحث تلك الحالات على أساس سهولة الحصول عليها، فمن السهل الحصول جداً على أفراد، ولكن قد تبتعد خصائصهم بشكل خطير عن خصائص ذلك المجتمع، وبالتالي لا تصبح ممثلة له، وأن الأخطاء المنتظمة المرتبطة بهذه الطريقة في الاختيار تجعل استخدام هذه العينة أسوأ شيء يمكن أن يقع في البحث العلمي.

إذن عينة المصادفة تلك هي أسوأ أنواع العينات التي نقع فيها، وبذلك يتضح لنا أن المعاينة بالصدفة من أسوأ أنواع المعاينات؛ لأنها لا تمثل كافة خصائص المجتمع، ولا ممثلة للمجتمع كله.

المعاينة الغرضية: المعاينة الغرضية أحياناً تكون مناسبة في عدد من المواقف؛ لأن يتم اختيارها في حالات مطلوبة من قبل الخبير، و الحالات بناء على غرض خاص في عقل الباحث، ويهدف إليه في بحثه، أولاً: ممكن تكون تلك الحالات فريدة، أيضاً حالات يصعب الحصول، أو التوصل إليها في ذلك المجتمع، مثل: مدمني المخدرات، أيضاً رغبته في التعرف على أنواع معينة من الحالات للدارسة المتعمقة.

إذن هناك أسباب لاختيار المعاينة الغرضية، فلا تكون هي اعتماد البحث التربوي، ولكن يجب على الباحث توضيح ذلك في متن بحثه، سبب اختيار تلك العينة بالأسلوب الغرضي، وتوضيح

الغرض من ذلك الاختيار، والهدف منه، وأشرنا أنها ممكن تكون لأحد تلك الأسباب: أن تكون الحالة فريدة، صعبة، لا نتمكن من الوصول إليها بسهولة، ولكنها لها أهميتها في الحصول على المعلومات، أيضًا ممكن يكون المجتمع نفسه الذي توجد فيه تلك العينة يصعب الوصول إليه، أيضًا ممكن يرغب في دراسة حالة معينة بصورة متعمقة لخدمة البحث.

الحالات المتطرفة: وفي تلك الطريقة الباحث يلجأ إلى تحديد دائماً الحالات المتطرفة، أو الحالات الشاذة، يطلق عليها: المعاينة الشاذة. المقصود بذلك: اختيار حالات غير عادية، أو غريبة، أو مختلفة، وهي ليست ممثلة للمجتمع، ويرجو الباحث أن يحصل منها على معلومات.

إذن الحالة المتطرفة ليست حالة ممثلة لذلك المجتمع، ولكنها حالة غريبة، نرغب من خلالها الحصول على بعض المعلومات.

المعاينة المتتابة: وهي محاولة لتتبع الحالة نفسها، المبدأ الذي تعتمد عليه المتابعة: هو الحصول على كل حالة ممكن الحصول عليها في الحالات المتتابة، فالباحث هنا يظل يجمع الحالات حتى تملأ المعلومات الخاصة بتلك الحالة الفراغ الذي لديه في البحث، هو نوع من التتبع حتى يحقق الغرض الذي يريد الوصول إليه من تلك الدراسة.

ونجد أن الباحث هنا يبذل أقصى مجهود لتتبع تلك الحالة من خلال المعاينات، نجد أن فيه تشابهاً بين المعاينة المتتابة والمعاينة الغرضية، لكن الفرق هنا واحد، هو أنه في المعاينة الغرضية الباحث يحاول الحصول على أكبر عدد ممكن من الحالات المناسبة في نطاق الغرض الخاص به، أما في المتتابة فهو يجمع حالات حتى تملأ المعلومات.

المعاينة النظرية: في هذه الطريقة الباحث يجمع عدداً من العناصر، أو الأشخاص، أو المواقف، أو الأحداث، أو فترات زمنية، ويختار هذه العناصر بعناية؛ ليؤسس النظرية التي يريد.

يؤدي نمو النظرية هنا إلى توجيه في اختيار تلك الحالات، ولذلك فهو يجمع الحالات بناء على التوجه النظري له من خلال: المواقف، والأحداث، والفترات الزمنية، والأشخاص الموجودين لديه.

المعاينة بالكتلة: إن الباحث يستخدم كمّاً واحداً في ذلك المجتمع، مثلاً: مدرسة، سيقوم بدراسة فصل داخل المدرسة. حي، يدرس منطقة سكنية في داخل ذلك الحي، أو مجموعة من الأسر في عمارة ما يسكنها، تلك هي المعاينة بالكتلة، هي: عبارة عن مجموعة كبيرة لغرض وحيد يتم اختياره من خلال البحث.

المعاينة الاجتهادية: وهنا يلجأ الباحث إلى المعاينة الاجتهادية في اختيار عينة ما بناء على خبراته، واجتهاده الشخصي مثل: اختيار رؤسائه، زملاء في العمل، الأصدقاء المقربين، ولكن ذلك الأسلوب يؤدي إلى عينة متحيزة، فطريقة الحصول على عينات هنا يجب أن تتبع طريقة الحصول على العينات المتحيزة.

ولقد أشرنا من قبل أن طبيعة البحث هي التي تؤدي إلى تبني طريق معين في اختيار العينة مجال البحث. أحياناً يشعر الباحث أن النتائج التي حصل عليها من عينة لا تبدو سليمة؛ فيتخلّى عن تلك العينة، ويحصل على عينة أخرى، وهكذا حتى يحصل على النتائج التي كان يتوقعها، وبذلك يستخدم الباحث أسلوباً لتحقيق فروضه، إلا أن هذا الموقف يعد موقفاً متحيزاً حتى لو كان اختيار العينة سليماً في كل مرة، ولكن ليس المقصود مما سبق: الشك في النتائج عندما تتناقض مع بعضها البعض، ولكن قد يكون أسباب الخطأ متعددة ومتنوعة، قد يكون الخطأ بسبب العمليات الحسابية والإحصائية، أو التصنيف في جمع البيانات وتصنيفها، أو أسلوب القياس الذي يستخدم، وغير ذلك من تلك الأساليب.

وعلىنا مراجعة ما سبق جيداً، لو تم استبعاد أي خطأ من تلك الأخطاء، ولذلك يجب مراجعة النتائج بدقة من خلال جميع العمليات الإحصائية، وتدوين النتائج، أو إدخالها الحاسب الآلي، ومعنى هذا: عند مراجعة الخطوات الإجرائية للبحث نتأكد من أن النتائج تميل فعلاً التي حصلنا عليها من العينة، وبذلك نتأكد، ومعنى هذا: أن التحيز قد ينشأ من إجراءات البحث، وليس من عينة البحث في حد ذاته، بسبب إجراءات البحث.

نجد أن اختيار العينات باستخدام أفضل الأساليب لا يضمن أن تكون تلك العينة المختارة ممثلة للمجتمع، أحياناً أخطاء في المعاينة، أو أخطاء العينة في اختيار العينة- لا يسيطر عليها الباحث، ويمكن أن تحدث بدون قصد، وخطأ العينة ليس تحت سيطرة الباحث، ولكنه يحدث نتيجة المعاينة العشوائية، وخطأ المعاينة عندما تتباعد قيم معالم المجتمع الحقيقية نتيجة للمعاينة العشوائية عن القيم التي حصلنا عليها من العينة، مثلاً: لو طبقنا اختبار ذكاء على مائة طفل في سن العاشرة، حصلنا على متوسط نسبة الذكاء بين هؤلاء الأطفال قدره: 105 درجة، ثم طبقنا الاختبار على مائة طفل آخر وحصلنا على متوسط قدره: 95، وكان متوسط نسب الذكاء لدى مجتمع آخر 100، فإن متوسط العينة الأولى يزيد بمقدار خمس درجات عن متوسط المجتمع، في حين أن متوسط العينة الثانية يقل خمس درجات عن متوسط المجتمع، وهذا التباين في متوسطات العينات يرجع أساساً إلى الخطأ المعياري، ولا يرجع إلى الباحث، كما أنه لا يرجع إلى عيب في الأسلوب

العشوائي للاختيار، ومن ثم هو نتيجة للتباين الراجع إلى عامل الصدفة الذي يحصل كما حصلنا عليه في العينة العشوائية.

وهنا يجب علينا إدراج كيفية حساب الخطأ المعياري، يمكن حسابه: الخطأ المعياري يساوي عين على جذر نون، عين تمثل الانحراف المعياري، نون يمثل عدد أفراد العينة، أو حجم العينة.

إذن الخطأ المعياري يساوي عين على جذر نون، وعين هي الانحراف المعياري لقيم العينة.

يتبين من المعادلة: أن حجم العينة يؤثر تأثيراً على قيمة الخطأ المعياري؛ لأن الخطأ المعياري يقل كلما زاد حجم العينة، ويزيد الخطأ كلما قل حجم العينة، وهنا الشكل الذي معنا يحدد لنا كلما زاد حجم العينة كلما قل الخطأ المعياري، وكلما قل حجم العينة زاد الخطأ المعياري، وبذلك يتضح لنا الترابط بين الاثنين.

العنصر الثاني : إجراءات الضبط

الصدق والثبات في البحوث النوعية

تباينت الآراء حول ما إذا كان من الممكن تطبيق مفهوم الصدق في مجال البحث الكيفي حيث ارتبط هذا المفهوم تقليدياً بالبحث الكمي لدرجة أن بعض الباحثين الكيفيين يرون أن مفهومي الصدق والثبات لا علاقة لهما بهذا المجال نظراً للتناقض ما بين الافتراضات الانطولوجية والابستمية لكل من منهج البحث الكمي ومنهج البحث الكيفي غير أن كثير من الباحثين الكيفيين لا يميلون نحو هذه النظرية المتطرفة بل وكثير ما يستخدمون ذات المفهوم للمقارنة ما بين الأعمال البحثية في مجالهم من منطلق أن مفهوم الصدق في البحث يتمتع بالواقعية والمنطقية والثقة . وهناك العديد من المحاولات الرامية إلى تطوير استخدام معيار الصدق في البحث الكيفي منها إسهامات "كيرك" و "مللير" و "بريسيل" و "لنكولن" و "جوبا" و "ماكسويل".

ويشير "ماكسويل" إلى ثلاثة أنواع من الصدق يعتبرها الأهم في مجال البحث الكيفي وهي

1- الصدق الوصفي :

2- الصدق التأويلي أو التفسيري.

3-الصدق النظري.

أنواع الصدق

1- الصدق الوصفي: ويشير إلى درجة الدقة الواقعية التي تتحلّى بها تقارير الباحثين ، والتساؤل الأول الذي يتم توجيهه للتحقق من ذلك يدور حول ما إذا كان ما قد تم عرضه من وقائع عن مجتمع الدراسة يحدث بالفعل ، وعما إذا كان الباحثون يعرضون ما سمعوه وشاهدوه ولا شيء غيره ، وتتبع أهمية شكل الصدق هذا من أن الوصف هو واحد من أهم أهداف البحث النوعي بشتى أهدافه وتوجهاته.

ومن الاستراتيجيات التي تستخدم للحصول على الصدق الوصفي :

التعدد وهي تتضمن استخدام عدة مراقبين لملاحظة ووصف سلوك مجتمع الدراسة والإطار الذي يوجدون فيه وهذه الطريقة تسمح بالتأكد من دقة الملاحظات حتى يتمكن المراقبون من الاتفاق على ما تم الوصول إليه مما يجعل البحث أكثر جدارة بالثقة.

2- الصدق التأويلي أو التفسيري: يعني الدقة في تمثيل المعاني للظواهر المدروسة كما يتصورها المبحوثون أنفسهم أي النظر إليها بعيونهم والتعبير عما يدور في دواخلهم وتوضيح وجهة نظرهم في إطار فهمهم الخاص للكون ، ويعتمد ذلك على مدى قدرة الباحث على الفهم الدقيق لآرائهم وأفكارهم وأحاسيسهم وتجاربهم بشكل موضوعي مجرد.

ومن أهم استراتيجيات هذا النوع هو أسلوب المشاركة الاستراتيجية للمبحوثين ويتضمن هذا الأسلوب رجوع الباحث لمجتمع الدراسة للتحقق من مواقفهم على ما توصل إليه من تفسيرات ، وتكمن نقطة الضعف في هذا الأسلوب في إمكانية محاولة بعض افراد مجتمع الدراسة تجميل مواقفهم على حساب الموضوعية والدقة .

3- الصدق النظري: يمكن أن يقال عن البحث الكيفي أنه يتمتع بصدق نظري عندما يتناسب التفسير النظري مع الواقع الميداني بحيث يعطي القارئ انطباعاً بأن البحث معقول وجدير بالثقة من هذه الناحية ، وإحدى وسائل تحقيق الصدق النظري هي تمديد فترة الدراسة الميدانية بصورة تمكن الباحث من الثقة فيما توصل إليه من ثبات لأنماط العلاقات التي تتم ملاحظتها ومن ثم الفهم لأسباب حدوثها على تلك الصورة.

وبالبحث باستخدام عدة نظريات مختلفة لدراسة الظاهرة قيد البحث نظراً لأن تنوع النظريات يمكن أن يؤدي إلى نظرية تحليلية أعمق، ومع بناء التفسير النظري لا بد للباحث من وضع التكهّنات القائمة على البناء النظري المستخدم ووضع دقة تلك التكهّنات قيد الاختبار.

4- **الصدق الداخلي** : أي المقدرة على استجلاء العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة. وتتحدد درجة الصدق الداخلي بالدرجة التي يمكن أن يقال بها عن العلاقة الملاحظة بأنها سببية

5- **الصدق الخارجي**: أي المقدرة على التعميم خارج نطاق مجالات البحث المحدودة. وتبرز أهميته عند محاولة تعميم نتائج دراسات معينة لأشخاص أو ظروف أو أزمان أخرى على الرغم من أن التعميم أصلاً ليس من الأهداف الرئيسية للبحث الكيفي لسببين رئيسيين أولهما أن الأشخاص والأماكن التي يتم اختيارها للبحث الكيفي نادراً ما تكون قد اختيرت

عشوائياً. وثانيهما أن بعض الباحثين الكيفيين يهتمون بالخصائص المميزة لمجتمعاتهم البحثية أكثر من اهتمامهم بما يمكن تعميمه منها.

ونجد أن محاولة استجلاب المعايير الكمية للصدق ومحاولة تطبيقها على البحوث القائمة على النهج النوعي هي عملية غير مبررة علمياً كما أنها لا تلائم طبيعة المعرفة التي يوفرها المنهج فالباحث النوعي لا يسعى لتقديم مقاييس محايدة وممثلة لآراء مجتمع الدراسة بل يحاول تعميق فهمه للظاهرة الاجتماعية من خلال التحليل المتعمق والحساس لطبيعة وعي المتفاعلين في إطار تلك الظاهرة وهو يقوم بقراءة الوثائق والمذكرات الميدانية بحثاً عن إحياءات ووسائل جديدة لفهم الموقف وهي مهمة لا تصلح معها أساليب المنهج الوضعي التي إذا أقحمت قسراً ستجعل من البحث النوعي وسيلة ضعيفة من وسائل البحث الكمي تمكن من جمع البيانات الحساسة وتفقد تلك الخصائص التي يتميز بها المنهج الكيفي إذن لابد من إعادة النظر في قضايا العمق والصدق في البحث الكيفي ورفض المعايير الوضعية من أجل التبصر المتعمق في البحث النقدي الاجتماعي ، من هذا المنظور فإن قضية الصدق يمكن تناولها على أساس التناول التأملي للعلاقة ما بين إفادات المبحوثين والتحليل البنائي والتاريخي الأوسع.

العنصر الثالث : تحقيق الموثوقية

سيُكلّف الباحث بعمل قائمة أولية للمصادر التي سيعتمد عليها؛ لكي يكون على تأكد من أن لديه من المصادر ما يكفي لإجراء بحثه. هذه مسألة مهمة ولا ينبغي التهاون فيها، ولا التفريط فيها، وهنا سنتحدث عن طرق تسجيل هذه القوائم للمصادر التي سيعتمد الباحث عليها. وهناك أمر مهم جداً نشير إليه: أن الباحث سينفذ هذه الطريقة نفسها عندما ينتهي من إجراء بحثه وكتابته بصورة نهائية، سيُكلّف مرة أخرى بكتابة قائمة بمصادره ومراجعته؛ فكأنه يكتبها مرتين: كتابة أولية قبل

إجراء البَحْث، وكتابة نهائية بعد الانتهاء من البَحْث؛ ولذلك علينا أن نتذكر هذا دائماً؛ وعلينا أن ننتبه إلى مثل هذا الأمر.

ونشير إلى أنه بصفة أساسية: على الباحث أن يكتب اسم كل مَصْدَر في بطاقة مستقلة؛ فبعض الباحثين يكتب في كُراسات أو في كشاكيل، أو نحو ذلك، ولكن هذه مسألة مُعقّدة، وهي لها بعض الصعوبات؛ لكننا هنا نفضّل ونختار: أن يكتب الباحث اسم كل مَصْدَر في بطاقة مُستقلة، يُدوّن فيها اسم المؤلف في أعلى البطاقة. يقول مثلاً: ابن تيمية، وتحت عنوان الكتاب، أي: كتاب لابن تيمية: (نقض المنطق) كما كنا نتحدّث منذ قليل، ثم تحته: اسم المَكْتَبَة التي بها الكتاب، والأرقام والرموز الموضوعّة أمام اسم الكتاب في المَكْتَبَة التي يرجع إليها. فلنفرض أنه يقرأ هذا في مكتبة الجامعة، أو في المَكْتَبَة العامة الموجودة في الحي الذي يسكن فيه، أو المَكْتَبَة الوطنية الخاصة بالدولة كلّها، فيكتب كل هذه البيانات؛ حتى يسهل عليه الرُّجوع إليها لطلبها مرة أخرى في مرحلة من مراحل البَحْث. لا يتهاون في هذا ويعتمد على الذاكرة، ويقول: كلما أتى أبَحْث في الأدرج، أو في القوائم، أو نحو ذلك. وإنما عليه أن تكون المعلومات جاهزة أمامه على تلك البطاقة التي يُدوّن عليها كل هذه المعلومات.

وإذا فرضنا أنّ الكتاب كان مملوكاً للباحث، فإنه يكتب أمامه ما يدلّ على ذلك: يكتب مثلاً: كتابي، أو خاصّ بي، أو هذا الكتاب عندي، أو نحو ذلك؛ حتى لا يَبْحْث عنه في مكتبات أخرى وهو عنده. وبعضنا قد يرى في مثل هذه المسائل نوعاً من التزيّد في المعلومات، لكن الذاكرة تخون، وقد يمتد البَحْث إلى عدد من السنوات، وربما نسي الباحث أنّ هذا الكتاب عنده ... اشتراه أو لم يشتريه ... اطلع عليه في مَكْتَبَة ... فذكر هذه البيانات مهمّ حتى يكون على دراية، ولا يضطر في كل مرة إلى أن يبدأ البَحْث عن الكتب، وكأنه يدخل إلى الموضوع لأول مرة.

فإذا كَتَب قوائم بهذه المَصَادِر، فإنه يقوم بترتيبها ترتيباً له مَنَهَج خاص. إمّا أن يُرتّب بحسب اسم المؤلف، أو يُرتّب بحسب عنوان الكتاب ليسهل عليه الوصول إلى بياناتها، ويسهل عليه استخدامها. وعلى الباحث أن يعلم أن كتابة بطاقات التعريف بالمصادر ضرورية ومهمّة؛ لكثرة الكتب التي سيجد نفسه مضطراً إلى مراجعتها. وقد تصل بعض المراجع والمصادر في بعض الأبحاث إلى مئات الكتب، ليس عشرة، ولا خمسة عشر، ولا ثلاثين أو أربعين، ولكنها قد تصل إلى مئات الكتب؛ فإذا لم يكن الباحث مُدوّنًا لبياناتها، ومَوَاضِع وجودها، وأرقامها، فسيَتَعَذّر عليه الوصول إليها، إلّا بجهد جَهِيد، وربما لا يتمكّن من الرُّجوع إليها. ثم إن كتابة بطاقة خاصة لكل كتاب تجعل من السهل ترتيبها ترتيباً على حَسَب (أ، ب، ت، ث)، كما يسهل عليه تَقْدِيمها، أو

تأخيرها بسبب المصادر الجديدة التي يَهْتَدِي إليها في المكتبات، أو يَحْصُل عليها بالشراء، أو بالتصوير، أو نحو ذلك.

وهناك مسألة شكلية ولكنها مهمة، أنه يستحسن أن تكتب بيانات هذه البطاقات بالجبر الجاف، ليس بالقلم الرصاص؛ حتى لا تُطْمَس، أو تُمَحَى من كثرة الاستعمال. كما يُستحسن أن يَكْتُب فكرة مُجْمَلَة عن الكتاب الذي رَجَعَ إليه، والتَّخْصُّص العام الذي يَبْحَث فيه، وأهم الموضوعات والعناصر التي يتضمَّنُها؛ لأنه قد يحتاج إلى مراجعته مُستَقْبَلًا، وقد تبرز الحاجة إلى استيفاء بعض نقاط البَحْث التي لم يكن قد تَنَبَّه إلى أهميَّتها في قراءته الأولى، وعندئذ يُمكن له أن ينظر في البطاقات لتحديد المصادر التي تُساعده على استيفائها، دون بَحْث جديد في قوائم المصادر، والموسوعات، والمكتبات.

وعلى سبيل المثال: لنفترض أنه يَبْحَث عن شخصية مُعَيَّنَة، أي شخصية، مثلًا من العلماء في عصر قديم، أو في عصر حديث، فوجد كتابًا يتضمَّن بحثًا عن هذه الشخصية، مع شخصيات أخرى في نفس الكتاب الذي يَرْجِع إليه، يكتب عناوين الأسماء التي كتبت عنها هذه البحوث؛ حتى إذا احتاج أو اضطر إلى كتابة شيء عن إحدى هذه الشخصيات، فإنه يَعْرِف هذه الكتب التي تتضمَّن الحديث عن هذه الشخصيات، التي ربما يجدُ له في أثناء البَحْث الاهتمام بها، ومُقارنتها، وموازنتها بالشخصية التي يَبْحَث عنها، وهكذا. هذا يدفعنا إلى أن نقوم بعملية تصنيف لبطاقات التعريف بهذه الكتب، وسيتبين لنا من دراسة هذا الموضوع، أن نوعيات هذه الكتب كثيرة، وكيفية تسجيلها تحتاج منا إلى عناية.

تقسيم المصادر في بطاقات التعريف وتسجيل المعلومات:

سنجد أن هذه المصادر بصفة عامة تنقسم إلى قسمين كبيرين: المصادر المطبوعة، والمصادر المخطوطة، والأشرطة المصورة، والأحاديث الإذاعية، والبرامج التلفزيونية، والأفلام السينمائية، والمقابلات الشخصية. وكل نوع من هذه الأنواع له طريقة في تدوين البيانات الخاصة به؛ كيف نكتبها في بحثنا؟

ليست المطبوعات كالمخطوطات، وليس المطبوعات والمخطوطات كالأفلام المصورة، أو المعلومات المأخوذة عن "الكمبيوتر". كل واحدة من هذه لها طريقة في التسجيل، سواء في القوائم الأولى، أو في القوائم النهائية، التي سنضطر إلى تدوينها في نهاية كل بحث علمي.

أولاً: الكتب المطبوعة:

يتم تدوينها على النحو التالي:

- رقم الكتاب، واسم المكتبة التي يوجد الكتاب بها، ويوضع الرقم في الزاوية العليا من يمين البطاقة، وتحت اسم المكتبة. فإذا كان ملكاً خاصاً، فيكتب ما يدل على ذلك. ثم يكتب بعد ذلك: اسم المؤلف، ويبدأ بالاسم أولاً، اتباعاً لما كان سائداً في بعض الكتب العربية القديمة، مثل: (تاريخ بغداد)، أو (وفيات الأعيان)، أو (طبقات السبكي)، أو نحوها من الكتب، ثم يكتب اللقب أو الكنية إذا كان مشهوراً بهما.

عليه أن يلتزم طريقة واحدة في الكتابة؛ حتى لا يقع في خلط. وإذا كان للكتاب أكثر من مؤلف، يُذكر كل واحد من هذه الأسماء بحسب ترتيبها الموضوع على غلاف الكتاب؛ حتى ولو كانوا أكثر من ثلاثة مؤلفين، موصولاً بينها بحرف "الواو"، مثل: ألفه فلان وفلان وفلان. ثم بعد ذلك يأتي عنوان الكتاب كاملاً، إلا إذا كان العنوان طويلاً فيكتب بذكر ما يدل عليه، مثل: (كتاب ابن خلدون)، اسمه يأخذ نحو سطرين، ومن هذا الاسم (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ... إلخ. فيكتب بكلمة (العبر). ومثل: (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)، يكتب بـ (كشف الظنون). يوضع خط تحت المصادر المطبوعة، أو تكتب بالجبر الثقيل. أما المخطوطات فتوضع بين قوسين صغيرين.

وتكتب في كل الحالات أرقام الطبعة، يعني إذا كانت الطبعة الأولى، أو الثانية، أو الثالثة، أو أكثر من ذلك ... بعض الكتب تزيد عن عشرين طبعة، وثلاثين طبعة. ثم يكتب اسم المحقق إذا كان الأمر يتعلق بالتحقيق، ثم بيانات النشر، كاسم البلد، ودار النشر، وتاريخ النشر. وإذا كان الكتاب مكوناً من أجزاء، يكتب تاريخ كل جزء رجع إليه من الكتاب، يعني: الجزء الثاني -مثلاً- من (البرهان في أصول الفقه) للجويني، أو الجزء الثالث من (إحياء علوم الدين)، أو الجزء العاشر من كتاب (الفتاوى) لابن تيمية، وهكذا. وينبغي ملاحظة كل هذه المعلومات لتدوينها.

وستحدث بشيء من التفصيل عن الطرق التي تدون بها بيانات الكتب المطبوعة والمخطوطة، وعلى الطالب أن لا يمل من ذكر التفاصيل في هذه الموضوعات، بل إن عليه أن يحتفظ بنماذج لكل نموذج نتحدث عنه؛ حتى يكون بين يديه؛ بحيث يتدرب على طرق تدوين هذه المعلومات، وبحيث يمكن له القياس عليها فيما يكلف به من البحوث فيما بعد ذلك. وقد أشرت منذ قليل إلى أن الكتب المطبوعة غير الكتب المخطوطة. وهنا سنذكر ذلك بالتفصيل.

المداخل الرئيسية للمعلومات الببليوغرافية للمصادر:

أولاً: أول ما يواجهنا -وعلياً أن نتحلى بالصبر ونحن نستمتع لهذه المعلومات: الكلام عن "القرآن الكريم" على سبيل المثال: في بحوثنا العربية والإسلامية نحتاج إلى اقتباسات من "القرآن الكريم"، فإذا أردنا أن نُشير إلى ما أخذناه من "القرآن الكريم"، فإننا نكتفي بذكر عبارة "القرآن الكريم"، ثم اسم السورة التي أخذنا منها الاقتباس، وإذا كنا نكتب شيئاً بعد ذلك فسنكتب اسم السورة، ورقم الآية ...

أما ما يتعلق بكتب أهل الكتاب: "التوراة" و"الأنجيل"، فعلياً أن نلاحظ أن لها ترجمات متعددة، ولذلك يُكتب أمامها الترجمة المعنية منسوبة إلى صاحبها، الفصل، أو السُّفر، عدد الطبعة، وهكذا. هذا فيما يتعلق بالكتب الدينية وأعلامها "القرآن" الذي يوضع وحده في بندٍ مُستقل لا يدخل مع غيره؛ لأنه كلام الله العظيم، ونوره المبين، وهو جدير بكل تقديس وتعظيم وتوقير؛ فيُكتب مستقلاً.

ثانياً: عند تدوين مصدرٍ من إعداد مؤلف واحد، يُكتب اسمه، ولقبه، وكُنيتُه، إذا كان له الألقاب والكنى، ثم عنوان الكتاب، وتحت الأجزاء، ورقم الطبعة، وإلا يُكتب: بدون -أعني: بدون تحديد لرقم الطبعة- ثم بلد الطباعة، يعني مثلاً: المملكة العربية السعودية، أو لبنان، أو مصر، أو سوريا ... إلخ. واسم المطبعة، ثم سنة الطبع -إن وجدت- وإلا يُكتب: (د. ت)، يعني: دون تاريخ.

ثالثاً: إذا كان للمصدر الذي سترجع إليه في البحث أكثر من مؤلف، فإن أسماءهم تُذكر على الترتيب بحسب ما جاء في العنوان ... الذي كُتب في العنوان أولاً يُكتب أولاً، والذي كُتب في العنوان "ثانياً" يكتب "ثانياً"، وهكذا. ثم تُكتب بقية المعلومات، على النحو الذي اتبع في الحالة السابقة، يعني: رقم الطبعة، اسم المؤلفين -كما قلنا- التاريخ، والبلد، وتاريخ الطبعة ... إلخ. كل هذا يُكتب مثلما جاء في الحالة السابقة التي سنعدُّ أساساً لأمر كثيرة، سوف نُحيل دائماً إلى ما قلناه في "ثانياً".

رابعاً: إذا كان لدينا كتاب لا يُعرف اسم مؤلفه، فإن المعلومات عنه تبدأ بذكر عنوان الكتاب، مثل: (رسائل إخوان الصفا)، هذه لا يُعرف أحدٌ من الذي ألفها، فالخانة التي يُكتب فيها اسم المؤلف غير موجودة، فنبدأ بالعنوان، وينطبق هذا على أي مخطوط لا يُعرف اسم صاحبه، ثم تدون بقية المعلومات.

خامساً: إذا كان المَصْدَرُ كِتَابًا مُحَقَّقًا لِنَصِّ ثَرَاثِي قَدِيمٍ، فيَكْتُوبُ أولاً اسم المؤلف الأصلي، ثم عنوان الكتاب، ثم اسم المُحَقِّق، ثم بَقِيَّةُ المعلومات.

سادساً: إذا تعاون على التَّحْقِيقِ اثنان أو أكثر، تُكْتَبُ الأَسْمَاءُ بِحَسَبِ ذِكْرِهَا عَلَى غِلَافِ الْكِتَابِ.

سابعاً: أما المَصَادِرُ التي إعدادُها من قِبَلِ هَيْئَةٍ عِلْمِيَّةٍ، كالموسوعات مثلاً، أو الكتب التي تَقُومُ بإصدارها مُؤَسَّسات عِلْمِيَّةٍ، يَنْبَغِي اتِّبَاعُ الْآتِي:

يُدَوِّنُ اسم الهيئة العِلْمِيَّةِ بَدَلًا من اسم المؤلف؛ لأنه ليس لدينا مُؤَلِّف. هنا لدينا مثلاً: عشر مقالات، أو خمسة عشر بحثاً ... إلخ. ثم تُكْتَبُ بعد ذلك بَقِيَّةُ الخُطُواتِ المَعْرُوفَةِ التي سَبَقَتْ الإشارة إليها أكثر من مرة: سَنَةُ الطَّبْعِ، وتاريخ الطَّبْعِ، واسم المطبعة، وبلد الطبع ... إلخ.

نموذج:

عندنا كتاب مؤلَّف بعنوان: (أبو حامد الغزالي في الذِّكْرَى المئويَّة النَّاسِعة لميلاده). سيُكْتَبُ في أعلى البِطَاقَةِ، المَجْلِسُ الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر. ثم تُكْتَبُ بَقِيَّةُ المَعْلُومَاتِ.

ثامناً: إذا كان المَصْدَرُ مكوَّنًا من عَدَدٍ من النُّصوص التي جَمَعَهَا بَعْضُ المُحَقِّقِينَ، كأن يَجْمَعُ بُحُوثًا ومقالات تنتمي إلى مَوْضُوعٍ مُعَيَّنٍ، وهي مِن عَمَلِ عَدَدٍ مِنَ المُؤَلِّفِينَ، مثل: (دراسات في الأدب العربي)، وَيُنْقَلُ فيها مجموعة من الدِّراسات حول هذا الأمر، أو (آداب المتعلِّمين)، وَيُنْقَلُ فيها عددًا من النصوص التي ذَكَرَها مَنْ عُنُوا بالتَّربِيَةِ والتعليم من المؤرِّخين القَدَامَى أو المُؤَلِّفِينَ المُحَدِّثِينَ؛ هنا يَنْبَغِي أن يُذَكَرَ اسم المُحَقِّقِ، أو الذي قام بالجمع، يُذَكَرُ مَحَلَّ اسم المؤلف. ثم يَذْكَرُ بعده كَلِمَةُ جَمْعٍ، أو إِعْدَادٍ، أو تَحْقِيقٍ؛ حَتَّى نُبَيِّنَ أَنَّ هذا ليس تَأْلِيفًا، ولكنه جَمْعٌ، أو إِعْدَادٌ، أو تحقيق، وهكذا.

تاسعاً: بالنسبة للكتب المُتَرَجِّمة، تُدَوِّنُ بياناتها على النحو التالي:

يُذْكَرُ أولاً: اسم صاحب الكتاب الأصلي، الذي أَلَفَ الْكِتَابَ في لُغَتِهِ الأَصْلِيَّةِ، ثم يُضَافُ عليه عنوان الكتاب، وأجزاؤه، ورقم الطَّبْعَةِ. ثم يَأْتِي بعد ذلك اسم المُتَرَجِّمِ، واسم المُراجِعِ إن وجد - بعض الناس بعد أن يُتَرَجِّمِ، يَعْرضُ عَمَلَهُ على مُتَخَصِّصٍ أعلى مِنْهُ، فيُراجِعُ التَّرْجَمَةَ، وَيَكْتُبُ الاسم على الغِلافِ أيضًا لِيُعْطِيَ الْكِتَابَ قِيَمَةً عِلْمِيَّةً. ثم بَقِيَّةُ البَياناتِ المُتَعَلِّقَةِ بِرَقْمِ الطَّبْعَةِ، وَبِلَدِ الطَّبْعِ، وتاريخ الطَّبْعِ ... إلخ.

عاشرًا: إذا كان الذين قاموا بالترجمة أكثر من واحد، فإن أسماءهم تُذكر بحسب ترتيبها على الغلاف. ثم تُدون بعد ذلك بقية البيانات.

حادي عشر: إذا كان عنوان الكتاب أو المصدر يتضمن اسم المؤلف، فإن الموضع المخصص لاسم المؤلف يُهمل، ويُبدأ بعنوان الكتاب، ثم بقية المعلومات. على سبيل المثال: (مجموع فتاوى ابن تيمية)، هنا الكتاب مكتوب عليه هكذا: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) ليس لدينا اسم في أعلى مكتوب عليه: ابن تيمية، وبعده العنوان؛ غير أنه يحسن عند تدوين الكتاب في قائمة المصادر بعد ذلك عند الكتابة، أن يُدون اسم المؤلف منفصلاً عن العنوان، ثم يُذكر العنوان بعد ذلك، فيقال: ابن تيمية -فوق- ثم (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية).

ثاني عشر: الكتب التي تصدر ضمن سلسلة، مثل سلسلة: "عالم المعرفة" مثلاً، في الكويت، أو سلسلة: "اقرأ" في مصر، أو سلسلة: "ماذا أعرف؟"، التي تصدر باللغة الفرنسية، وتُترجم إلى اللغة العربية، ومنها عدد كبير من المترجمات في لبنان، يُشار فيها أولاً إلى اسم السلسلة؛ حتى ننبين أن هذا الكتاب ضمن مجموعة من الكتب المتعددة في نطاق هذه السلسلة، ثم رقم الكتاب ضمن السلسلة: رقم واحد، أو رقم مائتين، أو ثلاثمائة ... إلخ. ثم تُذكر بقية المعلومات على النحو الذي سبقت الإشارة في: "أولاً".

ثالث عشر: يُطبّق على القصص والمسرحيات ما يُطبّق على الكتب، فيُذكر اسم صاحب القصة، ثم العنوان، ثم معلومات النشر التي سبق أن أُشير إليها أكثر من مرة.

رابع عشر: يُطبّق ذلك نفسه على المختارات الشعرية، التي يقوم باختيارها وجمعها أحد المهتمين من الشعراء ونحوهم. فمثلاً: لدينا كتاب اسمه: (مختارات البارودي)، قام البارودي، وهو شاعر من شعراء النهضة الشعرية الحديثة، ومن شعراء الإحياء للشعر العربي في العصر الحديث، قام بجمع عيون من التراث الشعري العربي القديم؛ لكي تكون مثلاً يحتذى الشعراء عند كتابتهم في العصر الحديث؛ لأن فيها فصاحة وبلاغة، ومقدرة على الوصف، والإبانة عن المشاعر والعواطف ... إلخ. فيُطبّق عليها ما يُطبّق على الكتب المؤلفة.

خامس عشر: المعاجم اللغوية، تُطبّق المعايير إذا كانت هذه المعاجم منسوبة لشخص بعينه؛ فيكتب أولاً اسم المؤلف، ثم عنوان الكتاب، ثم عدد الأجزاء، ثم رقم الطبعة، ثم معلومات النشر، كالبلد، والمطبعة، والتاريخ ... إلخ. ثم إذا كانت منسوبة إلى مؤسسة علمية، فيطبّق عليها ما

يجري على ما سَبَقَ أن أشرناه من كتب المؤسسات العِلْمِيَّة، مثل الذي جاء قَبْلَ في "ثامناً"، أو "سابعاً" فيما سَبَقَ.

سادس عشر: إذا كان الاقتباس من إحدى الموسوعات، فإنَّ تدوين البيانات يكون على النحو التالي:

عُنوان الموسوعة، مثلاً: (دائرة المعارف الإسلامية)، يليه عدد الأجزاء، عدد الطُبْعَة، وإذا لم يُذَكَّر على غلاف الموسوعة في أوَّلها أو في آخرها تحديد للعدد، فإنه يستعاض عن ذلك بذكر تاريخ الصدور. ثم يكتب بعد ذلك عُنوان المقالة، أو البَحْث الذي رجع إليه في هذه الموسوعة بين قوسين، ثم اسم كاتب المقالة، أو البَحْث العِلْمِي إذا كان مذكوراً، ثم اسم المُترجم إذا كان الاقتباس عن موسوعة مترجمة، ثم بيانات النشر.

سابع عشر: تتعلَّق بالدَّوريات، والدَّوريات هي ما يصدر بصِفة دورِيَّة، أي: على فترات مُحدَّدة، قد تكون أسبوعية، أو شهرية، أو فصلية - تصدر أربع مرات سنوياً على عدد فصول العام- أو نصف سنوية -أعني: مرتين في العام- أو حَوْلِيَّة -أي: تصدر مرة كل عام- ومثل هذه الدَّوريات تحتوي على مقالات مُتعدِّدة بأقلام مُختلفة، وبياناتها تدوَّن كالآتي: اسم الكَاتِب، عُنوان المقالة، عُنوان المَجْلَة، اسم البلد الصادر فيه العدد، رقم العدد، تاريخ الإصدار، رقم الصفحة. فإذا كان الاقتباس من صحيفة يومية فيذكر اسم الكَاتِب ... بعض الصُّحُف اليومية تتضمَّن مقالات ذات قيمة كَبيرة إذا كتبها أناس لهم أقدار في البَحْث العِلْمِي، فيذكر اسم الكَاتِب، ثم عُنوان المقالة، يليه عُنوان الصحيفة، كـ"الرياض" السعودية، و"الأهرام" المصرية، أو "الرأي" القطرية، أو "الوطن" الكويتية، أو "الدستور" الأردنية، أو نحو ذلك. ثم تاريخ النشر، ثم رقم العدد، ثم رقم الصفحة، ثم رقم العمود. وهذه كُلُّها من أجل توثيق المصدر الذي رجع إليه الباحث؛ حتى يمكن الرجوع إليه لَمَن أراد. ولنفتَرِض أنَّ المُشرف -على سبيل المثال- أراد أن يستوثق من معلومة، أو يتأكَّد من معلومة، أو من رقم جاء في البَحْث، فإنه يكون من السَّهل عليه أن يَرجع ما دامت كلُّ تلك البيانات موجودة. وكذلك يفعل الأساتذة الذين يُحَكِّمون في هذه المقالات قبل نَشْرِها، أو هذه البُحُوث عند مناقشتها. عند مناقشة رسالة الماجستير، أو الدكتوراه، قد يتشكَّك واحد منهم في معلومة، أو يُريد أن يتأكَّد، أو يريد أن يتوسَّع، أو نحو ذلك، فتكون البيانات واضحة جَلِيَّة، ويمكن الرجوع إليها بكل سهولة ويُسر. كل هذا عن المؤلفات والمصادر المطبوعة.

ثانيًا: المصادر المخطوطة:

أما المصادر المخطوطة، أو المنسوخة على الآلة الكاتبة، فهي القسم الثاني بعد المصادر المطبوعة. وأهم هذه المصادر الثانية هي: "المخطوطات"، ويُدَوَّن عنها المعلومات التالية. يكون البحث معنيًا بهذا الأمر: اسم المؤلف، مع ذكر تاريخ الوفاة إذا كان معلومًا، يليه عنوان المخطوطة بين قوسين، ثم يليه عدد الأجزاء إذا كانت المخطوطة ذات أجزاء، ثم يليه موضوع المخطوطة: في الفقه، أو في الأصول، أو في التفسير، أو في الحديث، أو في التاريخ، أو في العقيدة أو نحو ذلك. ثم يُذكر نوع الخط، ثم تاريخ النسخ، ثم اسم البلد الذي توجد فيه هذه المخطوطة.

ولا بدَّ أيضًا من الإشارة إلى مكان وجود هذه المخطوطة، ورقمها في المكان الذي توجد فيه، على سبيل المثال: مكتبة المدينة المنورة، أو مكتبة الأزهر، أو مكتبة فاتح بتركيا، أو مكتبة الإسكوريال في إسبانيا، أو المكتبة الوطنية بباريس، أو غيرها ... ثم وصف هذه المخطوطة على الحالة التي هي عليها، وهل هي ما تزال مخطوطة، أو أنه يرجع إلى صورة لهذه المخطوطة؟ ولا بدَّ من الإشارة إلى كل هذه المسائل. هذا هو النوع الأول.

النوع الثاني من المخطوطات: "الرسائل الجامعية" التي يرجع الباحث إليها؛ وهذا مصدر مهم جدًا -كما سبقَت الإشارة؛ لأن الرسائل الجامعية هي بُحُوث علمية مُحَكَّمة، أشرف عليها أساتذة، وناقشها أساتذة؛ فلا بدَّ من الرجوع إليها أيضًا. وعند الرجوع إلى هذه المصادر، والرغبة في تدوين بياناتها، فإننا نكتب اسم صاحب البحث أو الرسالة، ثم عنوان الرسالة، ثم الدرجة العلمية التي يتقدم الباحث لنيلها بهذا البحث: دبلوم، ماجستير، دكتوراه ... إلخ. ثم اسم القسم، والكلية، والجامعة، والبلد الذي نُوقش فيه هذا البحث، ثم السنة التي صدر فيها هذا البحث. كل هذه مهمة، كل واحد منها يُمثل شيئًا له قيمته عند تدوين هذه المعلومات.

ثالثًا: ممَّا ندخله: على سبيل المجاز في "المخطوطات": "الأشرطة، والأفلام، والكُتُب المصورة"، وهي وسيلة تلجأ المكتبات إليها عند نُذرة الكُتُب الأصلية، كالنسخ الوحيدة، مثل: مكتبة ليس فيها إلا نسخة وحيدة تقوم بتصويرها، أو مخطوط تخشى عليه المكتبة من التلف، أو تخشى عليه من الفقد، فتقوم بتصويره، ونحو ذلك. وتدوّن المعلومات عنها كالآتي: تُدوّن بيانات النشر الأصلية على حسب المعتاد في تدوين الكُتُب، ثم تُذكر معلومات التصوير، وتحتوي على ذكر كلمة: "تصوير"؛ لا بدَّ أن يكتب: هذا مُصوّر عن كتاب كذا، الذي طُبِعَته مكتبة كذا، ثم اسم البلد، ودار النشر، فالتاريخ، ثم رقم المصورة -إن وجد.

رابعاً: "المصادر السمعية، والبصرية"، كالأحاديث الإذاعية والتلفزيونية، أيضاً هذه لا بدّ من توثيقها بذكر اسم المتحدث، لقبه، ثم اسمه، وعنوان الحديث، واسم الإذاعة التي أذاعت الحديث، واسم البلد الذي نُشر فيه هذا الحديث، ثم التاريخ. وإذا كان برنامجاً تلفزيونياً يُذكر اسم الشخص المُعدّ -مُعدّ البرنامج نفسه- ثم عنوان البرنامج، وعنوان الحلقة، واسم المحطة، ورقم القناة، واسم البلد، والتاريخ، وهكذا. كل وسائل التوثيق لا بدّ من العناية بتدوينها.

خامساً: الشرائح المُمغنطة الحديثة، التي ظهرت بعد ظهور "الكمبيوتر" والثورة التي أحدثها في تخزين المعلومات واستدعائها، وهي وسيلة حديثة ذات إمكانات هائلة؛ لأنها تتسع لمعلومات كثيرة جداً، ثم إنها تخضع لطرق مُنظمة؛ بحيث يسهل استدعاء ما بها من معلومات في زمن يسير جداً. وقد أصبحت شيئاً فشيئاً من الوسائل المُهمّة، التي تعتمد عليها مكّاتبات الجامعات المُتقدّمة، بسبب ما تُقدّمه من خدمات جليّة في مجال المعلومات، مع اختصار الجُهد والزمن وتوفير المكان؛ لأن من الممكن أن يسجّل على شريط واحد ما تمتلئ به رفوف المكّاتبات.

ومن أمثلة هذه الشرائط المُمغنطة: تسجّل المحاضرات التي نقوم بها الآن خاصة بهذه المقرّرات؛ فهذه تُسجّل على شرائط، وهي تُعتبر من الوسائل التي تدخل في نطاق يمكن أن يُسمّى بالمخطوطات؛ لأنها ليست في كتاب بين يدي القارئ، ولكنها مُسجّلة. هذا من النظم التي تلجأ إليها الجامعات التي تقوم بالتعليم عن بُعد؛ لأن ذلك يُعدّ وسيلة من وسائل تدوين العلم، وبث العلم، ونشر العلم. فهذه أيضاً لا بدّ من العناية بتدوين المعلومات عنها. نُقدّم المادة العلميّة، من تقديم فلان، ولا بدّ أن يكون معروفاً ... إذا لم يكن معروفاً فهذه تُمثّل مشكلة ... ثم عنوان الموضوع، متبوعاً بكلمة تيم عن وصف الأداء العلمي، يعني: عن طريق "الكمبيوتر"، أو "الديسك"، أو أية وسيلة من الوسائل، ثم اسم المؤرّع وتاريخ التوزيع، وهكذا تُكتب كلّ البيانات التي تُؤدي إلى التّقة في المعلومات التي نأخذها من هذه الوسائل.

وقد ذكرنا في هذا النوع خمسة أنواع، وذكرنا في النوع الأول نحو سبعة عشر نوعاً، وهذه نماذج يمكن القياس عليها، والاعتماد عليها، إذا ما دخلنا إلى نطاق البحث العلمي.

ويمكن لنا التّوسع في هذه المعلومات عن طريق الرّجوع إلى:

- (كتّابة البحث العلمي)، للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، (ص: 87 - 107)، وهو من أوفى هذه الكُتب في هذه النقطة، ولهذا اقتصرنا عليه وحده؛ لأنه أوفى ما كُتب عن هذا الموضوع.

وبعض الكُتُب الأخرى لم تكتب إلا صفحة أو صفحتين، أو نموذج أو نموذجين، لكن هذا المَرَجع الذي أشرت إلى اسمه الآن تحدّث بطريقة وافية في هذا الموضوع.

الدرس التاسع

دور الباحث في أخلاقيات البحث العلمى

الاعتبارات الأخلاقية

أخلاقيات البحث العلمي (Research Ethics)

تقتضي أخلاقيات البحث العلمي احترام حقوق الآخرين وآرائهم وكرامتهم، سواء أكانوا من زملاء الباحثين، أم من المشاركين في البحث أم من المستهدفين من البحث، وتتبنى مبادئ أخلاقيات البحث العلمي عامة قيمتي " العمل الإيجابي " و " تجنب الضرر " ، وهاتان القيمتان يجب أن تكونا ركيزتي الاعتبارات الأخلاقية خلال عملية البحث ، وهناك بعض الاعتبارات بالنسبة للسلوك الأخلاقي تتضمن الآتي :

- المصداقية (Truthfulness)

يجب أن تكون نتائج بحثك منقولة بصدق، وأن تكون أميناً فيما تنقله، وألا تكمل أية معلومات ناقصة أو غير كاملة معتمداً على ما تظنه قد حصل ، ولا تحاول إدخال بيانات معتمداً على نتائج النظريات ، أو الأشخاص الآخرين .

- الخبرة (Expertise)

يجب أن يكون العمل الذي تقوم به في البحث مناسباً لمستوى خبرتك وتدريبك ، أولاً أعد العمل المبدئي ثم حاول فهم النظرية بدقة قبل أن تطبق المفاهيم أو الإجراءات ، وسيكون الشخص الخبير في مجال بحثك خير مساعد لك في اختيار الأشياء التي ينبغي عليك النظر فيها .

- السلامة (Safety)

لا تعرّض نفسك لخطر جسدي أو أخلاقي ، وخذ احتياطاتك التحضيرية عند التجارب كلها ، ولا تحاول تنفيذ بحثك في بيئات قد تكون خطرة من النواحي الجيولوجية ، الجوية ، الاجتماعية ، أو الكيميائية ، كما أن سلامة المستهدفين من البحث مهمة أيضاً ، فلا تخرجهم أو تشعرهم بالخجل أو تعرضهم للخطر في موضوع بحثك.

- الثقة (Trust)

حاول بناء علاقة ثقة مع الذين تعمل معهم ، حتى تحصل على تعاون أكبر منهم ونتائج أكثر أدقة، ولا تستغل ثقة الناس الذين تقوم بدراساتهم .

- الموافقة (Consent)

تأكد دائما من حصولك على موافقة سابقة من الذين تود العمل معهم خلال فترة البحث ، إذ يجب أن يعلم الأفراد المراد دراستهم أنهم تحت الدراسة ، فمثلا إذا احتجت الدخول في ملكية الآخرين عليك الحصول على موافقتهم لذلك ، فعدم التخطيط المبدئي والجيد لبحثك قد يضطرك للبحث عن موقع آخر والبدء من جديد

- الانسحاب (Withdrawal)

الناس لديهم الحق للانسحاب من الدراسة في أي وقت ، وتذكر دائما أن المشاركين غالبا ما يكونون متطوعين ويجب معاملتهم باحترام وأن الوقت الذي يخصصونه لأجل بحثك يمكنهم أن يقضوه في عمل آخر أكثر ربحا وفائدة لهم ، ولهذا السبب يجب أن تتوقع انسحاب بعض المشاركين ، والأفضل لك أن تبدأ بحثك بأكثر عدد ممكن من الأفراد لتضعهم تحت الدراسة ، بحيث يمكنك الاستمرار مع مجموعة كبيرة كافية لتتأكد من أن نتائج بحثك ذات معنى .

- التسجيل الرقمي (Digital Recording)

لا تقم بتسجيل الأصوات أو التقاط صور أو تصوير فيديو دون موافقة المستهدفين من البحث ، وأحصل على الموافقة المسبقة قبل بدء أي تسجيل ، ولا تحاول استخدام آلات تصوير أو ناقلات صوت مخبأة لتسجيل أصوات وحركات المستهدفين ، ولا بد أن تدرك أن طلب الموافقة بعد التصوير غير مقبول .

- التغذية الراجعة (Feedback)

إذا كان بمقدورك إعطاء تغذية راجعة للمستهدفين من بحثك فافعل ، قد لا يكون بمقدورك تزويد المشاركين بالتقرير كاملا ، ولكن إعطائهم ملخصا أو بعض العبارات والتوصيات قد تكون مهمة لديهم وتفي بالغرض المطلوب ، ومهم جداً أن تعرض عليهم الصور والأصوات أو النصوص المطبوعة للعبارات التي قالوها مسبقا قبل النشر ، حتى لا يتعرض المستهدفون لأي ضرر جسدي أو معنوي بسبب تفسيرك لما قالوه أو فعلوه ، تأكد دائما من أخذ الموافقة المسبقة قبل النشر .

- الأمل المزيف / الكاذب (False Hope)

لا تجعل المستهدفين يعتقدون من خلال أسئلتك بأن الأمور سوف تتغير بسبب بحثك أو مشروعك الذي تجريه، ولا تعطِ وعودًا خارج نطاق بحثك أو سلطتك أو مركزك أو تأثيرك.

- مراعاة مشاعر الآخرين (Vulnerability)

قد يكون بعض المستهدفين أكثر عرضة للشعور بالانهزامية أو الاستسلام بسبب عامل السن أو المرض أو عدم القدرة على الفهم أو التعبير؛ فيجب عليك مراعاة مشاعرهم.

- استغلال المواقف (Exploitation)

لا تستغل المواقف لصالح بحثك؛ فلا تفسر ما تلاحظه أو ما يقوله الآخرون بشكل غير مباشر حتى تخدم بحثك .

- سرية المعلومات (Anonymity)

عليك حماية هوية المستهدفين في كل الأوقات فلا تعطِ أسماء أو تلميحات تؤدي إلى كشف هويتهم الحقيقية، ويمكن تحقيق ذلك من خلال تحويل الأسماء إلى أرقام أو رموز مع التأكد من إتلاف كل ما يتعلق بهوية المستهدفين بعد انتهاء الدراسة .

الدرس العاشر

معالجة وتحليل وتفسير البيانات في البحوث النوعية

تفسير البيانات والمقارنات والاسباب والنتائج والعلاقات.

السمات العامة لجمع البيانات في البحث النوعي

- أدوات جمع البيانات التي يركز عليها البحث الكمي هي الاستبيان النمطي المكتوب والمعد مسبقاً، والملاحظة المجردة المنظمة، والاختبارات والمقاييس. إضافة إلى العينات التي غالباً ما تكون عشوائية.
- بينما يركز البحث النوعي على أدوات أخرى، هي:
 - أ- العينة القصدية، أو العينة المقصودة مع التركيز على نوع واحد أو أكثر من أنواعها.
 - ب- الملاحظة المشاركة.
 - ج- المقابلة المتفاعلة.
 - د- تحليل الوثائق والآثار ذات العلاقة، في تفسير الظاهرة المبحوثة والتعبير عنها بعبارات سردية وإنشائية.
- لا تصمم مثل هذه الأدوات المذكورة بشكل مسبق متكامل. ولا يقوم الباحث بتطبيقها على عينة بحث محددة بشكل منهجي وصارم، بل قد يختلف أسلوب المقابلة بين فرد وآخر من أفراد العينة
- يستخدم الباحث النوعي أسلوب الملاحظة، أو أسلوب المقابلة غير المحددة بدقة، وليست ثابتة الظروف والشروط والأسئلة
- ما يهتم الباحث النوعي بالدرجة الأساس أن يتعمق في الحصول على معلومات وافية إذا وجد الباحث النوعي أن أحد أفراد العينة يمتلك معلومات إضافية مهمة أو جديدة فإنه يمدد وقت المقابلة، ويزيد من الأسئلة، ومن فترة الحوار والاستماع، بغض النظر عما حدث في المقابلات الأخرى.

أولاً: العينة المقصودة Purposeful Sampling

في الوقت الذي يركز الباحث الكمي على العينات العشوائية، يعتمد الباحث في البحث النوعي إلى اللجوء إلى العينات والمعانيات المقصودة (القصدية أو العمدية) فالعينات القصدية هي على عكس من العينات أو المعانيات الاحتمالية Probabilistic Sampling التي تعتمد على التمثيل العشوائي أو الإحصائي.

وحيث إن الباحث يحتاج إلى فهم واسع ومتعمق للحالة أو الظاهرة التي يدرسها، من جهة، وهو لا يرغب أو يحتاج إلى تعميم نتائجه على الحالات الأخرى المشابهة، من جهة ثانية، لذا فإنه من

الأفضل أن يلجأ إلى العينة القصدية التي تعينه في استثمار المعلومات المجمعة من عينة محدودة الحجم.

وفي العينة القصدية يستطيع الباحث التأكد من أن عينة المختارة تمتلك كمية وافية متنوعة ومتعمقة من المعلومات، وأنها مستعدة لتقديم مثل تلك المعلومات. فهو سيتحرى عن عينة غنية بعطاءها من المعلومات المطلوبة، وعن موقع يؤمن له التسهيلات الوافية للوصول إلى مثل هذه المعلومات.

ولا يسعى الباحث النوعي إلى اختيار عينة عشوائية (بسيطة أو منتظمة أو طبقية ...) لسببين: أ- يفضل الباحث اختيار عينة من أفراد مجتمع البحث الذين يمتلكون معلومات وفيرة وغنية ودقيقة. فهو يستثني أفراداً عديدين في موقع البحث، لا يمتلكون معلومات وفيرة وغنية، أو أن معلوماتهم التي يمتلكونها هي غير صحيحة، وتفتقر إلى الدقة.

ب- لأن الباحث لا يرغب أو يركز على تعميم نتائج بحثه.

- اختيار الموقع Site Selection، أي مكان الظاهرة المبحوثة، هو جانب آخر مهم في تحديد نوع المعاينة والعينة المطلوبة للباحث. واختيار الموقع مرتبط بفرضية البحث. ومن الأفضل والمطلوب أن يحدد الباحث النوعي أسلوب اختياره لموقع البحث. مثال ذلك إذا كانت مشكلة البحث مرتبطة بمشكلة أثر التدريب في رفع مستوى الأداء عند العاملين في بنك ما، فعلى الباحث أن يختار موقعه بشكل يرتبط بالتدريب بشكل مباشر.

أنواع العينات المقصودة المستخدمة في البحث النوعي:

1. العينة الشاملة Comprehensive Sample:
2. والتي تشمل كل فرد أو عنصر موجود في موقع البحث. وكذلك كل وثيقة متوفرة فيها. ويستخدم هذا النوع من العينة عندما يكون عدد أفراد الموقع أو الحالة المبحوثة محدوداً، أو أن الحالة المبحوثة محددة
3. العينة واسعة التباين Maximum Variation Sample: ويستخدم هذا النوع عندما يكون هنالك أكبر مدى من التباين، لتمثل كافة الفئات المتباينة الرأي في الموقع أو الحالة المبحوثة. فهي تشتمل على جميع الاتجاهات والتباينات. ويطلق عليها بعض الكتاب عينة الحالات المتطرفة Extreme cases
3. العينة الشبكية أو عينة كرة الثلج Network or Snowball:

حيث يقدم الشخص المبحوث بالتوصية للباحث بمقابلة شخص آخر يمتلك معلومات وافية ومتعمقة، ويقوم هذا الشخص الثاني بذات التوصية بالنسبة لشخص ثالث، ثم رابع وخامس، وهكذا تزداد العينة بتوصية كل شخص مبحوث بمبحوث آخر.

4. عينة الحالات الخاصة Sampling by Type:

قد يختار الباحث النوعي عينة مزدوجة من أكثر شكل من الأشكال المذكورة. أو يقوم بدراسة وضع معين من أوضاع الحالة المبحوثة باختيار عينة متطرفة أو مكثفة.

5. عينة الحالات النموذجية Typical case حيث يقرر الباحث ماهية السمات النموذجية التي يتحرى عنها في الأشخاص المبحوثين، ليفتش عنها في هذا الاتجاه.

تحليل البيانات

مرحلة تحليل البيانات هي المرحلة الحاسمة في البحث النوعي، وهي التي تعطي لهذا النوع ميزته، وتعطيه طعما خاصا وممتعا وتجعله مجالا للإبداع في التحليل والتركيب. وهي المرحلة التي يتميز فيها الباحث الخبير عن غيره. كما أنها المرحلة التي يختلف فيها البحث النوعي عن البحث الكمي بشكل واضح، ففي البحث الكمي يعتمد التحليل بالأساس على العمليات الإحصائية، بسيطة كانت مثل المتوسطات والتكرارات، أو المعقدة مثل تحليل التباين، بأنواعه، والقياسات المتكررة ونحوها. بينما التحليل في البحث النوعي أكثر عمقا وأبعد في سبر أغوار الظاهرة المراد بحثها.

وتنتهي مرحلة جمع البيانات عادة بكم كبير ومتنوع من البيانات، تشمل نصوص المقابلات، والملاحظات الميدانية والتعليقات المبدئية عليها، بالإضافة إلى وثائق متنوعة كثيرة تتعلق بموضوع البحث. ويبدو لأول وهلة أن تحليل المواد المجموعة وتفسيرها واستخراج معانيها أمرا شاقا. وكثيرا ما يجد الباحث المبتدئ نفسه في حالة ذهول - وربما إحباط - أمام هذا الكم الهائل من البيانات. لكنها بالنسبة للباحث الخبير والملم بموضوع بحثه تكون ثروة معلوماتية ومصدرا للإبداع والتعمق في التحليل.

كما أن تحليل البيانات هي العملية المنظمة للبحث في نصوص المقابلات والملاحظات الميدانية والمواد الأخرى التي جمعت من خلالها البيانات وتنظيمها لزيادة فهم الباحث لها وليتمكن من تقديم ما اكتشفه للآخرين. ويشتمل التحليل على العمل مع البيانات وترتيبها وتقسيمها إلى وحدات

يمكن التعامل معها وتركيبها synthesize بحثا عن أنماط patterns وأنساق واكتشاف ما هو المهم وما يمكن أن يستفاد من تلك البيانات.

متى تبدأ عملية التحليل؟

يبدأ التحليل بشكل أو بآخر مع بداية جمع البيانات بحيث ينتهي تقريبا بعد نهاية جمع البيانات بقليل. وهذا غالبا ما يقوم به الباحثون الميدانيون الخبراء المتمرسون في البحث النوعي. فعملية جمع البيانات لا بد أن يتخللها نوع من التحليل، ولو بشكل مبدئي. أما مرحلة التحليل الخالص فتكون بعد الانتهاء من جمع البيانات. ولذا فمن المرجح أن يقوم الباحث خاصة المبتدئ بالتركيز على جمع البيانات واستكمالها، ثم يتفرغ لعملية التحليل بعد ذلك.

وليس من الجيد بدء عملية التحليل بعد الانتهاء من جمع البيانات مباشرة، بل ربما كان من المفيد ترك البيانات قليلا والانشغال بشيء آخر، وذلك لطرد الملل عن نفس الباحث من ناحية، ولكي يخرج الباحث من جو البحث قليلا لكي لا يقرأ ما في ذهنه أثناء قراءته للبيانات. لكن ليس من الجيد أيضا أن تطول فترة الابتعاد، حتى لا ينسى الباحث السياقات التي جمعت فيها البيانات، والتي تفيد كثيرا في وضع الملاحظات على تلك البيانات.

مراحل تحليل المعلومات

تمر عملية تحليل المعلومات بعدة مراحل تبدأ من تنظيم البيانات لتسهيل الوصول لها إلى كتابة نتائج البحث (أو تقرير البحث). وتتنوع آراء الباحثين في تقسيم هذه المراحل، وتختلف أساليبهم في التحليل، وتختلف تسمياتهم لها بشكل قد يحدث إرباكا للقارئ. ومن خلال تتبع يمكن تحديد عدد من المراحل الأساسية التي يمر بها عادة أغلب الباحثين، وهي: تنظيم البيانات، وتصنيف البيانات، وتسجيل الملاحظات، وتحديد الأنساق والأنماط، صياغة النتائج، التحقق من النتائج، وأخيرا كتابة تقرير البحث.

مراحل تحليل البيانات

1. تنظيم البيانات

في هذه المرحلة يكون لدى الباحث كم كبير من البيانات، أمضى في جمعة مدة زمنية طويلة، ما بين مقابلة وملاحظة ووثائق وغير ذلك. كما أن لديه كما من الملحوظات الأولية التي سجلها أثناء جمع المعلومات. هذه المعلومات تحتاج إلى تنظيم وترتيب يساعد الرجوع لها بشكل سريع،

وعلى التعامل معها بشكل يبسر تحليلها. وليس هناك نمط تنظيم واحد، بل يمكن للباحث أن ينظم البيانات بالشكل الذي يراه مناسباً، فيمكن تصنيفها حسب طريقة جمع المعلومات (الملاحظة أو المقابلة أو الوثائق)، ويمكن تصنيفها على حسب الأفراد الذين أجري عليهم البحث، أو غير ذلك بما يراه الباحث ملائماً له وللأسلوب الذي سينتهجه في التحليل. ويمكن أن يتم هذا التنظيم بشكل يدوي، عن طريق وضعها في ملفات، أو يمكن الاستفادة من الحاسب في تصنيفها وفهرستها. وهناك برامج حاسوبية مخصصة للبحث النوعي تساعد على عمليات تنظيم البيانات وتحليلها، لكن حسب علمي لا يوجد شيء منها معرب.

2. تصنيف البيانات (coding)

في القراءة الأولية للبيانات يبدأ الباحث في تسجيل نظام تصنيف يسير عليه أثناء التحليل. وهذا النوع من التصنيف هو عبارة عن إعطاء عناوين للمعلومات التي تحتويها البيانات المجموعة. وهذه الجزئيات قد تكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة كاملة. فهذا التصنيف يكون عنوان أو اسم لتلك الجزئيات التي يرى الباحث أنها ذات معنى في بحثه. وبعض الباحثين يسمي هذا النوع من التصنيف (التصنيف المفتوح)، وقد يسمى (التصنيف الوصفي). وأسئلة البحث عامل أساس في تحديد وتوجيه نظام التصنيف.

3. تسجيل الملاحظات ((memoing))

بعد هذا التصنيف، يجب أن يعيد الباحث القراءة ويسجل ملاحظاته بعد أن استقر في ذهنه هيكل مبدئي لهذا النظام التصنيفي، أي بعد أن أعطى عنواناً مميزاً لكثير من جزئيات البيانات التي لديه، وبدأت تظهر لديه نقاط تمثل معالم وإن كانت باهتة لمعان في بداية التكون، لم تكن ظاهرة عند الجمع الأولي للمعلومات. وتكون هذه الملاحظات على شكل أسئلة تؤدي إلى مزيد من البحث سواء في المعلومات المتوفرة أو للبحث عن معلومات إضافية، أو على شكل تسجيل علاقات بين الفئات التي وضعت، لكنها تحتاج إلى تحقق. وكلما تكررت القراءة زاد احتمال اكتشاف شيء جديد في البيانات، ولذا فإن الباحث يجب أن يكثر من قراءة بياناته ولا يكتفي بالقراءة أو القراءتين. وفي هذه المرحلة يستطيع الباحث أن يحدد ما إذا كانت العينة التي حددها مرضية وتفي بغرض البحث أم لا. فكلما كثرت الأسئلة دون إجابات أو تعذر بناء نظام تصنيفي جيد كان ذلك مؤشراً على نقص العينة والحاجة لمزيد من البيانات.

4. تحديد الأنساق والأنماط

تحديد الأنساق والأنماط نوع من التصنيف، لكنه يكون على مستوى أعلى من التجريد، ولذا قد يسميه بعض الباحثين التصنيف المحوري axial coding، لأنه يجعل الفئات تدور على محور واحد، وقد يسميه آخرون أسر التصنيف coding families، لأنه يجمع عدد من الفئات في أسرة واحدة. وقد يسمى التصنيف الاستنتاجي (في مقابل التصنيف الوصفي). فبعد أن يتم التصنيف المفتوح، ويتم وضع الملاحظات عليها تعاد قراءة البيانات المصنفة، لتصنف الفئات مرة أخرى على شكل أنماط وأنساق في مستوى تجريدي أعلى من التصنيف المفتوح الذي هو عبارة عن عناوين لجزيات المعلومات. وهذا النوع من التصنيف يحتاج إلى تفكير عميق وقراءة متأنية، لإيجاد علاقات وعمل مقارنات بين مجموعات البيانات، بحيث يحدد الباحث ما هي الأنماط والأنساق التي تكونت من تصنيف البيانات، ويبدأ في ضم بعضها لبعض والمقارنة بين تلك الأنساق والأنماط.

5. صياغة النتائج

بعد تكون الأنماط والأنساق يحتاج الباحث إلى الترقى قليلاً في التجريد، ليصوغ تلك الأنماط والأنساق على شكل نتائج للبحث، تدعمها الأنساق التي ظهرت وتشكلت من خلال التصنيف الأساسي المفتوح. وبعض الباحثين يسمي هذه المرحلة التصنيف الانتقائي، وذلك لأن الباحث يختار في عملية التصنيف هذه ما يتناسب مع أسئلة بحثه، وربما يدع ما سوى ذلك. والنتائج في هذه المرحلة تبقى على شكل افتراضات propositions.

6. التحقق من النتائج

في هذه المرحلة يعود الباحث لقراءة بياناته وربما عاد للدراسات السابقة وأدبيات موضوع الدراسة، للتحقق من النتائج التي توصل إليها، ومناقشتها، وتعديل ما يرى تعديله أو بيان رأيه فيها. وهو في هذه المرحلة يتأكد من أن ما توصل إليه بعد عمليات التصنيف المختلفة لا يوجد في البيانات الأساسية ما يناقضه، أو يجعله يعيد النظر في الافتراضات التي توصل إليها. وعلى عكس ما هو موجود في البحث الكمي، يجب أن يكون التركيز على الدراسات السابقة وأدبيات الموضوع في هذه المرحلة، وليس قبل البحث، حتى لا تؤثر على آراء الباحث، وأسلوبه في التحليل. والتحقق في هذه المرحلة ليس مثل التحقق في البحث الكمي، حيث يدخل الباحث

بفرضيات يريد أن يختبرها، فالافتراضات في البحث النوعي إنما خرجت من عملية التحليل وليس قبله، وعملية التحقق منها إنما هي في الواقع جزء من عملية التحليل.

وعملية التحليل عملية متداخلة المراحل، وتستمر إلى آخر لحظة في كتابة تقرير البحث. ولذا يشير بعض الباحثين في البحث النوعي إلى أن البحث النوعي ليس له حد ينتهي عنده، خاصة عندما يكون موضوع البحث كبيراً ومعلوماته غزيرة والباحث خبيراً فيه. فلا بد من وضع حد يقرر الباحث أن ينتهي عنده البحث.

أ- اختيار موقع تنفيذ الدراسة وتكوين العلاقة مع المبحوثين:

حيث يترتب على طريقة اختيار موقع الدراسة الميدانية تأثير واضح على درجة الصدق ومستوى تعميم النتائج ومن الممكن الوصول إلى أفضل النتائج لكليهما إذا تم اختيار الموقع الأمثل لتنفيذ الدراسة وألا اعتمدت الدراسة على أسلوب المواقع المتعددة لتنفيذها .

وبعد اختياره لموقع الدراسة لا بد للباحث من إنشاء علاقة مهنية مع المبحوثين وهي علاقة تتفاوت من المختصرة التي تهتم بمقابلة متعمقة واحدة إلى طويلة المدى التي يعيش فيها الباحث المبحوثين لفترة طويلة نسبياً قد تمتد لبضعة أسابيع أو أشهر .

إن إدارة علاقة الباحث مع المبحوثين لمن الاعتبارات الهامة في أي بحث كفي ولكن من الصعب وضع اجراء معين لها كما أن كفايتها أو جدواها لا تظهر بصورة مباشرة لطرف ثالث مما يعني أن تقييم درجة الصدق فيها تعتمد على درجة الثقة في الباحث أولاً وأخيراً

ب- جمع البيانات :

تشير "جلشurst" إلى أربعة معايير تتمحور أساساً حول هذه المرحلة ولكنها تساعد في النهاية في تحقيق الصدق في البحث الكيفي بشكل عام وتمكن الباحث من اكتساب ثقة الآخرين في نتائجه وهي:

1- التدقيق من قبل المخبرين الأساسيين : وتتضمن هذه العملية عودة الباحث المستمرة للمخبرين الأساسيين بمجتمع الدراسة لا استشارتهم حول ما يقوم به من تحليل وحول ما يتوصل إليه من نتائج وتسجيل تعليقاتهم حولها.

2- البحث عن الأدلة المناقضة : وتقوم هذه العملية على القناعة بأن الصدق لا يعني تطابق ما توصل إليه الباحث من الواقع فحسب بل يتمثل في قوة الموقف في وجه ما يمكن أن يتعارض معه ويتضمن البحث عن الأدلة المناقضة استخدام العينة القصدية والمشاركة المستمرة.

3- التنويع: وهي عملية مراجعة أساسية للباحث تتضمن استخدام مصادر متعددة للبيانات ووسائل جمعها كما تتضمن أيضاً استخدام توجهات نظرية متنوعة للوصول إلى أقوى أساس ممكن للتحليل والنتائج.

4- الوصف المكثف :يعني توخي الدقة والتفصيل والعمق والشمول عند وصف السياق الكلي للدراسة ولا يكتفي هنا بوصف ما تم التوصل إليه من نتائج فحسب بل لابد من الاهتمام أيضاً بالوصف الدقيق للكيفية التي تم التوصل من خلالها لتلك النتائج.

ج- تحليل البيانات وكتابة النتائج:

وتبدأ عملية تحليل البيانات في البحث الكيفي بعد وقت قصير من بدء عملية جمع البيانات وتستمر متزامنة معها وهي عملية تفاعلية تتخذ عدة مسارات في آن واحد وقد ظهرت مؤخراً العديد من البرامج الحاسوبية التي جعلت عملية التحليل أكثر سهولة من خلال تعاملها مع البيانات من حيث إدخالها وتنظيمها وإدارتها ومعالجة بعض جوانبها إحصائياً.

ففي المرحلة الأولى من عملية التحليل ينظر الباحث أولاً إلى البيانات نظرة رأسية وبشكل مرتب وذلك لتحديد العلاقات والأنماط المتشابهة لترميزها ثم فرزها وتجميعها في مجموعات متشابهة وتسمى هذه العملية عملية بناء المجموعات.

الدرس الحادى عشر

معالجة وتحليل وتفسير البيانات في البحوث النوعية. (تابع).

العنصر الأول : بيانات المقابلات.

العنصر الثانى : المحتوى .

العنصر الثالث : الصور المرئية.

العنصر الأول : بيانات المقابلات

يتميز أسلوب المقابلات الشخصية عند استخدامه لجمع البيانات اللازمة لتحليل العمل بعدة مزايا منها على سبيل المثال:

1. إنه يتيح فرصة إظهار الأنشطة أو الاتصالات الغير رسميه التي يقوم بها شاغل الوظيفة والتي تنسم أنها غير مرئية لأنها غير موجودة بالهيكل التنظيمي للمنظمة .
2. إنه يتيح لشاغلي الوظائف التعبير عن آرائهم بحريه كامله وإظهار جوانب من الوظيفة يصعب كتابتها.

بعض الاعتبارات الواجب مراعاتها عقد مقابلات الشخصية:

1. أن يتم التعاون بين القائم بالمقابلة والرئيس المباشر في تحديد الأفراد الذين لديهم خبرات كبيره في الوظيفة والأفراد الموضوعين في وصفهم لواجبات ومسؤوليات وظائفهم.
2. تكوين علاقة ودية وسريعه مع شاغل الوظيفة الذي سيتم مقابلته وشرح الغرض من المقابلة وسبب اختياره للمقابلة, على أن يكون ذلك بأسلوب سهل وشيق.
3. أن يقوم أخصائي التحليل بإعادة هيكل المقابلة قبل بدءها , على أن يكون هذا الهيكل هو المرشد له إنشاء إدارة المقابلة .
4. إعطاء فرصة لشاغلي الوظيفة للتعبير عن رأيه , وإتاحة بعض الأسئلة ذات النهايات المفتوحة له لكي يسهب في شرح واجباته ومسؤولياته وان يوجه له سؤالاً عاماً في نهاية المقابلة عما إذا كان هناك بعض النقاط التي لم تغطى في المقابلة أم لا , وتترك له حرية الكلام .
5. إذا اتضح أن شاغل الوظيفة يقوم بأداء واجباته دون ترتيب أو تتابع معين , يطلب منه أن يحد أهميه تلك الواجبات ويرتبها ترتيباً تنازلياً , أو حسب حدوث الأنشطة , وتابع حدوثها .
6. بعد انتهاء المقابلة يجب مراجعة البيانات التي تم جمعها مع شاغل الوظيفة رئيسه المباشر .

نقاط مهمة للأخذ في عين الاعتبار عند إختيار طريقة جمع البيانات

- التخطيط المسبق: من المهم بأن تكون على علم مسبق بالفائدة المرجوة من جمع البيانات في الدراسة و النقاط التي يجب التركيز عليها عند جمع البيانات بحيث تفيدك في الدراسة.
- لا تكثر من الأسئلة: ركّز على الأسئلة المهمة و التي ستفيدك في الدراسة ولا تضيف أي أسئلة غير مهمة أو أي أسئلة قد لا تضيف أي قيمة إلى الدراسة.
- لا تنسى أن الأشخاص الذين سيجابوا على أسئلتك لديهم شغلات و مهام أخرى و هم ليسوا متفرغين للإجابة على أسئلتك فقط.
- قم بالتنسيق مبكرا إن تطلب الأمر: إذا كنت قد قمت باختيار طريقة جمع بيانات تتطلب زيارتك لعدد من الشركات أو المنظمات، قم بالتنسيق مبكرا مع هذه الشركات و أبلغهم برغبتك في جمع البيانات منهم.
- لا تترك الموضوع حتى آخر لحظة: جمع البيانات يتطلب بعض الوقت خصوصا إذا ما كانت عينة البحث كبيرة، و هو أمر لا بد أن يأخذه الباحث في الحسبان، خصوصا إذا ما كان هنالك موعد نهائي لتسليم الدراسة أو الرسالة، بحيث يتم الإنتهاء من جمع البيانات في مرحلة تسبق الموعد النهائي بوقت كافي يسمح لدراسة و تحليل البيانات التي تم جمعها.
- خذ جميع الاحتمالات في الحسبان: لا تجري الأمور دائما كما هو مخطط لها، لذلك، ضع في الحسبان جميع الاحتمالات و كيف يمكنك تجنب المشاكل التي قد تقع. فعلى سبيل المثال، ماذا ستفعل في حال لم تقوم بجمع البيانات الكافية للدراسة؟
- أعرض أسئلتك على عدد من الأشخاص: من المهم أن تقوم بعرض و تجربة الأسئلة (Pilot testing) على مجموعة من المتطوعين أو المعارف أو بعض من أفراد عينة البحث للتأكد من أن الأسئلة واضحة و لا توحى بالإجابات الصحيحة. أيضا تأكد من عدم وجود أخطاء إملائية أو أي أخطاء قد تتسبب في فهم السؤال بشكل خاطئ!.

العنصر الثاني : المحتوى

تعريف المحتوى:

يفهم المحتوى بأنه نظام واضح ودقيق من المعارف ، والقدرات والمهارات ، والقناعات والمواقف والسلوك ..الخ التي ينبغي على المتعلم اكتسابها في العملية التعليمية والتربوية.

وهو المضمون الذي يتم بواسطته تحقيق الأهداف التربوية. ويقصد بالمضمون المعارف (الحقائق - المفاهيم - المبادئ - القوانين - النظريات - المبادئ.....) والمهارات والجانب التربوي (الوجداني) (القيم ، المعتقدات والاتجاهات والميول...).

معايير اختيار المحتوى وتنظيمه:

ويعد تخطيط المحتوى من أكثر المراحل صعوبة في تخطيط المنهج، وذلك لعدم وجود معايير محددة متفق عليها يمكن الاستناد إليها في اختياره وتنظيمه.

وتتعلق المسألة هنا بتطوير معايير توضح ما المحتوى ذو القيمة والأهمية الذي ينبغي اختياره كمحتوى تعليمي وسط هذا الزخم من المعارف، وما المحتوى الممكن اختياره بحيث يراعى المتطلبات الاجتماعية والعلمية ووفقاً للزمن المتاح للتعليم، وكذا إمكانية اكتسابه من التلاميذ.

ويعرف البحث التربوي محاولات مختلفة لتطوير معايير لاختيار وتنظيم المحتوى حقق بعضها اتفاقاً عاماً حولها في حين لا تزال معايير أخرى موضع بحث ونقاش.

ولذلك فإن أولى المهام المنصبة أمام مخططي المحتوى هي مهمة تحقيق وفاق حول المعايير التي سيستندون إليها في اختياره وتنظيمه.

معايير اختيار المحتوى:

هناك محاولات مختلفة لتطوير معايير لاختيار وتنظيم المحتوى. فقد تحدثت (تابا) عن معيارين أساسيين لاختيار المحتوى هما: الصدق والدلالة. وقد أضاف هويلار إلى هذين المعيارين ، معايير ثانوية على النحو الآتي:

معايير ثانوية :

- احتياجات واهتمامات المتعلم.
- المنفعة.
- إمكانية تعلمه.
- ارتباطه بالمجتمع.

وباستثناء معيار إمكانية التعلم ، فإن المعايير الثانوية الأخرى تجد تعبيراً لها بصورة أو بأخرى في معياري الصدق والأهمية. لذلك ستتم بصورة أساسية معالجة المعايير التالية لاختيار المحتوى وهي:

1. صدق المحتوى.

2. أهمية المحتوى.

3. قابلية المحتوى للتعلم.

(1) صدق المحتوى:

ويقصد بصدق المحتوى الآتي:

أ. ارتباط اختيار المحتوى بالأهداف.

ب. حداثة المحتوى.

(أ) ارتباط المحتوى بالأهداف:

من المشكلات الكثيرة المصاحبة لتخطيط المحتوى ، الغلو المفرط أحياناً في الجانب الكمي لعناصر المحتوى ، على حساب النوع ، من بعض المشاركين في تطويره، والذين يتكون جلهم في العادة من المختصين في المادة العلمية ، لأسباب تتعلق أحياناً بعدم الوضوح الكافي للأهداف ، وأحياناً أخرى بسبب بعدهم وعدم ارتباطهم المباشر بالعملية التربوية والتعليمية في المدرسة، أو لاستنادهم إلى البنية المنطقية للعلم المعني ، كمعيار مطلق في اختيار وتنظيم المحتوى . لذلك فإن من المهام الأساسية في مرحلة تخطيط المحتوى هي محاولة التأكد من أن المحتوى الذي تم اختياره ملائم للأهداف ويسعى إلى تحقيقها من دون الإخلال بالبنية المنطقية لمحتوى العلم. ويعني ذلك إن اختيار المحتوى ينبغي أن يتم على قاعدة ما المكونات الرئيسة التي ينبغي تضمينها المحتوى التعليمي وليس ما المكونات التي يمكن حذفها، أي اختيار عناصر المحتوى الهامة وذات مغزى ودلالة لتحقيق أهداف المنهج كاملة ، فليس الكم من المعارف هو المطلوب وإنما صلاحيتها في تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية بما يساعد في تطوير شخصية التلميذ من جميع الجوانب .

ومن أجل تحقيق ذلك فإن مهمة تطوير محتوى المنهج لا ينبغي أن تقتصر على المختصين في المادة العلمية فحسب وإنما ينبغي أن يشاركهم في ذلك عدد آخر من الخبراء في التربية وعلم النفس التربوي ومن المختصين في المناهج وطرائق التدريس.

(ب) حداثة المحتوى:

من مهام مطوري محتوى المنهج التأكد من الصلاحية العلمية للمحتوى التعليمي الذي تم اختياره، وإلى أي مدى ينسجم مع التطورات الحديثة للعلوم وخاصة العلم أو العلوم التي يتكون منها المحتوى. فالمحتوى الذي يتم اختياره ينبغي أن يكون صحيحاً من الناحية العلمية، وصادقاً، أي ليس خاطئاً ولا مضللاً، خاصة ونحن نعيش عصر الثورة العلمية والتكنولوجية، العصر المتميز بالتفجر المعرفي واكتشاف وتطوير حقائق جديدة، نظريات جديدة، أو تصحيح حقائق أو مفاهيم أو نظريات قائمة. فالحقيقة العلمية نسبية وبالتالي ينبغي أن يخضع المحتوى التعليمي للمراجعة المستمرة لتصحيح ما يظهر أنه خاطئ وغير صحيح.

(2) : الأهمية:

يرتبط معيار الأهمية، بصورة كبيرة بمعيار الصدق، ومن الصعوبة وضع حدود فاصلة كبيرة بينهما.

فارتباط اختيار المحتوى بالأهداف على سبيل المثال، لا يعبر عن صدق المحتوى فحسب، وإنما يعبر أيضاً عن أهميته. ويعني ذلك إن تحديد الأهداف في المنهج ليست عملية خطية، نقوم أولاً بتحديد الأهداف، ثم نختار المحتوى في ضوءها. فمعيار الأهمية هذا يؤكد على ضرورة مراعاة علاقة التأثير المتبادل بين الأهداف والمحتوى، والتعامل معها باعتبارها عملية واحدة. فمن غير الممكن تحديد الأهداف إذا لا يوجد محتوى يحققها، ومن غير الممكن تحديد الأهداف بمعزل عن المحتوى وإلا كيف يمكن تحديد عناصر المحتوى الهامة والأساسية للعلم المعني وتكون ذات أهمية ومغزى للتلاميذ إذا لم يتم مراعاة المحتوى لدى تخطيط الأهداف

لذلك فإن معيار الأهمية يعني إلى أي مدى تم بالاستعانة بالأهداف، اختيار عناصر المحتوى الهامة والضرورية بالنسبة لمجال معرفي محدد، التي ينبغي على المتعلم اكتسابها، وتحقيق تكوين صورة واضحة لديه حول طبيعة هذا العلم. أي إن أهمية المحتوى تعني اختيار العناصر الأساسية (حقائق – مفاهيم – قوانين نظريات – مبادئ الخ التي تشكل العمود الفقري للعلم وتساعد التلميذ في توسيع وتطوير معارفه فيه، وأن يعي التلميذ طبيعة ذلك العلم. وينبغي أن

تحقق عناصر المحتوى التي تم اختيارها ، التكامل مع محتوى العلوم الأخرى، وتعرزها وتساعد في استمرار عملية التعلم لدى التلاميذ وهكذا.

ويكون المحتوى هاما أيضاً إذا ساعد في تحقيق التوازن بين الجوانب النظرية وتطبيقاتها، وإذا ما كان منسجماً مع متطلبات المجتمع ويعكس أهدافه التربوية، ويراعي رغبات وميول التلاميذ، ويرتبط ببيئتهم وبخبراتهم ، ويجب عن أسئلتهم ويحقق لهم فرص متكافئة للتطور.

وباختصار يكون المحتوى مهماً إذا ساعد في تحقيق الآتي:

- أن يكون المحتوى هاماً بالنسبة لمجال معرفي محدد.
- ينسجم مع متطلبات المجتمع والفرد والإمكانيات ويساهم في تطوير الشخصية من جميع جوانبها.
- يحقق وحدة النظرية والتطبيق.
- يساعد في تحقيق مستوى عال من التعليم للتلاميذ وتكافؤ الفرص فيما بينهم.
- يراعي النوعية العلمية وخال من الحشو وإعطاء فرص لكل التلاميذ لتطوير أنفسهم من خلال المحتويات التكميلية.

(3) قابلية المحتوى للتعلم:

من الأمور الهامة والأساسية التي ينبغي مراعاتها لدى اختيار المحتوى معرفة مدى ملاءمته لمستوى التطور النفسي والبدني والعقلي للتلاميذ وإن باستطاعتهم اكتسابه. أي ألا يكون المحتوى التعليمي من الصعوبة بمكان بحيث لا يستطيع التلاميذ أو جزء منهم تعلمه. فينبغي أن يدرك مخططي المحتوى بأن من شروط حدوث التعلم أن يكون المتعلم مستعداً له بدنياً وعقلياً ونفسياً.

كما ينبغي أن يراعى في اختيار المحتوى ، مستوى تأهيل المعلمين والإدارة المدرسية ، وأن يتم الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الإمكانيات المادية والفنية للمدرسة وكذا الظروف المؤثرة في العملية التعليمية والتربوية.

وهناك مسألة أخرى تتعلق بقابلية المحتوى للتعلم وهي مراعاة الزمن المتاح للدراسة ككل، وكذا الزمن المتاح للمواد التعليمية المختلفة. فإذا كانت عناصر المحتوى التعليمي لا تتناسب والزمن المتاح ، فإنه سيغلب الكم على حساب النوع ، وسيتجه اهتمام المعلمين وحرصهم على إكمال تلك

المحتويات في الزمن المحدد ، دون مراعاة اكتساب التلاميذ لتلك المحتويات ، و حدوث التعلم لديهم ، وهو ما سيؤثر سلباً في تحقيق الأهداف التربوية المتوخاة من تعلم تلك المواد التعليمية. فلا يكفي تعليم التلاميذ تلك المواد، وإنما المهم هو، هل يتعلم التلاميذ شيئاً منها؟.

وباختصار فإن قابلية المحتوى للتعلم تعني بصورة عامة ، إلى أي مدى يراعي اختيار المحتوى الآتي :

- الطبيعة البدنية والعقلية والنفسية للتلاميذ.
- طبيعة الظروف المؤسسية المؤثرة في الدرس.
- توفر الإمكانيات المادية والفنية.
- مستوى تأهيل المعلمين والإدارة المدرسية.
- الزمن المتاح للدراسة.

تنظيم المحتوى:

بعد تحديد واختيار المحتوى لمرحلة تعليمية محددة ، تبدأ مرحلة جديدة من مراحل تطوير المنهج ، ألا وهي مرحلة تنظيم محتوى وزمن تدريس المجالات والمساقات التعليمية تنظيمًا معينًا ، بما يكفل تحقيق الأهداف ، وبما يؤدي إلى سهولة التعلم وسرعته وتدرجه ونموه وتكامله واستمرار آثاره لدى المتعلم.

معايير تنظيم المحتوى:

كما هو الحال بالنسبة لاختيار المحتوى، لا توجد معايير محددة متفق عليها فيما يتعلق بتنظيمه. لكن يمكن للمعايير التالية أن تساهم في تحقيق تنظيم جيد للمحتوى.

1- العلمية

2- الشمولية

3- التنظيم الأفقي والرأسي

4-الإمكانية التربوية لاكتسابه (قابليته للتعلم):

(1) العلمية:

يتعلق تنظيم المحتوى كما أسلفنا، بترتيب وتنظيم تدريس مجالات المعرفة التي تم تضمينها محتوى التعليم ، وكذا التنظيم الداخلي لمحتوى كل مجال تعليمي ، ومساقاته ومواضيعه. ما الذي يُدرّس أولاً وثانياً وثالثاً ... ما الذي يدرس في الفصل الأول، الثاني ، الثالث .. الخ.

يمكن القول بأن هناك الكثير من المعايير التي تتحكم في ذلك ، التي من أهمها مراعاة منطق العلم. والمقصود هنا بمنطق العلم، أن كل علم عبارة عن نظام من المعرفة ، أي نظام من الحقائق والمفاهيم والتعميمات (القوانين والمبادئ والقواعد) والنظريات .. الخ والتي تشكل في مجملها البنية الداخلية الخاصة به والتي تكسبه طابعة الخاص والمميز. وبما أن محتوى العلم يتكون من بنية معرفية مميزة له ، فإن تلك البنية تفرض أيضاً وسائل وطرق التعامل مع منظومة المعلومات المكونة له ، وتحدد أيضاً طرق دراستها وتطويرها . فلا يستطيع التلميذ على سبيل المثال لا الحصر، تعلم القسمة في الرياضيات قبل الجمع والطرح ، ولا تعلم تكافؤ العناصر في الكيمياء قبل أن يتعلم البناء الذري للعناصر، ويرتبط تعليم الصلاة بتعليم التلميذ الوضوء والتيمم ، وهكذا.

من هذا المنطلق فإن البنية المنطقية للعلم تساعدنا في توضيح العلاقات القائمة بين مكونات محتوى العلم المعني، وكذا علاقاته بالعلوم الأخرى، بما يساعد في تحديد التعاقب والتسلسل المنطقي للمساقات ، والمواضيع التعليمية ، وتوزيعها على السنوات و الفصول الدراسية للمرحلة التعليمية.

وبصورة خاصة يساعد معيار العلمية مطوري المناهج في الآتي:

- ✓ تحديد ما المواد التعليمية و كذا ما المساقات ذات الأهمية للتلاميذ.
- ✓ توضيح الثابت والمتغير في علاقة المواد والمساقات الدراسية ببعضها ، وما المساقات التي تضع الأساس لمساقات أخرى ، أي المساقات التي ينبغي أن تأتي أولاً، وما المواضيع التي تضع الأساس لمواضيع أخرى وهكذا.
- ✓ يقلل من نسيان أو إغفال مساقات أو مواضيع.
- ✓ يحقق مستوى عال من التحكم في كم ونوع المعارف وترابطها وتعاقبها، كما يتضح الزمن الذي يفصل بين المساقات المترابطة وكذا الزمن الذي يفصل بين الموضوعات المترابطة أو ذات الطبيعة الموحدة.

✓ يقلل من عبئ التعلم في الفصل الدراسي ويساعد في تنظيم الجدول الأسبوعي الخ، وفي تنظيم العمل المستقل للتلاميذ (الصفي و اللاصفي).

(3) الشمولية:

✓ تخطيط الدراسة ككل لا يتجزأ ومراعاة التأثير المشترك والمتبادل بين المساقات الدراسية.

✓ وضع أساس ثابت وبعيد المدى للعملية التعليمية.

✓ تخطيط المحتوى التعليمي كوسيلة لتطوير شخصية الطالب من جميع الجوانب.

✓ مراعاة تنوع أنشطة الطلبة بما يحقق وحدة النظرية والتطبيق والتعليم والتعلم والبحث.

✓ تحقيق التوازن بين كثافة الأنشطة التعليمية وإفساح المجال للعمل العلمي المستقل والنشاط الإبداعي للطلبة.

✓ تحقيق علاقة متوازنة بين المتطلبات العامة (متطلبات الجامعة) ومتطلبات للتأهيل المهني (متطلبات الكلية) والمتطلبات الأساسية للتخصص (المتطلبات المساندة) ومتطلبات التخصص.

ويلعب البناء المنطقي للعلم دوراً أساسياً ومهما في تنظيم المحتوى التعليمي كما أشرنا سلفاً، إلا إن الاعتراف بهذا الدور المهم للبناء المنطقي للعلم ، لا يعني اعتماده كمعيار مطلق، وبالتالي توجيه الاهتمام إلى تنظيم المعارف، وإهمال التنظيم الجيد لتطوير المهارات، والجانب التربوي، بما يحقق النمو المتكامل لشخصية التلميذ. لذلك فإن معيار الشمولية، يعني أيضاً ارتباط تنظيم المحتوى بالأهداف التربوية ومن أجل تحقيقها، بما يحقق تطوير شخصية التلميذ من كافة الجوانب، وعدم اقتصرها على المجال المعرفي فحسب.

ويتطلب ذلك من مخططي المحتوى، مراعاة أن يساهم تنظيم المحتوى في التطوير التدريجي لطرق اكتساب المعرفة، وتطوير طرائق التفكير والعمل العلمي لدى التلاميذ، بما يحقق تطوير قدراتهم على تطبيق معارفهم المكتسبة ومساعدتهم في مواصلة تطوير أنفسهم بصورة ذاتية ومستقلة.

وإضافة إلى التطوير المنظم لطرائق التفكير والعمل العلمي لدى التلاميذ ، ينبغي أن يراعي تنظيم المحتوى أيضاً ، التطوير التدريجي لقناعات ومواقف وقيم وأخلاقيات وسلوك التلاميذ . وبذلك

فإن تنظيم المحتوى ينبغي أن يراعي المكونات الرئيسة الثلاثة للأهداف التربوية ، وهي المجال المعرفي – المجال التربوي (أو الوجداني) والمجال النفس حركي.

(2) التنظيم الأفقي والرأسي :

أ. التنظيم الرأسي:

نقصد بالتنظيم الرأسي إيجاد علاقة رأسية بين عناصر ومواضيع المحتوى التعليمي في إطار مادة تعليمية محددة، بحيث تكون مترابطة ومتعاقبة، ويفيد تعلم أولها في تعلم ما بعده من ناحية، وبما يحقق هذا التنظيم استمرار ما يتم تعلمه من ناحية أخرى. أي تنظيم المعارف بصورة توضح العلاقة القائمة بين حقائق ومفاهيم وتعميمات ونظريات المادة التعليمية في مستوى دراسي معين ونظيرتها في نفس المادة في مستوى دراسي أعلى. فالتعلم لا يحدث إلا على أساس خبرات ومعارف سابقة، ولا تصلح المعارف الجديدة المطلقة لأن تكون موضوعاً للتعلم ما لم يتم تخطيطها وتنظيمها، بحيث تصبح كل معرفة أساس وخلفية لمعرفة تليها. فالتعلم لا يعني حشو أذهان التلاميذ بالكلم من المعارف، وإنما عملية لتفاعل التلاميذ النشط معها كشرط لاكتسابها، وهو ما يتطلب وجود أساس لديهم لإدراك علاقاتها وروابطها بما سبق وتعلموه، وبما يمكنهم من إعادة تنظيم تصوراتهم حولها وإدراك موقعها في إطار الحقل المعرفي للعلم المعني، وفي إطار معارفهم في ذلك الحقل.

فمن أجل أن يتعلم التلميذ مفهوم ما، أو نظرية ما في الرياضيات أو العلوم مثلاً فإنه من الضروري لأسباب نفسية تربوية تعلم هذا المفهوم أو النظرية المرة تلو الأخرى ولكن بتوسع وتعمق أكبر في كل مرة. فتعلم الرياضيات على سبيل المثال عملية متصلة، لا يمكن للتلميذ تعلم نظرياتها الجديدة بمعزل عن ما تعلمه سابقاً في الرياضيات. وبالتالي فإنه لا ينبغي فهم التعلم كعمل أو فعل فريد أو حدث عابر، انه في العادة أحداث متتالية، تعاقب للأفعال و الأنشطة، والتي تتم في مراحل أو خطوات متنوعة. فالتلميذ لا يمكنه اكتساب مفهوم ما من الوهلة الأولى أو عن طريق جرعة، وإنما ينبغي عليه القيام بسلسلة من الأفعال والنشاطات ليتمكن من خلالها اكتساب المعارف وتطوير قدراته ومهاراته على الاستفادة منها، وتطبيقها، وهو ما يضيفي على التعلم طابع العملية، أو الاستمرارية. فشرح المعلم مثلاً لا يستقر في ذهن التلميذ ما لم يرقم بتكراره، والتلميذ لا يمكنه استيعاب موضوع ما بقراءته لمرة واحدة، ولا يحتفظ الإنسان بمعارفه ما لم يجددها ويطورها باستمرار، وتتخلف معارفه ويتبدل فكره إذا ما توقف عن التعلم الخ. لذلك ينبغي

أن يخدم التنظيم الرأسي أيضاً تثبيت، وزيادة وتعميق ما يتعلمه التلميذ، بما يؤدي إلى تراكم المعرفة لديه بحيث يعزز بعضها الآخر وتحدث أثراً تجميعياً يؤدي إلى تراكم خبرته.

ب. التنظيم الأفقي:

أوضحنا بأن التنظيم الرأسي يُعنى بتنظيم عناصر المحتوى للمادة التعليمية في مستوى دراسي معين ونظيرتها في نفس المادة في مستوى دراسي أعلى. أما التنظيم الأفقي فيعني إيجاد علاقة بين عناصر المحتوى للمواد التعليمية كافة، بما يحقق التكامل بين هذه المواد التعليمية، وعدم معالجة مواضيع كل منها بمعزل عن علاقاتها بالمواضيع ذات العلاقة في المواد التعليمية الأخرى.

من ناحية أخرى فإن تكامل المعرفة وتوحيدها وتجميعها، يتطلب وجود مركز أو محور، يتمركز حولها المحتوى والخبرات التعليمية، أكان ذلك فيما يتعلق بعناصر محتوى مادة تعليمية بعينها، (التنظيم الرأسي، مفهوم الطاقة أو التكاثر في العلوم)، أو فيما يتعلق بعناصر المحتوى في المواد أو المساقات التعليمية ذات العلاقة (التنظيم الأفقي، يمكن تناول مفهوم البيئة ومشكلاتها في الكيمياء والأحياء والجغرافيا واللغة العربية وغيرها من المواد التعليمية).

(4) الإمكانية التربوية لاكتسابه (قابليته للتعلم)

كثير من المشكلات المصاحبة لتطوير المناهج في الماضي، وبصورة خاصة ما يتعلق منها باختيار وتنظيم المحتوى، هي استحواذ المختصين في العلوم المختلفة، على صلاحيات واسعة لدى اختيار وتنظيم المحتوى التعليمي للمادة التعليمية، وإهمال أو إغفال دور التربويين وعلماء النفس التربوي والمختصين في المناهج وطرائق التدريس، للمساهمة في هذه العملية. وتكون النتيجة الاهتمام بالبناء المنطقي للعلوم على حساب البناء السيكولوجي، مما يؤدي إلى ظهور صعوبات تعلم جمة لديهم، تؤثر بصورة أو بأخرى في عملية الاستيعاب لديهم.

إن المحتوى الذي نتحدث عنه هو المحتوى التعليمي الذي ينبغي اختياره على أسس نفسية، تربوية، تعليمية، معرفية إضافة إلى الأسس المنطقية للعلم المعني ذاته.

لذلك ينبغي مراعاة هذه الأسس لدى تنظيم المحتوى وخلق توازن بين الجانب المنطقي والجانب السيكولوجي للتعلم، من خلال تدرج الصعوبة ومستوى التجريد وألا تعطى لهم معارف جديدة قبل اكتسابهم لأساسها. فنقوم بتنظيم المحتوى بحيث يساعد التلاميذ على التعلم المستمر ويساهم في تطوير رغباتهم واستعداداتهم ودوافعهم للتعلم.

إضافة إلى ذلك يكون محتوى التعلم قابلاً للتعلم إذا ما تم الأخذ بعين الاعتبار المبادئ التدريسية الأساسية ، كوحدة التعليم والتربية ، وحدة النظرية والتطبيق الفهم والوضوح وكذا مبدأ الوحدة والتباين أو مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ وغيرها إضافة إلى ذلك ينبغي مراعاة القواعد التدريسية التي تلعب هي الأخرى دوراً هاماً ومؤثراً في عملية الاستيعاب مثل : التدرج من السهل إلى الصعب ، من البسيط إلى المركب (أو المعقد)، من المحسوس إلى المجرد، من المعروف إلى غير المعروف وغيرها.

كما ينبغي أيضاً تنظيم المحتوى بما ينسجم وقانون تطور شخصية التلاميذ ومراعاة كثرة وتنوع النشاطات الصفية واللاصفية التي يقومون بها، والحرص على ألا يشكل الأسلوب الذي يتم به تنظيم المحتوى عبئاً إضافياً على التلاميذ أو الإضرار بصحتهم أو يؤدي إلى صعوبات تعلم لديهم.

وباختصار تعني قابلية المحتوى للتعلم الآتي:

- ✓ مراعاة المحتوى لتدرج الصعوبة ومستوى التجريد ويساهم في تطويرهم المستمر.
- ✓ ألا تعطى لهم معارف قبل اكتسابهم لأساسها.
- ✓ مراعاة المبادئ التدريسية والقواعد التدريسية.
- ✓ ينسجم وقانون تطور الشخصية، وكثرة النشاطات التي يقوم بها التلميذ.
- ✓ ألا يشكل أسلوب تنظيم المحتوى ، عبئاً إضافياً على التلاميذ أو الإضرار بصحتهم أو يؤدي إلى صعوبات تعلم لديهم.
- ✓ ربطه بخبرات التلاميذ وبيئتهم و أجابته عن تساؤلاتهم والمعالجة الهادفة لها.

هذا ينطبق على المحتوى عامة ، أما بالنسبة لكيفية كتابة الباحث لمحتوى الباحث العلمي خاصة يمكن تناوله من الجوانب التالية:

خطوات كتابة البحث العلمي:

اختيار موضوع البحث: : قد يكتشف الطالب المبتدئ في البحث أن هذه الخطوة تعد أشد الخطوات صعوبة. مبدئياً يكون الباحث حراً في اختيار أي موضوع ودراسته حسب المنهج الذي يبدو له أكثر ملاءمة للإجابة عن جميع الأسئلة التي تخطر على باله.

لكن يجب معرفة أن أغلبية البحوث إنما تخطئ الطريق من نقطة الانطلاق، لكون الأسئلة المطروحة تكون إما بسيطة جداً أو فضفاضة جداً، أو لكون مجال البحث المختار يكون إما محدد بشكل رديء أو من الصعب جداً ولوجه، أو لكون المنهج المختار لا يلائم المشكل المراد دراسته. ولذلك يجب على الباحث أن يفكر ملياً في اختيار العناصر التي تعتبر مبادئ أساسية للبحث وهي: موضوع البحث، الإطار المرجعي (أو النظري) للبحث، ومنهج البحث، وصياغة الإشكالية.

وفي مجال البحث لا يمكن القول بأفضلية موضوع على آخر، كما لا توجد قاعدة لاختيار مشكلة دون غيرها. غير أنه قبل القيام بهذه العملية يحسن التساؤل عما إذا كانت هناك فائدة ما في دراسة قضية خاصة، ثم إلى أي حد تم التطرق إليها، وهل تمّ ذلك بما فيه الكفاية. وحتى في هذه الحالة، فإن ذلك لا ينبغي أن يثني عن التفكير في البحث في الموضوع، إذ كثيرة هي المواضيع التي يكون الباحثون قد «أشبعوها» بحثاً ومع ذلك تظل جوانب فيها محتاجة إلى توضيح وتعميق. وبما أن أغلب الأبحاث التي يقوم بها طلبة الجامعات وخاصة في المراحل الجامعية الأولى هي أبحاث من أجل اكتساب مهارات البحث فيأتي اختيار الموضوع عادة من اقتراح الأستاذ أو الدكتور الذي يعطي هذه المادة أو تلك، أو من خلال إثارة موضوع في محاضرة، أو الوقوف عليه خلال المطالعة مما يولد إرادة الدفع بالتأمل في المسألة إلى مستوى أرقى. وهنا تبدأ عملية جمع المعلومات من المصادر المتوفرة في المكتبة الجامعية أو غيرها (مراجع: قواميس، موسوعات، فهارس، كتب، مقالات، دراسات من مجلات، جرائد، مصادر الكترونية، ... الخ).

مراجعة الأدبيات : هنا تعني مراجعة النظريات والدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع الذي وقع عليه الاختيار والذي يصبح موقع اهتمامنا وانشغالنا. وتعتبر خطوة مراجعة الأدبيات من أهم خطوات البحث العلمي حيث من خلالها نقدم تبرير بحثنا أي ما هو الجديد الذي سنقدمه أو نضيفه على المعرفة وتحدي الأطار المرجعي أو النظري الذي سيعتمد، بالإضافة إلى التحديد الدقيق لإشكالية البحث.

تحديد الموضوع بشكله النهائي بمعنى تحديد مشكلة البحث : المشكلة هي الموضوع ما يكتنفه من غموض أو ظاهرة ما تحتاج إلى تفسير أو قضية خلاف أو سؤال يحتاج إجابة. ومعنى تحديد مشكلة البحث يعني صياغة المشكلة في عبارات واضحة مفهومة ومحددة تعبر عن المضمون.

تدوين مصادر المعلومات الأساسية: هنا يبدأ الباحث باستعمال بطاقات متساوية الحجم لأبحاثه ، بتخصيص بطاقة واحدة لكل نقطة من النقاط الهامة ، يدون عليها المعلومات الهامة من الدراسة ، سواء كان ذلك (أ) عن طريق الاقتباس (ب) أو تلخيص الأفكار مع ذكر المصدر باستمرار أي : اسم المؤلف ، عنوان الكتاب أو المقال ، والصفحة ، الناشر وبيانات النشر وسنة النشر ، على إحدى زوايا البطاقة ، وهذا سيكون له أهميته عند عمل الببليوغرافيا النهائية للبحث.

تجميع وتنظيم الأفكار: بعد تجميع ما يكفي من المعلومات حول موضوع البحث، يتم ترتيب بطاقات البحث حسب تسلسل الأفكار الرئيسية. بعد ذلك يصبح الباحث ملماً نوعاً ما بنواحي موضوعه وبناءً عليه يضع خطة أو هيكلًا عاماً مؤقتاً لبحثه، يراعي فيه الترتيب المنطقي المتسلسل والترابط بين أجزائه ويختار له عنواناً مختصراً واضحاً، على أن تكون هذه الخطة خاضعة للتعديل من حذف وإضافة فيما بعد . ثم يبدأ بكتابة البحث بروية ودقة كمسودة أولى ، وذلك وفق الخطة التي وضعها في البداية والتي تتضمن تتضمن أجزاء البحث الرئيسية التالية:

المقدمة: تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

1- تقديم وتحضير القارئ لفكرة بحثك: مثال: في هذه الأيام، يصعب العثور على طالب لم يستخدم الإنترنت في حياته. فقد أصبح الانترنت أحد أهم أعصاب الحياة المتحضرة. وعلى الرغم من أن معظم مستخدمي شبكة الإنترنت يستخدمونها للترفيه والتسلية أو التواصل مع الأصدقاء، هناك مجالات عديدة مفيدة وعملية قد لا يعلمون عنها.

2- استعراض فكرة بحثك، أو وجهة نظرك: مثال: هذا البحث سيثبت أن الإنترنت يسهل على الطلبة القيام بأعمالهم اليومية. وعلى الرغم من أن فوائد الإنترنت قد تشمل شتى نواحي الحياة، لجميع المراحل العمرية، سيكون تركيز هذا البحث على المجال الدراسي للطلبة الجامعيين.

3- استعراض الطريقة أو الأفكار التي من خلالها ستثبت وجهة نظرك: مثال: ستكون النقاط الرئيسية للبحث كالتالي: أولاً، التعريف بالأدوات والخدمات التي يمكن استخدامها كمحركات البحث، البريد الإلكتروني، المنتديات وغرف الدردشة، وما استجد في الفترة الأخيرة من أدوات. ثانياً، المميزات التي أضيفت إلى التواصل مع المدرس والزملاء كإمكانية الإتصال السريع والشخصي مع المدرس، الساعات المكتبية وغرف الحوار، الإجتماعات عبر الإنترنت والفصول التخيلية، والاستفادة من خبرات الخريجين. أخيراً، المميزات التي أضيفت للبحث

الموضوعي والواجبات وفيها امكانية استخدام موقع ويكي للعصف الذهني، اجراء الإستفتاءات، ضمان الصراحة وسهولة الوصول للشرائح المستهدفة، وسهولة الإتصال بالباحثين والمتخصصين.

المتن أو المحتوى: وهو القسم الرئيسي من أي بحث، ويمثل جوهر الموضوع لأنه يحوي القسم الأكبر من المعلومات التي جرى عرضها وإعطاء الرأي فيها على هيئة فصول أو أبواب.

الخاتمة: أقسامها ثلاثة وهي:

1- جملة استنتاجية، تذكر فيها (الفكرة الرئيسية للبحث) وأنه قد تم استنتاجها: مثال: مما سبق يمكن استنتاج أن الإنترنت مكن الطلبة الجامعيين من القيام بأعمالهم الدراسية اليومية بشكل أسهل.

2- تذكر الأشياء التي ساعدتك لبلوغ ذلك الإستنتاج، بمعنى آخر تذكر الأفكار الفرعية: مثال: فالإنترنت وفر أدوات عديدة للمستخدمين منها محركات البحث، البريد الإلكتروني، المنتديات وغرف الدردشه، هذه الأدوات وغيرها مما أستجد ويستجد في الإنترنت لم تسهل على الطلبة القيام بواجباتهم فقط، بل مكنتهم من أداء العمل بشكل أفضل. ذلك كان ممكناً لمزايا عديدة يمكن بلوغها باستخدام الأدوات السابقة. في هذا البحث تم التحدث عن المميزات التي أضيفت للتواصل مع المدرس والزملاء، وللبحث والكتابة الموضوعية وأداء الواجبات.

3- أخيراً تختم بعبارة تفاؤلية أو تساؤل يبقى في ذهن القارئ: مثال: قد يصعب التكهن بما سيستجد من خدمات في الإنترنت، ولكن بكل تأكيد سيصب ذلك في مصلحة الطالب وتسهيل عملية التعلم. ملاحظة: قد لا يهم ترتيب أقسام الخاتمة، ولكن القسم الثالث يفضل أن يكون الأخير دائماً. ومن المهم أن لا تذكر في الخاتمة معلومات وحقائق جديدة لم تطرحها في بحثك.

قائمة المراجع: على الباحث أن يقوم بإعداد قائمتين: واحدة باللغة العربية ، والثانية باللغة الإنجليزية، كل على حده، وأن تشمل هذه القوائم على الكتب والمقالات وأية مصادر أخرى استخدمها عند كتابة بحثه.

قائمة الجداول: إذا تضمن البحث جداول إحصائية.

الملاحق: إذا تضمن البحث بعض الاستبيانات أو الوثائق الهامة.

العنصر الثالث : الصور المرئية

تتكون الصورة المرئية من تفاعل عدة عناصر فوتوغرافية متغيرة. ومن المهم أن نعرف ما هي تلك المتغيرات وكيفية استخدامها في السرد الروائي البصري.

خصائص الصور المرئية

1-النصوع Brightness

يستخدم للتدعيم والتأكيد على الإحساس الذي ينبع من المشهد. تعطى الإضاءة القوية High Key درجة نصوع عالية للصورة، في حين تعطى الإضاءة الخافتة Low Key درجة أقل نصوعاً. أما الإضاءة المتوسطة Mid Key فتعطى درجة نصوع وسط بين الاثنين.

2.التباين : Contrast

يعبر التباين هنا عن الدرجات المتفاوتة ما بين الأبيض الخالص والأسود الخالص. وتعتبر درجة التباين المنخفضة عن تداخل واسع بين درجتَي الأسود والأبيض، فيظهر ناعماً أمام العين. في حين أن درجة التباين العالية، تعبر عن تفاوت صغير بين درجتَي الأسود والأبيض فيظهر صارخاً شديد الوضوح.

3-طبيعة الإضاءة : Quality of Light

تعتبر طبيعة الإضاءة عن مدى حدتها أو نعومتها فالنوعية الحادة هي التي تحتوى على الكثير من الظلال الغامقة ذات الحواف المحددة بينما تحتوى النوعية الناعمة على ظلالاً أقل إضاءة وأكثر تشويشاً.

4-بؤرة الوضوح : Focus

تعتبر البؤرة عن مدى وضوح الصورة ككل ، ويمكن أن تتفاوت ما بين عدم الوضوح أو الهلامية إلى الوضوح الشديد.

5-عمق الميدان : Depth of field

وهو يعبر عن مدى عمق الوضوح الذي تستطيع أن تصله البؤرة Focus داخل اللقطة فإذا كان عمق الميدان ضيقاً ، يكون موضوع التصوير شديد الوضوح و الخلفية غير واضحة blurry ، بينما يكون لعمق الميدان الأوسع درجة وضوح حادة لموضوع التصوير وللخلفية.

6-المنظور : Perspective

ويعبر ذلك عن سعة وعمق الميدان الذي يمكن التحكم فيه من خلال اختيار عدسة الكاميرا. حيث يمكن ضغط خلفية ومقدمة الصورة معا، بحيث تظهر المسافة بينهما قريبة ، أو إزالة الضغط بحيث تظهر بينهما مسافة كبيرة.

7-اللون: Color

يطلق علي اللون أيضا اسم Hue ويمكن التلاعب به من خلال الإضاءة ، وأثناء مراحل التحميص والطبع في المعمل والتصوير بالألوان يضيف إلى الصورة محتوى جمالي متغير:

1- أصل اللون : Overall Hue

يمكن صبغ صورة المشهد بلون معين لتوصيل الإحساس بالعواطف أو بالمكان والزمان للمتفرج فالألوان الباردة تعطي إحساسا بالعزلة والبرودة، وتعطي الألوان الدافئة إحساسا بالرومانسية والدفء ويأخذ اختلاف الوقت أثناء النهار ألوانا مختلفة، حيث يعبر الأصفر عن شروق الشمس، ويعبر الأحمر عن غروبها، والأزرق عن الليل، ويمكن أيضا أن تعبر الألوان عن تفاوت الفترات الزمنية، فمثلا قد تستخدم الألوان الصفراء البنية لمحاكاة شكل الصور الفوتوغرافية القديمة.

2- درجة التشبع : Saturation

تعبر درجة التشبع المستخدمة في الصورة عن مدى غناها بالألوان , فتعطي الألوان الغنية التشبع شعورا نابضا بالحياة، في حين أن الألوان القليلة التشبع تعطي صورة باهتة. ويمكن أن يعبر مدى غنى أو فقر الصورة بالألوان عن جوها النفسي أو زمانها. فمثلا لقطة الرجوع للخلف Flash Back يمكن التعبير عنها باستخدام أقل درجة تشبع من الألوان.

3- التأكيد : Emphasis

يكون لبعض الألوان القدرة على جذب العين إليها، اعتمادا على كيفية ترتيبها داخل تكوين الصورة، لذا فإن اختيار لونا معينا بعناية قد يستخدم للرغبة في التأكيد على عنصر أو مساحة معينة داخل الكادر.

4-التباين : Contrast

يمكن استخدام الألوان المتباينة لتوصيل جوانب معينة في الشخصية، أو لخلق نوع مرغوب من التوتر في تكوين الصورة .

5-الإحساس البصري: Look

عادة ما يعبر الإحساس البصري بالفيلم عن النسيج البصري للصورة Texture (مثل الحبيبات أو البؤرة) ، ولكنه في الحقيقة يعبر عن معنى أوسع وأشمل من ذلك فتأتى الأحاسيس البصرية المختلفة للصورة المرئية من خلال التلاعب المنظم لكل العناصر الفوتوغرافية المكونة للصورة، ويشمل ذلك التباين Contrast, والبؤرة Focus, والإضاءة Lighting, واللون Color, وعمق الميدان Depth of Field, والبعد البؤري للعدسة Lens focal length ويمكن أن يكون هذا ظاهرا أو خفيا.

الدرس الثانى عشر

تحليل وتفسير البيانات

وصف ورصد البيانات

وصف ورصد البيانات

تحليل البيانات هي العملية المنظمة للبحث في نصوص المقابلات والملاحظات الميدانية والمواد الأخرى التي جمعت من خلالها البيانات وتنظيمها لزيادة فهم الباحث لها وليمكن من تقديم ما اكتشفه للآخرين. ويشتمل التحليل على العمل مع البيانات وترتيبها وتقسيمها إلى وحدات يمكن التعامل معها وتركيبها synthesise بحثاً عن أنماط patterns وأنساق واكتشاف ما هو المهم وما يمكن أن يستفاد من تلك البيانات.

مراحل تحليل البيانات

1. تنظيم البيانات

في هذه المرحلة يكون لدى الباحث كم كبير من البيانات، أمضى في جمعة مدة زمنية طويلة، ما بين مقابلة وملاحظة ووثائق وغير ذلك. كما أن لديه كما من الملحوظات الأولية التي سجلها أثناء جمع المعلومات. هذه المعلومات تحتاج إلى تنظيم وترتيب يساعد الرجوع لها بشكل سريع، وعلى التعامل معها بشكل ييسر تحليلها. وليس هناك نمط تنظيم واحد، بل يمكن للباحث أن ينظم البيانات بالشكل الذي يراه مناسباً، فيمكن تصنيفها حسب طريقة جمع المعلومات (الملاحظة أو المقابلة أو الوثائق)، ويمكن تصنيفها على حسب الأفراد الذين أجري عليهم البحث، أو غير ذلك بما يراه الباحث ملائماً له وللأسلوب الذي سينتهجه في التحليل. ويمكن أن يتم هذا التنظيم بشكل يدوي، عن طريق وضعها في ملفات، أو يمكن الاستفادة من الحاسب في تصنيفها وفهرستها. وهناك برامج حاسوبية مخصصة للبحث النوعي تساعد على عمليات تنظيم البيانات وتحليلها، لكن حسب علمي لا يوجد شيء منها معرب.

2. تصنيف البيانات (coding)

في القراءة الأولية للبيانات يبدأ الباحث في تسجيل نظام تصنيف يسير عليه أثناء التحليل. وهذا النوع من التصنيف هو عبارة عن إعطاء عناوين للمعلومات التي تحتويها البيانات المجموعة. وهذه الجزئيات قد تكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة كاملة. فهذا التصنيف يكون عنوان أو اسم لتلك الجزئيات التي يرى الباحث أنها ذات معنى في بحثه. وبعض الباحثين يسمي هذا النوع من التصنيف (التصنيف المفتوح)، وقد يسمى (التصنيف الوصفي). وأسئلة البحث عامل أساس في تحديد وتوجيه نظام التصنيف.

3. تسجيل الملاحظات (memoing)

بعد هذا التصنيف، يجب أن يعيد الباحث القراءة ويسجل ملاحظاته بعد أن استقر في ذهنه هيكل مبدئي لهذا النظام التصنيفي، أي بعد أن أعطى عنواناً مميزاً لكثير من جزئيات البيانات التي لديه، وبدأت تظهر لديه نقاط تمثل معالم وإن كانت باهتة لمعان في بداية التكون، لم تكن ظاهراً عند الجمع الأولي للمعلومات. وتكون هذه الملاحظات على شكل أسئلة تؤدي إلى مزيد من البحث سواء في المعلومات المتوفرة أو للبحث عن معلومات إضافية، أو على شكل تسجيل علاقات بين الفئات التي وضعت، لكنها تحتاج إلى تحقق. وكلما تكررت القراءة زاد احتمال اكتشاف شيء جديد في البيانات، ولذا فإن الباحث يجب أن يكثر من قراءة بياناته ولا يكتفي بالقراءة أو القراءتين. وفي هذه المرحلة يستطيع الباحث أن يحدد ما إذا كانت العينة التي حددها مرضية وتفي بغرض البحث أم لا. فكلما كثرت الأسئلة دون إجابات أو تعذر بناء نظام تصنيفي جيد كان ذلك مؤشراً على نقص العينة والحاجة لمزيد من البيانات.

4. تحديد الأنساق والأنماط

تحديد الأنساق والأنماط نوع من التصنيف، لكنه يكون على مستوى أعلى من التجريد، ولذا قد يسميه بعض الباحثين التصنيف المحوري axial coding، لأنه يجعل الفئات تدور على محور واحد، وقد يسميه آخرون أسر التصنيف coding families، لأنه يجمع عدد من الفئات في أسرة واحدة. وقد يسمى التصنيف الاستنتاجي (في مقابل التصنيف الوصفي). فبعد أن يتم التصنيف المفتوح، ويتم وضع الملاحظات عليها تعاد قراءة البيانات المصنفة، لتصنف الفئات مرة أخرى على شكل أنماط وأنساق في مستوى تجريدي أعلى من التصنيف المفتوح الذي هو عبارة عن عناوين لجزئيات المعلومات. وهذا النوع من التصنيف يحتاج إلى تفكير عميق وقراءة متأنية، لإيجاد علاقات وعمل مقارنات بين مجموعات البيانات، بحيث يحدد الباحث ما هي الأنماط والأنساق التي تكونت من تصنيف البيانات، ويبدأ في ضم بعضها لبعض والمقارنة بين تلك الأنماط والأنساق والأنماط.

5. صياغة النتائج

بعد تكون الأنماط والأنساق يحتاج الباحث إلى الترقى قليلاً في التجريد، ليصوغ تلك الأنماط والأنساق على شكل نتائج للبحث، تدعمها الأنساق التي ظهرت وتشكلت من خلال التصنيف الأساسي المفتوح. وبعض الباحثين يسمي هذه المرحلة التصنيف الانتقائي، وذلك لأن الباحث

يختار في عملية التصنيف هذه ما يتناسب مع أسئلة بحثه، وربما يدع ما سوى ذلك. والنتائج في هذه المرحلة تبقى على شكل افتراضات propositions.

6. التحقق من النتائج

في هذه المرحلة يعود الباحث لقراءة بياناته وربما عاد للدراسات السابقة وأدبيات موضوع الدراسة، للتحقق من النتائج التي توصل إليها، ومناقشتها، وتعديل ما يرى تعديله أو بيان رأيه فيها. وهو في هذه المرحلة يتأكد من أن ما توصل إليه بعد عمليات التصنيف المختلفة لا يوجد في البيانات الأساسية ما يناقضه، أو يجعله يعيد النظر في الافتراضات التي توصل إليها. وعلى عكس ما هو موجود في البحث الكمي، يجب أن يكون التركيز على الدراسات السابقة وأدبيات الموضوع في هذه المرحلة، وليس قبل البحث، حتى لا تؤثر على آراء الباحث، وأسلوبه في التحليل. والتحقق في هذه المرحلة ليس مثل التحقق في البحث الكمي، حيث يدخل الباحث بفرضيات يريد أن يختبرها، فالافتراضات في البحث النوعي إنما خرجت من عملية التحليل وليس قبله، وعملية التحقق منها إنما هي في الواقع جزء من عملية التحليل.

وعملية التحليل عملية متداخلة المراحل، وتستمر إلى آخر لحظة في كتابة تقرير البحث. ولذا يشير بعض الباحثين في البحث النوعي إلى أن البحث النوعي ليس له حد ينتهي عنده، خاصة عندما يكون موضوع البحث كبيراً ومعلوماته غزيرة والباحث خبيراً فيه. فلا بد من وضع حد يقرر الباحث أن ينتهي عنده البحث.

الدرس الثالث عشر
تحليل وتفسير النتائج

تحليل المحتوى

التحليل لغةً واصطلاحاً:

التحليل لغةً: حلّ الشيء: أرجعه إلى عناصره أي جزّاه، وحلّ الشيء: درسه وكشف خباياه .

التحليل اصطلاحاً: تجزئة الشيء إلى مكوناته الأساسية وعناصره التي يتركب منها، فعل سبيل المثال نقول في تحليل الموضوع الإنشائي (التعبيري) إنّه يتكون من فكرة عامة وأفكار جزئية، وشواهد قرآنية وأحاديث نبوية، وأبيات شعرية وقيم واتجاهات ومقدمة وعرض وخاتمة. أما عند تحليل القصيدة الشعرية فنقول أنها تتكون من مفردات وأفكار وعاطفة وخيال وصور بيانية وجمالية وقيم. إذا فكل شيء إذا قمنا بتحليله لوجدنا بأنه يتكون من عناصر ومكونات وأجزاء تشكل مجموعها وعند تألفها وتناغمها ذلك الشيء.

ويمكنني الخلوص إلى أنّ المقصود بالمحتوى هو المعالجة التفصيلية لموضوعات المقرر في الكتب، فإن كان المقرر قد حُدد ووضع في فهرس الكتاب، فإن التناول التفصيلي لهذه الموضوعات كما وردت في الكتاب المدرسي هي التي يطلق عليها محتوى المنهج، ويشمل عادة على حقائق ومعارف ومفاهيم وتعميمات ومبادئ وقوانين ونظريات.

المحتوى لغةً واصطلاحاً:

المحتوى لغةً: حوى الشيء حوايه، تجمع، والمحتوى: بيوت الناس من الوبر مجتمعة على ماء

المحتوى اصطلاحاً: من التصور اللغوي السابق ينطلق مفهوم المحتوى الاصطلاحي، ونقصد به كلّ ما تضمنته دفناً كتاب من معلومات وحقائق وأفكار ومفاهيم، تحملها رموز لغوية، ويحكمها نظام معيّن من أجل تحقيق هدف ما، كأن يكون هذا الهدف تزويد الآخرين بالجديد في موضوع معيّن، أو تغيير بعض ما يعرفونه في هذا الموضوع، أو مساعدتهم على إدراك أهمية أفكار معينة، أو التعاطف مع مواقف محددة، أو المشاركة بين المؤلف وبينهم على مستوى الأفكار والحقائق، أو القيم والاتجاهات، أو المشاعر والأحاسيس (طعيمة، 2004).

مفهوم تحليل المحتوى:

تختلف تعريفات تحليل المحتوى تبعاً للزاوية التي ينطلق منها واضعو التعريفات، حيث يتسع عند بعضهم ليشمل الخطوات الإجرائية، ويضيق عند آخرين ليقصر تعريفه على أداة من أدوات البحث. ولونتبعنا تعريفات تحليل المحتوى منذ أربعينيات القرن الماضي إلى الوقت الراهن فإننا

لا نكاد نلمس فرقاً جوهرياً أو اختلافاً ملحوظاً في تعريفه، وهذه بعض التعريفات التي تبين ما ذكرناه آنفاً:

يذكر بيرلسون بأن تحليل المحتوى هو أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم الكمي للمضمون الظاهر لمادة من مواد الاتصال (www.gslis.utexas.edu).

وتحليل المحتوى كما يراه حسين (1983) يطلق على الأسلوب البحثي الذي يغطي المتطلبات الآتية:

- تحليل الخصائص اللغوية أو الدلالية للرموز الاتصالية المستخدمة.
 - تحديد تكرارات أو ظهور أو ورود أو حدوث هذه الخصائص بدرجة عالية، وتحديد القيم الكمية لهذه التكرارات.
 - إمكانية تمييز هذه الخصائص بمصطلحات ذات صبغة عامة.
 - إمكانية تمييزها باصطلاحات ذات صلة بفروض الدراسة ومجالاتها.
 - الضبط الدقيق المحكم لهذه الاصطلاحات المستخدمة في إمكانية التعرف على الخصائص الرمزية التي تمت دراستها (<http://www.gslis.utexas.edu>).
- وذكر اللقاني (1981) بأن تحليل المحتوى هو: أحد الأساليب الشائعة الذي يستخدم في وصف المواد التعليمية ولتقويم المناهج من أجل تطويرها، وهو يعتمد على تحديد أهداف التحليل ووحدة التحليل؛ للتوصل إلى مدى شيوع ظاهرة أو أحد المفاهيم، أو فكرة أو أكثر، وبالتالي تكون نتائج هذه العملية، إلى جانب ما يتم الحصول عليه من نتائج، من خلال أساليب أخرى مؤشرات تحدد اتجاه التطوير فيما بعد.
- فيما يرى المطلس (1997) بأن مفهوم تحليل المحتوى يقصد به تجزئة المنهج وتقسيم ما يتضمنه من معارف واتجاهات وقيم ومهارات إلى عناصرها المكونة، ويشمل ذلك ما يلي:
- تحديد الأجزاء المكونة للمحتوى، أي تحليل العناصر.
 - تحديد العلاقات بين هذه الأجزاء، أي تحليل العلاقات.
 - تحديد طرق تنظيم العلاقات بين الأجزاء في بنية المحتوى، أي تحليل المبادئ والأسس.

وقد أورد موقع المنشاوي الإلكتروني تعريفات عدة لتحليل المحتوى، نذكر منها:

أنه "عملية ملازمة للفكر الإنساني تستهدف إدراك الأشياء بوضوح، من خلال عزل عناصرها بعضها عن بعض، ومعرفة خصائص أو سمات هذه العناصر وطبيعة العلاقات التي تقوم بينها" ومن تعاريفه بأنه: مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني، من خلال البحث الكمي الموضوعي، والمنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى.

وهو: أسلوب ضمن الأساليب البحثية التي تستخدم في تحليل المواد الإعلامية بهدف التوصل إلى استدلالات واستنتاجات صحيحة ومطابقة في حالة إعادة البحث والتحليل.

وقد استعرض حسين (1983) تعريفات تحليل المحتوى وتتبعها تاريخياً ليخلص في نهاية المطاف في تعريفه الإجرائي الآتي: تحليل المحتوى هو أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمها الباحثون في مجالات بحثية متنوعة... لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة المراد تحليلها من حيث الشكل والمحتوى، تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث أو فروضه الأساسية، طبقاً للتصنيفات الموضوعية التي يحددها الباحث، وذلك بهدف استخدام هذه البيانات بعد ذلك، إما في وصف هذه المادة العلمية التي تعكس السلوك الاتصالي العلني للقائمين بالاتصال، أو لاكتشاف الخلفية الفكرية أو الثقافية أو السياسية أو العقائدية التي تنبع منها المادة العلمية، أو للتعرف على مقاصد القائمين بالاتصال من خلال الكلمات والجمل والرموز والصور والأساليب التعبيرية كافة – شكلاً ومضموناً- التي يعبر بها القائمون بالاتصال عن أفكارهم ومفاهيمهم، وذلك بشرط أن تتم عملية التحليل بصفة منتظمة، ووفق أسس منهجية، ومعايير موضوعية، وأن يستند الباحث في عملية جمع البيانات وتبويبها وتحليلها على الأسلوب الكمي بصفة أساسية.

ويمكن الاستنتاج بناءً على ما سبق ذكره من تعاريف بأن مفهوم تحليل المحتوى هو: إحصاء المعارف والمهارات الأساسية المتضمنة في الدروس وكتابتها، ويشتمل على:

1- الحقائق: وهي جمل تصف ملاحظات خاصة بمادة أو موقف أمثلة: عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، الخلية وحدة بناء جسم الكائن الحي، أركان الاسلام خمسة.

2 - المفاهيم: كلمات أو مصطلحات لها دلالة لفظية وذهنية، أمثلة: الفاعل، الصلاة، الخلية.

3 - التعميمات: جمل تصف مجموعة ملاحظات متشابهة أو مواقف عامة متكررة ومتشابهة أمثلة : القواعد، القوانين، النظريات.

أهمية تحليل المحتوى وفوائده:

لقد بلغت أهمية تحليل المستوى درجة كبيرة، فقد تعدّت الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بمحتوى الكتب المدرسية، وحل بعض المشكلات المختلفة، والمساعدة في اتخاذ القرار إلى مجالات أوسع وأشمل. فقد أوصى أحد المؤتمرات المتعلقة بأفاق القرن الحادي والعشرين الذي عقد في القاهرة عام 1993م بأهمية تحليل محتوى الرسائل الإعلامية والأدبية والتعليمية، والتركيز على بثها لقيم تُعلي قدر التعليم والثقافة والعمل دون تفرقة بسبب الجنس أو النوع

ومما تتناوله كتب تحليل المحتوى من أهمية لتحليل المحتوى، ما قام به الحلفاء من تحليل لمضمون الإذاعات الألمانية أثناء الحرب، مما أعطى الحلفاء أدلة مفيدة عن استراتيجية الحرب لدى العدو. وكذلك فإن تحليل مضمون الدعاية السوفيتية أثناء الحرب الباردة قد ساعد وكالة الاستعلامات الأمريكية في تشكيل دعايتها الخاصة بها، من حيث الكشف عن الأفكار التي جرى التأكيد عليها لتسهيل مكافحتها من طرف الولايات المتحدة

وفي مجال التربية والتعليم تتحدد أهمية تحليل المحتوى في:

- مجال البحث العلمي، حيث إنّه أسلوب بحثي يكشف متغيرات الدراسة والتعرف إلى خصائصها.

- مجال المناهج، من خلال اختيار نتائج التعلّم، وتحديد عناصر المحتوى.

- مجال التعليم، من خلال تحديد طرق التعليم والتعلّم، وتقويمها.

- مجال التعلّم، من خلال المقارنة بين ما درسه الطلبة وما تعلموه بالفعل.

- مجال التقويم، من خلال الكشف عن مفردات الاختبار.

وقد تعددت المواقع الإلكترونية التي تتحدث عن فوائد تحليل المحتوى سواء باللغة العربية منها أم باللغة الإنجليزية، فقد أجمعت على:

1- إعداد الخطط التعليمية الفصلية واليومية.

2- اشتقاق الأهداف التعليمية التعليمية.

- 3- اختيار الاستراتيجيات التعليمية التعلمية المناسبة.
- 4- اختيار الوسائل التعليمية والتقنيات المناسبة.
- 5- بناء الاختبارات التحصيلية وفق الخطوات العلمية.
- 6- تبويب أو تصنيف عناصر المحتوى لتسهيل تنفيذ الخطة.
- 7- الكشف عن مواقف القوة والضعف في الكتاب المدرسي.
- 8- زيادة كفاءة المعلم في مواجهة الفروق الفردية من خلال تحليل المهارات.
- 9- تجنب العشوائية في التدريس (Zahrani، و angelfire و geolog)

ولا شكّ لدينا في أن تحليل المحتوى يفيد ويفسح المجال أمام القائم بعملية التحليل؛ لإبداء الرأي وتسجيل الملاحظات والقبول والرفض - أحياناً - لأفكار الكاتب أو المؤلف. كما يسهل عملية التقويم، ويحقق شموليتها. فضلاً عن أنّ تحليل جميع موضوعات المادة الدراسية ينمي الخبرة لدى المعلم بكل ما تحتويه المادة.

خصائص تحليل المحتوى:

يتسم كلّ علم من العلوم كغيره من المناهج والأدوات بمجموعة من الخصائص تمايزه عن العلوم والمناهج الأخرى، وتحليل المحتوى أداة من أدوات البحث العلمي له خصائص يتميز بها عن غيره، فمن أهم خصائص تحليل المحتوى أنه:

1- أسلوب للوصف Descriptive

يهدف أسلوب تحليل المحتوى إلى الوصف الموضوعي لمادة الاتصال، والوصف هنا يعنى تفسير الظاهرة كما تقع، وفي ضوء القوانين التي تمكننا من التنبؤ بها، ويقتصر عمل القائم بالتحليل على تصنيف المادة التي يحللها إلى فئات، مسجلاً لكل فئة خصائصها، مستخرجاً السمات العامة التي تحكمها، ويقدم تفسيراً موضوعياً دقيقاً لمضمونها، والوصف هنا بقدر ما هو سمة من سمات تحليل المحتوى، فهو في الوقت ذاته يمثل الحدود التي يقف عندها القائم بالتحليل. فالباحث هنا يجب أن يكون محايداً، يتقبل ما يسفر عنه التحليل من نتائج. فمن الضروري ألا يقوم بدور المقوم، وذلك بإضافة انطباعاته الخاصة على المادة التي يحللها

2- أسلوب موضوعي (الحيادية): Objective

الموضوعية صفة أساسية من صفات أي عمل علمي، وهي تعنى البعد عن الذاتية. ولكن ماذا نعني عندما نصف أداة من أدوات تحليل المحتوى بالموضوعية؟ إننا نعني بذلك أمرين:

أولهما: أن هذه الأداة تقيس بكفاءة ما وضعت لقياسه، أي أنها، في هذا المجال تقوم بتحليل مادة الاتصال، وتعرف اتجاهاتها واستخلاص الصفات التي تميز ظواهرها دون أي عمل آخر. أي أنها بلغة القياس، أداة يتوافر فيها شرط الصدق Validity.

ثانيهما: أن هذه الأداة يستطيع باحثون آخرون استخدامها في تحليل المحتوى، كما يستطيع الباحث نفسه إعادة استخدامها لتحليل المادة نفسها، والباحثون جميعاً في كل هذه الحالات يصلون إلى درجة عالية من الاتفاق فيما بينهم في نتائج هذا التحليل. أي أن الأداة بلغة القياس يتوفر فيها شرط الثبات Reliability (حسين، 83) و(طعيمة، 2004).

وبعبارة أخرى، لكي يتوفر شرط الصدق لموضوع تحليل المحتوى يجب أن نقيس أدوات تحليل المحتوى ما وضعت لقياسه بكفاءة. ولكي يتوفر شرط الثبات لأدوات تحليل المحتوى يجب أن تعطى نفس النتائج تقريباً إذا أعيد استخدامها سواء بواسطة مصمم الأدوات نفسه أو أفراد آخرون. وهذا يتطلب أن يكون هنا تعريفات لفئات التحليل فلا يختلف الباحثون بشأنها.

ففي سبيل الوصول لهاتين الصفتين الصدق والثبات، لا بد أن يحرص الباحث على:

أولاً: أن يضع فئات محددة للتحليل يلتزم بها طوال قيامه بتحليل المادة التي بين يديه، وعلى وضع المادة في مكانها الصحيح من هذه الفئات.

ثانياً: أن يقوم الباحث بوضع تعريفات إجرائية لفئات التحليل، فلا يختلف الباحثون بشأنها.

- أسلوب منظم: Systematic

يعنى التنظيم هنا أن يتم التحليل في ضوء خطة بحثية علمية وفروض علمية يتضح من خلالها الخطوات التي مر بها التحليل حتى انتهى الباحث إلى ما انتهى إليه من نتائج (حسين، 83). والتنظيم أيضاً يعنى وضع إطار عام تأخذ فيه كل فئة من فئات التحليل مكانها، ويتم عرض هذه الفئات بالصورة التي تتفق مع طبيعة المادة، والهدف من عملية التحليل. أي أنّ المهم في هذا كله أن يحكم التحليل خطة علمية واضحة تحدد للباحث خطوات العمل، وتيسر له كتابة البحث، كما تبرهن للقارئ على وجود منهج علمي.

ويذكر بيرلسون أن مطلب التنظيم هذا يحتوي على أمرين:

أولاً: أن يستوفي الباحث عناصر الموضوع الذي يجري تحليله، وأن يضع كل عنصر تحت ما يناسبه.

ثانياً: أن يتوافق التحليل مع الفروض العلمية التي سبق صياغتها، أو المشكلة التي سبق تحديدها .

4- أسلوب كمي: Quantitative

إنّ هذه الصفة هي التي تزيد من الجدوى البحثية لهذا الأسلوب، فاعتماد تحليل المحتوى على التقدير الكمي كأساس للدراسة هو أهم ما يميزه عن كثير من أساليب دراسة مواد الاتصال، حيث يقوم الباحث بترجمة ملاحظاته إلى أساليب رياضية وإحصائية، وأرقام عددية، أو تقديرات كمية، مثل قليل، كثير، أو يرصد مدى تكرار كل ظاهرة تبدو له في الكتب موضوع الدراسة. والتقدير الكمي فوق ذلك يمكن من التحقق من صدق التحليل وثباته فضلاً عن إمكانية إعادته لاعتماده على التقديرات الرقمية والأوزان النسبية.

والعلوم المختلفة تتفاوت في درجة تقدمها بتفاوت ما قد حققته من تحول المعاني الكيفية الشائعة إلى مقادير كمية تصاغ في صيغة رياضية تكون هي بمثابة القانون العلمي، وفي هذا الصدد أورد طعيمة قولاً جميلاً لزكي نجيب محمود ”لا علم ما لم يتحول إدراكنا الكيفي إلى إدراك كمي لما ندركه“ .

5- أسلوب علمي: Scientific

سبق الإشارة إلى أن أسلوب تحليل المحتوى يتصف بالموضوعية، أي أنه يتصف بالصدق والثبات، وهما من صفات الأسلوب العلمي، بالإضافة إلى ما سبق فإن أسلوب تحليل المحتوى يتصف بكثير من صفات الأسلوب العلمي نذكر منها:

- يهدف أسلوب تحليل المحتوى من خلال دراسة ظواهر المحتوى إلى وضع قوانين لتفسيرها، والكشف عن العلاقات التي بين بعضها وبعض.
- يتم وضع تعريفاً إجرائية محددة لفئات التحليل التي يتم استخدامها.
- يهتم أسلوب تحليل المحتوى بوصف وتنسيق النقاط التي تحتويها مادة الاتصال، وهذا يسهل فهمها والحكم عليها.

6- يتناول الشكل والمضمون Form and Content

يقوم تحليل المحتوى على مستويين، المستوى الأول يتعلق بالمضمون من أفكار وقيم واتجاهات ومعارف وحقائق، فالحديث عن المضمون على سبيل المثال عند تحليل كتب اللغة

العربية يعني تناول المحتوى اللغوي والثقافي إلخ الذي تشتمل عليه الكتب. والمستوى الثاني، يتعلق بالشكل، شكل الكتاب وعملية إخراجها، إلى الأسلوب الذي قُدمت فيه المادة العلمية.

7- يتعلق بظاهر النص، وهو ما يطلق عليه ديفرجيه أنه أقرب إلى السطحية. Manifest

Content

يتميز تحليل المحتوى بأن نتائجه أقرب إلى السطحية، ويعزى ذلك إلى المبالغة في التبسيط في إجراءات التحليل أو الاختصار على المعالجات الإحصائية المحددة أو التغير الهامشي للنتائج، وعدم التعمق فيما يُسفر عنه من نتائج، أو مجرد سرد الظواهر. وهذا ما أكده موقع الميدان التربوي الإلكتروني (www.zahrani.net) حيث إن من خصائص تحليل المحتوى وسماته، التركيز على ظاهرة تحليل النصوص وتربطها معاً، وعدم التطرق إلى النوايا الخفية للمؤلف وما يقصده، فهي تنحو في عملها المنحى الوصفي، وتبتعد عن المنحى التقويمي وإصدار الأحكام.

واعتبر البعض بأن هذه السطحية هي أحد مكامن النقد الذي يوجه لتحليل المحتوى. فيما يرى حسين(83) أن هذا النقد لا مبرر له، إذا نظرنا إلى تحليل المحتوى نظرة موضوعية، فعملية تحليل المحتوى تحقق الهدفين: وصف الضمون الظاهر والصريح، وكشف النوايا والعلاقات الخفية التي تربط المعرفة ببعضها، ولا تقتصر على جانب واحد منهما.

إنّ دائرة عمل الباحث بتحليل المحتوى تسند إليه مهمة الكشف عن:

- 1- أهداف القائم بالاتصال (المرسل).
- 2- الخلفيات العامة التي تتبع منها الرسالة.
- 3- الاستجابات التي يسعى القائم بالاتصال (المرسل) لتحقيقها.
- 4- العلاقة بين خصائص المضمون شكلاً ومضموناً بالمرسل.
- 5- المقارنة بين خصائص المضمون وخصائص المتلقين.

أيّ أن عملية تحليل المحتوى من الضروري أن تقوم بتحقيق هدف وصف طبيعة المحتوى الصريح، وهدف كشف النوايا الخفية للمضمون، على مستويين: المستوى الوصفي، والمستوى التحليلي سواءً المباشر أو غير المباشر.

8- يُستخدم في مجال العلوم الاجتماعية Social Sciences

كانت النظرة لمنهج تحليل المحتوى أنه خاص بالعلوم الاجتماعية، ويتفق الباحثون على أنه قد نشأ في أحضان الصحافة والإعلام، وهي من صميم العلوم الاجتماعية، لكنه سرعان ما انتقل إلى مجالات أوسع، ليشمل مجالات العلوم الإنسانية والنفسية والتاريخية والسياسية والأدبية والتربوية إلخ. بل لقد شمل تحليل المحتوى الكتب والمذكرات والصور الشمسية والأبحاث والرسومات والشرائح، حتى التفاعل اللفظي صار بالإمكان تحليله. واتسعت الدائرة بتقدم الزمن لتشمل أساليب الدعاية والموسيقى والمقابلات ومجالات الفيزياء والكيمياء والأحياء والرياضيات وجل العلوم الطبيعية.

وقد أضاف طعيمة (2004) في كتابه الصادر حديثاً ضمن سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس عن تحليل المحتوى خمس خصائص أخرى لتحليل المحتوى، هي:

9- مجالات العمل به كثيرة:

يعمل تحليل المحتوى على:

- وصف مادة الاتصال وإبراز خصائصها.

- إبراز مدى قدرة كل مادة على تحقيق الأهداف وأساليب الوصول إليها.

- يكشف الحقيقة الفكرية الكامنة خلف النص.

- يكشف المقاصد الخفية للقائمين على النص.

10 - يرتبط بالبحث الأساسي:

إن أسلوب تحليل المحتوى أسلوب بحثي، يساعد على حل مشكلة معينة، وعلى ذلك تتحدد خصائص هذا الأسلوب العلمي في ضوء المشكلة التي يتصدى إلى حلها. أي أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين تحليل المحتوى ومشكلة الدراسة.

11- له منطلقات لمصاديقته:

يعتمد أسلوب تحليل المحتوى كسائر أساليب البحث العلمي على عدد من المنطلقات التي ينبغي الأخذ بها لكي يتسم تحليلنا بالمصادقية، من أهمها:

- أن المعاني التي يستوعبها المحتوى هي نفسها التي يقصدها المرسل.

- أن تكون الوحدات المكونة للرسالة متوازنة إلى حدٍّ ما.

وأخر سمتين لتحليل المحتوى أوردهما طعيمة (2004) نقلاً عن موريس ديفرجيه بأن من خصائص تحليل المحتوى، أنه:

12- شكل من أشكال علم الدلالة:

أي أن الوحدات التي يتم تحليلها ليست الكلمات عموماً بل مدلول هذه الكلمات، وما تحمله من معانٍ. فالعبرة إذن في التحليل وليست في الأسلوب ذاته.

13- أسلوب مبسط:

ولعل هذا سبب إجراءاته وسرعة الوصول إلى النتائج، إنّ تحليل المحتوى لا يشمل من الفنيات وآليات العمل ما قد يشتمله غيره من الأساليب البحثية من تعقيد أو تعدد إجراءات.

أنواع تحليل المحتوى:

أنواع تحليل المحتوى ثلاثة:

1- تحليل المحتوى البراغماتي:

ويقصد به الإجراءات التي بموجبها تصنيف ظواهر المحتوى، طبقاً لأسبابها أو نتائجها المحتملة، ومثال ذلك، عدد المرات الذي ذكرت فيه "الشعر الحر"، وما ينتج عن ذلك من تكوين اتجاهات إيجابية أو سلبية نحوها.

2- تحليل المحتوى الدلالي:

ونعني به الإجراءات التي يتم بموجبها تصنيف ظواهر المحتوى، طبقاً للمعاني الدالة عليها، وبصرف النظر عن الألفاظ المفردة التي استخدمت في عملية الاستدلال، ومثال ذلك، عدد الكلمات أو الجمل التي تشير في معانيها إلى "الشعر الحر"، حتّى وإن لم يستخدم المؤلف لفظ "الشعر الحر".

3- تحليل المحتوى البنائي:

ويقصد به الإجراءات التي يتم بموجبها تصنيف المحتوى طبقاً للخصائص المادية والمجازية لأقسام المحتوى، كالحقائق والمفاهيم، والتعميمات، التي تكوّن بنية المحتوى أو خصائص الأسلوب الذي يميز المحتوى كنوع من المفردات والجمل والفقرات المستخدمة.

وقد قسمها Mike Palmnist إلى نوعين رئيسيين، هما:

1- التحليل المفاهيمي أو التصوري. Conceptual

ويقصد به تقليدياً اختيار المفاهيم واختبار تكراراتها في النص المراد تحليله ودراسته، والتمييز بين المصطلحات والمفاهيم ومدى حياديتها (تبيان إيجابيتها أو سلبيتها) باستخدام معاجم وطرق خاصة لذلك، ويهدف هذا النوع من التحليل إلى استخلاص - الحقائق والمفاهيم إلخ بعد التوصل إليها- وتصنيفها في مجموعات وفئات متجانسة، وذات معنى؛ ليساعد في عملية التدريس.

2- التحليل الدلالي (العلائقي) Relational

يبنى هذا النوع على التحليل المفاهيمي أو التصوري، فهو يأتي بعده، وهو يقوم على اختبار العلاقات بين المفاهيم المستخلصة والمصنفة والمبوبة - وفقه-، فهو مبني على ما تمت دراسته أو تحليله. وهدفه أن تحدث عملية الاتصال بين المرسل والمستقبل على أفضل صورة ممكنة، حيث لا يمكن أن يتم ذلك دون وضوح العلاقات التي تحكم الرسالة، وقد قام هذا النوع من التحليل في السنوات الأخيرة بتحليل أكثر من خمسمئة علاقة مفاهيمية .

أهداف تحليل المحتوى:

إنّ الهدف الرئيس من تحليل الكتب الدراسية والمواد التعليمية هو تحسين نوعيتها، والارتقاء بها لتتناسب مع الأهداف المرغوب في تحقيقها، لهذا لقد تعددت أهداف تحليل المحتوى وأغراضه، فمن أهمها:

- استكشاف أوجه القوة والضعف في الكتب المدرسية، والمواد التعليمية، وتقديم أساس لمراجعتها وتعديلها عند الحاجة، وينبغي على الدراسات التي تجرى على هذه الكتب أن تدلنا على أيّ الموضوعات الأكثر قيمة. وهذا ما أطلق عليه المطلس(1997) تحليل المحتوى لأغراض التقويم.

- تزويد المؤرخين والجغرافيين وغيرهم من العلماء والمفكرين بالفرصة للعمل بشكل تعاوني مع المعلمين ومديري المدارس، وقادة العمل الحكومي والخاص، وذلك لغرض تحسين الكتب المدرسية والمواد التعليمية.
- تقديم المساعدة للمؤلفين والمحررين والناشرين في إعداد كتب مدرسية جديدة، وذلك بتزويدهم بمبادئ توجيهية، والإشارة إلى ما ينبغي تضمينه وما ينبغي تجنبه. وورد هذا المفهوم لدى (المطلس، 1997) تحت عنوان تحليل المحتوى لأغراض التخطيط والبناء لكتب المدرسية.
- تقديم مواد مساعدة في عملية مراجعة برامج الدراسة ككل، وفي إعداد المعلمين والإداريين، فضلاً عن اختيار الكتب المدرسية، والمواد التعليمية.

شروط تحليل المحتوى وضوابطه:

قام فريق عمل تطوير الاختبارات المدرسية في المملكة العربية السعودية التابع لوزارة المعارف، في الحقبة التدريبية الخاصة بالقياس والتقويم، بوضع مجموعة من الضوابط والشروط لتحليل المحتوى، (فريق عمل، دون تاريخ) هي:

1. الارتباط الوثيق بالسياسة التعليمية والأهداف العامة المنبثقة منها.
2. الإحاطة التامة بالأهداف التربوية والتعليمية للمرحلة الدراسية والمادة.
3. مراعاة الفروق الفردية للمتعلمين ومراحلهم الدراسية.
4. مراعاة التسلسل المنطقي للمفاهيم العلمية (من المحسوس إلى المجرد ومن البسيط إلى المركب ومن المعلوم إلى المجهول).
5. مراعاته الخطط الزمنية وارتباطه بها.
6. الارتباط بالطرائق التدريسية المختلفة وأساليب التعلم.
7. أن يتم الاستفادة من أساليب التمييز والتشويق ذات الدلالة الوثيقة بالموضوع.
8. أن يتم انتقاء المفاهيم الأساسية المرتبطة بالأهداف مباشرة.
9. أن يشتمل على التدريبات الكافية وأساليب التقويم المختلفة.

ويبدو للباحث أن هذه الضوابط هي أقرب لكونها فوائد منها شروطاً للقيام بتحليل المحتوى. فيما جعلها المطلس (1997) خمسة شروط:

- 1- الموضوعية والحياد، ويقصد بالموضوعية: تحرر الباحث القائل بعملية تحليل المحتوى من ذاتيته وتحيزه الثقافي، فضلاً عن الادعاءات المعرفية للعلم. أما الحياد لديه فيعني به

عدم تدخل الباحث بأفكاره وتصورات المسبقة في الدراسة، أي أنّ الباحث يجب عليه ألاّ يتحايّل أثناء عملية تحليل المحتوى لإثبات فكرة مسبقة لديه بما لا يتفق مع الحقيقة.

ولعل نظرة فاحصة ناقدة تبين التداخل الواضح بين شروط تحليل المحتوى المطلّس، وخصائص تحليل المحتوى لدى طعيمة وحسين، حيث كانت الموضوعية والحيادية من خصائص تحليل المحتوى لديهما، فيما يعدّهما المطلّس من شروطه، ولعل مرجع ذلك هو الاعتماد على المراجع الأجنبية والاختلاف في ترجمة المصطلحات.

- 2- تحديد الفئات المستخدمة في التصنيف، وتعريفها تعريفاً واضحاً محدداً، حتّى يستطيع الأفراد الآخرون تطبيقها على المحتوى نفسه؛ لتحقيق النتائج نفسها.
- 3- تصنيف المواد المتصلة بموضوع التحليل تصنيفاً منهجياً بحيث لا يترك المحلل حراً في اختيار ما يردّه وما يثير اهتمامه.
- 4- ينبغي في تحليل المحتوى التركيز على كل الجوانب الإيجابية والسلبية، لأن التركيز على الجوانب السلبية يترتب عليها نتائج غير مرغوب فيها.
- 5- استخدام أساليب كمية تسمح بمعرفة مدى انتشار الأفكار المختلفة التي يتضمنها المحتوى، حتّى يمكن مقارنتها بعينات أخرى من المادة.

الدرس الرابع عشر

الدفاع عن الخطط وإقامة السيمينارات

المرحلة الأولى: الموافقة على المقترح البحثي.

وتمر بالخطوات الآتية:

الخطوة الأولى: (عند طلب التقديم).

يتوجب على المتقدم للدراسات العليا لبرنامج الدكتوراه أو الماجستير هيكل (أ) التقدم بالمقترح البحثي على أن يتضمن الأمور الآتية:

1 (عنوان المقترح.

2 (مجال البحث.

3 (فكرة عامة عن الموضوع.

ملحوظة: يتوجب على الطالب في هيكل (ب) تقديم مقترح البحث عند دراسته لمادة مناهج البحث.

الخطوة الثانية: موافقة القسم أو الكلية.

يقوم القسم بالنظر في المقترح المقدم والتأكد من صلاحيته للدراسة ومناسبته لبرنامج الدراسة.

المرحلة الثانية: مناقشة هيكل الخطة

الخطوة الأولى: يتوجب على الطالب تقديم هيكل الخطة وفق الخطوات الآتية:

1 (يجب أن تتضمن هيكل الخطة العناصر التالية:

أ- عنوان البحث:

ت- الفصل الأول: المقدمة، وتشتمل على:

✓ خلفية البحث.

✓ مشكلة البحث.

✓ أسئلة البحث/ فروض البحث.

✓ أهداف البحث.

✓ مصطلحات البحث.

✓ أهمية البحث.

✓ هيكل البحث.

ث- الفصل الثاني: أدبيات البحث، ويشتمل على:

✓ الإطار النظري.

✓ الدراسات السابقة.

د- الفصل الثالث: منهجية البحث، ويشتمل على:

تصميم البحث.

✓ إجراءات البحث : مجتمع البحث حدود البحث عينة البحث طريقة اختيار العينة.

✓ أدوات البحث :محتوياتها، وثبوتها، وصدقها.

✓ دراسة استطلاعية، جمع البيانات وتحليلها.

هـ- الفصل الرابع: تحليل البيانات/المعلومات.

و- الفصل الخامس: الخاتمة.

✓ مناقشة النتائج

✓ التوصيات.

ملحوظة:

1 . هذه الفصول تخضع للتغيير حسب متطلبات البحث، والتخصص الذي يدرس فيه الطالب.

2 . يتمّ عرض هذه الفصول الخمسة بصورة موجزة في هيكله الخطة.

الخطوة الثانية: تسليم نسخة من هيكله الخطة للمرشد لاعتمادها.

الخطوة الثالثة: يقوم المرشد برفع نسخة من هيكله الخطة إلى القسم.

الخطوة الرابعة: اعتماد هيكله الخطة.

يقوم القسم بتحديد موعد لجلسة الدفاع عن هيكله الخطة على النحو التالي:

أولاً: يقوم فيها الطالب بعرض مرئي عن هيكله الخطة في مدة (15 دقيقة).

ثانياً: يتكوّن لجنة القسم التقييميّة من:

✓ رئيس القسم أو من ينيبه.

✓ مرشد الطالب.

✓ عضوين من القسم.

ملحوظة: في حال إخفاق الطالب في تقديم هيكلية سليمة للخطة يطلب منه تغيير الموضوع وتقديم مقترح جديد.

المرحلة الثالثة: الدفاع عن الخطة.

وتمر بالخطوات الآتية:

بعد اجتياز مادة مناهج البحث وانتهاء الطالب من كتابة الفصول الثلاثة الأولى المطلوب منه إنجازها في المرحلة السابقة تأتي مرحلة الجلوس للدفاع عن الخطة على مستوى الكلية، والذي يتم وفق الخطوات الآتية:

الخطوة الأولى: أن يجلس الطالب للدفاع عن خطته في ندوة تعقد على مستوى الكلية خلال الفصل الأول والثاني بهدف إعطائه فرصة مناسبة لتقديم خطة بحثه، ولاستمراره في برنامجه الدراسي ، بعد اجتيازه المواد الأساسية للبرنامج.

الخطوة الثانية: يتوجب على الطالب أن يكمل ثلاثة فصول على النحو التالي: (مقدمة، أدبيات البحث، منهجية البحث)، من خطة بحثه في حدود 10000 إلى 12000 كلمة، تسلم للكلية قبل موعد الدفاع بأسبوعين بعد أخذ موافقة المرشد.

الخطوة الثالثة: يقوم الطالب أمام لجنة تقييم الدفاع عن الخطة بعرضها خلال نصف ساعة في الندوة.

ضوابط مهمة:

- 1 (الطالب الذي يجتاز الدفاع وفق الجودة المطلوبة يستمر في برنامجه ويسمح له بإكمال بحثه.
- 2 (الطالب الذي لم يجتز الدفاع ولم يحقق الجودة المطلوبة يحق للجنة التقييم أن تلزمه بدراسة مادة مناسبة من المواد الأساسية للبرنامج مستمعاً.
- 3 (الطالب الذي قررت لجنة التقييم عليه إعادة الدفاع يقوم بعرض خطته ثانية بعد إجراء كافة التعديلات خلال فصل أو فصلين، وذلك بعد حصوله على موافقة المرشد الأساسي.

4 (الطالب الذي أخفق مرتين في الدفاع ، يُعرض أمره على مجلس الكلية للنظر فيه.

5 (في حال أن تحظى خطة البحث على موافقة لجنة التقييم يتم رفعها إلى المجالس المختصة للمصادقة والاعتماد.

المرحلة الرابعة: (الدفاع عن جاهزية البحث)الدفاع الثاني.

يتوجب على الطالب تقديم الدفاع عن جاهزية البحث للمناقشة، وفق الخطوات الآتية:

الخطوة الأولى: تسليم نسخة البحث النهائية للمشرف.

الخطوة الثانية: رفع المشرف التقرير النهائي، وبرفقه نسخة البحث للدراسات العليا.

الخطوة الثالثة: إحالة بحث الطالب لبرنامج كاشف السرقات العلمية والاقتباسات .

الخطوة الرابعة: إحالة بحث الطالب إلى قسم الإدارة العلمية والتخرج للتأكد من مطابقته مع المواصفات الفنية حسب دليل إعداد الرسائل العلمية في عمادة الدراسات العليا؛ وفي حال طلب تعديلات فنية من الطالب يتمّ تحديد مدّة (أسبوعين) كحد أقصى وفي حال تأخر الطالب عن الموعد المحدّد دون عذر مقبول من عميد الدراسات العليا يرسل إليه إنذار مع تمديد لأسبوع كحد نهائي؛ ثم يصرف النظر عن إجراءات مناقشة الطالب.

الخطوة الخامسة: الحضور الشخصي بالنسبة للطلاب المسجلين في برنامج التعليم المباشر، أو التواصل عبر أنظمة - الاتصالات الإلكترونية المتقدمة التي توفرها الجامعة، بالنسبة لطلاب التعليم عن بعد للدفاع عن جاهزية بحثه.

الخطوة السادسة: يقدم الطالب عر ضا مرئي ا لبحثه أمام لجنة لجنة تقييم الدفاع عن جاهزية البحث على أن - تكون المدة ما بين تشكيل اللجنة والجلوس للدفاع عن جاهزية البحث لا تقلّ عن أسبوعين ، وفق الآتي: -

أولا : يتضمّن بحث الطالب العناصر التالية:

- ✓ المقدمة.
- ✓ مشكلة البحث وأهدافه.
- ✓ أهمية البحث.
- ✓ الدراسات السابقة.

✓ منهجية البحث.

✓ النتائج والتوصيات.

ثانياً: تتكون لجنة تقييم الدفاع عن جاهزية البحث من:

- 1 . عميد الكلية المعنية أو من ينيبه رئيساً.
- 2 . المشرف والمشرف المساعد (إن وجد) عضواً).
- 3 . أحد الكوادر الأكاديمية في الجامعة والذي يعمل في التخصص نفسه (بدرجة دكتوراه) ممتحناً.
- 4 . ممثل الدراسات العليا عضواً.
- 5 . سكرتير الكلية.

ثالثاً: تتولى اللجنة تقييم مدى جاهزية البحث وفق الضوابط الآتية:

أ. مدى كفاية المواد المقدمة في العرض المرئي لإبداء الحكم على العمل.

✓ مدى استيعاب العرض المقدم للنقاط المشار إليها أعلاه.

✓ حضور شخصية الباحث أثناء تقديمه للعرض.

✓ مدى استيعاب الطالب لبحثه من خلال العرض المرئي.

ب. مدى كفاية العمل المنجز للحصول على درجة النجاح في الأطروحة.

✓ اشتمال البحث على الجوانب المشار إليها في استمارة التقرير النهائي .

✓ استكمال الجوانب الفنية المشار إليها في دليل الدراسات العليا لإعداد البحوث والرسائل .

✓ مدى الارتباط بين عنوان البحث، وإشكاليته، وأهدافه، ونتائجه .

✓ سلامة المنهج المستخدم في معالجة إشكالية البحث .

✓ سلامة إجراءات البحث وخطواته.

الخطوة السابعة: في حال إخفاق الطالب في اجتياز الدفاع عن جاهزية البحث يعطى فرصتين إضافيتين كحد أقصى.

الخطوة الثامنة: في حال اجتياز الطالب مرحلة الدفاع عن جاهزية البحث، يخضع بحثه للتأكد من سلامته لغوياً وإملائياً وأسلوبياً.

المرحلة الخامسة: المناقشة:

عند اجتياز الطالب المراحل السابقة يخضع بحثه المقدم لتقييم لجنة المناقشة المكونة على مستوى المجالس المختصة، وفق الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: عند إكمال الطالب للبحث يقوم بتسليم نسخة مصححة إلى المشرف ليتأكد من مطابقتها لتعديلات لجنة تقييم الدفاع عن جاهزية البحث.

الخطوة الثانية: يقدم الطالب نسخة إلكترونية من بحثه المصحح إلى قسم الإدارة العلمية والتخرج من عمادة الدراسات العليا للتأكد من مطابقتها لدليل إعداد الرسائل العلمية.

الخطوة الثالثة: بعد نيل موافقة قسم الإدارة العلمية والتخرج، على الطالب تقديم خمس نسخ إلى عمادة الدراسات العليا لغرض المناقشة، ويستلم إشعار تسليم الأطروحة من قسم الإدارة العلمية في عمادة الدراسات العليا.

تنبيه: يلتزم الطالب أثناء المناقشة باستخدام النسخة المعتمدة من قبل قسم الإدارة العلمية والتخرج بعمادة الدراسات العليا.

الخطوة الرابعة: على الطالب أن يسلم إفادة من مقيم لغوي معتمد من الجامعة مع نسخة بحثه معدلة بعد الدفاع عن جاهزية البحث للمناقشة قبل إرسال البحث إلى المناق الخارجي؛ لإزالة الأخطاء اللغوية من بحث الطالب ولضمان الجودة بالرسائل العلمية.

الخطوة الخامسة: يتم تغيير وضع الطالب الدراسي إلى " مكتمل " بعد تسليمه الأطروحة لغرض المناقشة.

الخطوة السادسة: تشكيل لجنة المناقشة وإجراءاتها.

بعد إكمال الطالب الخطوات السابقة، يتم تشكيل اللجنة وإجراء المناقشة حسب الإجراءات التالية:

1 . تشكيل لجنة تقييم الرسالة، المكونة من:

✓ رئيس الجلسة.

✓ ممتحنين لرسالة الماجستير هيكل (أ) أحدهما خارجي والآخر داخلي.

- ✓ متحنيين لرسالة الماجستير هيكل (ب) داخليين أو أحدهما داخلي والآخر خارجي.
- ✓ ثلاثة متحنيين لرسالة الدكتوراه اثنان منهم خارجيان وواحد داخلي.

2 . يكون موعد المناقشة وفق الضوابط التالية:

✓ أن يكمل الباحث الحد الأدنى للفترة الدراسية؛ بأن يكمل الفصل الدراسي الأخير للحد الأدنى.

✓ أن يكون قد نجح في المواد الدراسية المقررة في البرنامج.

✓ أن يكون الطالب نشطا غير منسحب، أو متوقف، أو مؤجل، أو مفصول.

✓ أن يكون قد مضى على تعيين لجنة المناقشة وإشعارهم بذلك مدة (30 يوما) بالنسبة

لطلاب هيكل (ب) ومدة (45 يوما) بالنسبة لطلاب ماجستير هيكل (أ) ومدة

60 يوماً بالنسبة لطلاب الدكتوراه.

الخطوة السابعة: تعديل البحث:

أولاً : على الطالب بعد مناقشة رسالته أن يجري كافة التعديلات في المدة المخولة له من قبل لجنة تقييم الرسالة ابتداء من اليوم الذي نوقشت فيه الرسالة.

ثانياً: في حال تأخر تقديم النسخة النهائية للبحث المعدلة عن الموعد المحدد من قبل لجنة التقييم من دون أي عذر.

مقبول، يرسل إليه إنذار (رقم 1) ومهلة أسبوع وإذا تأخر عن ذلك يرسل إليه إنذار (رقم 2) مع تغريمه بمبلغ 200 رنجت ماليزي، مع تمديد المهلة لمدة أسبوعين. ثم إذا تأخر عن الموعد المحدد في الإنذار من دون عذر مقبول يرفع مقدار الغرامة إلى 500 رنجت ماليزي، عن كل شهر بحد أقصى ثلاثة أشهر ثم يتم طي قيده.

الخطوة الثامنة: التسليم النهائي:

يتم التسليم النهائي للبحث وفق الضوابط التالية:

أولاً: الموافقة من المشرف على التعديلات، واعتماد الممتحن الداخلي، وفق الاستمارة المعدة للتعديلات.

ثانياً: موافقة عمادة الدراسات العليا على طباعة النسخة النهائية.

ثالثاً: توقيع كافة النسخ المجلدة من الجهات المشار إليها في صفحة التحكم.

رابعاً: تسليم خمس نسخ بالنسبة لطلاب التعليم المباشر، وثلاث نسخ بالنسبة لطلاب التعليم عن بعد.

خامساً: (رفع النسخة النهائية على نظام) CMS في صفحة الطالب.